

مع القديس أنبا مقار
بمروة شهبوت

مع المسيح

الكتاب الأول

الأب متى المسكين

دير القديس أنبا مقار

مع المسيح

مقالات تقدّم للقارئ التعزية والنعمة

الكتاب الأول

الأب متى المسكين

كتاب: مع المسيح - الكتاب الأول
المؤلف: الأب متى المسكين.
الطبعة الأولى: ٢٠٠٥.
الطبعات اللاحقة: ٢٠٠٧ - ٢٠١٥.
الطبعة الثامنة: ٢٠١٧.
مطبعة دير القديس أنبا مقار - وادي النطرون.
ص.ب. ٢٧٨٠ القاهرة.
الناشر: دار مجلة مرقس ص.ب ٣١ شبرا
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ١٤٣٠٠ / ٢٠٠٥
رقم الإيداع الدولي: 2- ISBN 977-240-243-
جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للناشر.

يُطلب من:

دار مجلة مرقس

القاهرة: ٢٨ شارع شبرا - تليفون ٢٥٧٧٠٦١٤

الإسكندرية: ٨ شارع جرين - محرم بك ت: ٤٩٥٢٧٤٠

أو من: مكتبة الدير

أو من خلال الموقع على الإنترنت:

www.stmacariusmonastery.org

المحتويات

الفصل الأول

- ❖ ١ - المعنى الحقيقي والوحيد للإيمان المسيحي ١٧
- ❖ ٢ - قيمة الاستعلان في الإيمان المسيحي ٢٣
- ❖ ٣ - الثبوت والمحبة في الإيمان المسيحي ٢٧
- ❖ ٤ - الفرح في الإيمان المسيحي ٣١
- ❖ ٥ - النعمة في الإيمان المسيحي ٣٥
- ❖ ٦ - الراحة العليا ٣٩
- ❖ ٧ - الموطن السعيد ٤٢
- ❖ ٨ - الحصان الأحمر لقد انتزع السلام من على الأرض ٤٦
- ❖ ٩ - ماء الحياة ٥٠
- ❖ ١٠ - خبز الحياة ٥٤
- ❖ ١١ - القدّاس ٥٨
- ❖ ١٢ - أحبك يا ربّي ٦٣
- ❖ ١٣ - انظروا إليّ ٦٦
- ❖ ١٤ - «لأنكم بالنعمة مُخلّصون بالإيمان» ٧٠
- ❖ ١٥ - مختارون في المسيح قبل تأسيس العالم ٧٤

- ❖ ١٦ - «الله الذي قال أن يُشرق نورٌ من ظلمة، هو الذي أشرق في قلوبنا لإنارة معرفة مجد الله في وجه يسوع المسيح» ٧٧
- ❖ ١٧ - «شكراً لله الذي يقودنا في موكب نصرته في المسيح» ٨١
- ❖ ١٨ - «ونحن جميعاً ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف، كما في مرآة، نتغير إلى تلك الصورة عينها، من مجد إلى مجد، كما من الرب الروح» ٨٤
- ❖ ١٩ - «إن كان أحدٌ في المسيح فهو خليفة جديدة. الأشياء العتيقة قد مضت، هوذا الكل قد صار جديداً» ٨٨
- ❖ ٢٠ - «إن كان لنا في هذه الحياة فقط رجاء في المسيح، فإننا أشقى جميع الناس» ٩٢
- ❖ ٢١ - «لأنه جعل الذي لم يعرف خطية، خطية لأجلنا، لنصير نحن برّاً الله فيه» ٩٦
- ❖ ٢٢ - «مع المسيح صُلِبْتُ، فأحيا لا أنا، بل المسيح يحيا فيّ. فما أحياء الآن في الجسد، فإنما أحياء في الإيمان، إيمان ابن الله، الذي أحبني وأسلم نفسه لأجلي» ١٠٠
- ❖ ٢٣ - «فإنه فيه يحلُّ كلُّ ملء اللاهوت جسدياً. وأنتم مملوون فيه» ١٠٤
- ❖ ٢٤ - «لأنه قد وهب لكم لأجل المسيح لا أن تؤمنوا به فقط، بل أيضاً أن تتألموا لأجله» ١٠٨
- ❖ ٢٥ - «وأما أنتم فجسد المسيح، وأعضاؤه» ١١٢
- ❖ ٢٦ - «يعطيكم إله ربنا يسوع المسيح، أبو المجد، روح الحكمة والإعلان في معرفته، مستنيرة عيون أذهانكم، لتعلموا ما هو رجاء دعوته، وما هو غنى مجد ميراثه في القديسين، وما هي عظمة قدرته الفائقة نحونا نحن المؤمنين حسب عمل شدة قوته

- الذي عمله...» ١١٥.
- ❖ ٢٧ - «الذي، وهو بهاء مجده، ورسوم جوهرة، وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته» ١١٩.
- ❖ ٢٨ - «الذي هو لنا كمِرْسَاة للنفس مؤمَّنة وثابتة، تدخل إلى ما داخل الحجاب، حيث دخل يسوع كسابقٍ لأجلنا» ١٢٣.
- ❖ ٢٩ - «يجب أن الذي يأتي إلى الله يؤمن بأنه موجود» ١٢٩.
- ❖ ٣٠ - «وآخرون عُدُّبوا ولم يقبلوا النجاة لكي ينالوا قيامة أفضل» ١٣١.
- ❖ ٣١ - «دم المسيح، الذي بروح أزلني قدَّم نفسه لله بلا عيب، يطهر ضمائركم من أعمال ميتة لتخدموا الله الحي» ١٣٤.
- ❖ ٣٢ - «وإن كان إنساننا الخارج يفنى، فالداخل يتجدد يوماً فيوماً» ١٣٩.
- ❖ ٣٣ - «فإذ لنا أيها الإخوة ثقة بالدخول إلى الأقداس بدم يسوع، طريقاً كرسه لنا حديثاً حياً بالحجاب أي جسده» ١٤٣.
- ❖ ٣٤ - «لأعرفه، وقوة قيامته، وشركة آلامه، متشبهاً بموته. لعلِّي أبلغ إلى قيامة الأموات» ١٤٧.
- ❖ ٣٥ - «فإن كنتم قد قُمْتُم مع المسيح فاطلبوا ما فوق حيث المسيح جالس عن يمين الله. اهتموا بما فوق لا بما على الأرض. لأنكم قد مُتُّم (مع المسيح) وحياتكم مستترة مع المسيح في الله. متى أظهر المسيح حياتنا، فحينئذ نَظْهَرُونَ أنتم أيضاً معه في المجد» ١٥١.
- ❖ ٣٦ - «اجتهدوا أيها الإخوة أن تجعلوا دعوتكم واختياركم ثابتين. لأنكم إذا فعلتم ذلك لن تزلُّوا أبداً. لأنه هكذا يُقدَّم لكم بِسِعةٍ دخولٌ إلى ملكوت ربنا ومخلصنا يسوع المسيح الأبدي» ١٥٥.

- ❖ ٣٧ - «افرحوا كل حين، صلّوا بلا انقطاع، أشكروا في كل شيء، لأن هذه هي مشيئة الله في المسيح يسوع من جهتكم» ١٥٩
- ❖ ٣٨ - «شاكرين الآب الذي أهّلنا لشركة ميراث القديسين في النور. الذي أنقذنا من سلطان الظلمة ونقلنا إلى ملكوت ابن محبته. الذي لنا فيه الفداء بدمه غفران الخطايا» ١٦٣
- ❖ ٣٩ - «كما أن قدرته الإلهية قد وَهَبَتْ لنا كل ما هو للحياة والتقوى بمعرفة الذي دعانا بالمجد والفضيلة، اللذين هما قد وَهَبَ لنا المواعيد العظمى والثمينة، لكي تصيروا بها شركاء الطبيعة الإلهية» ١٦٧
- ❖ ٤٠ - «لا بأعمال في برِّ عملناها نحن، بل بمقتضى رحمته خلّصنا بغسل الميلاد الثاني وتجديد الروح القدس، الذي سكبه بغنى علينا يسوع المسيح مخلصنا، حتى إذا تبرّرنا بنعمته نصير ورثة حسب رجاء الحياة الأبدية» ١٧٢
- ❖ ٤١ - «في وقت مقبول سمعْتُك وفي يوم خلاص أغتثك، هوذا الآن وقت مقبول، هوذا الآن يوم خلاص» ١٧٦
- ❖ ٤٢ - «لأن لي الحياة هي المسيح، والموت هو ربح» ١٨٢
- ❖ ٤٣ - «فلنتقدّم بثقة إلى عرش النعمة، لكي ننال رحمةً ونجد نعمةً عوناً في حينه» ١٨٦
- ❖ ٤٤ - «ولكن الذي يُبَيِّننا معكم في المسيح، وقد مَسَحَنَا هو الله، الذي خَتَمَنَا أيضاً وأعطى عربون الروح في قلوبنا» ١٩٠
- ❖ ٤٥ - «بالإيمان نفهم أن العالمين أُنقِذت بكلمة الله، حتى لم يتكون ما يُرَى مما هو ظاهر» رسالة العبرانيين ١١: ٣ «الذي هو قبل كل شيء، وفيه يقوم الكل» رسالة

- كولوسي ١: ١٧..... ١٩٤
- ❖ ٤٦ - «أجعل نوايميسي في أذهانهم وأكتبها على قلوبهم، وأنا أكون لهم إلهاً وهم يكونون لي شعباً»..... ١٩٨
- ❖ ٤٧ - «فلا تطرحوا ثقتكم التي لها مجازاة عظيمة، لأنكم تحتاجون إلى الصبر، حتى إذا صنعتم مشيئة الله، تتألون الموعد»..... ٢٠٢
- ❖ ٤٨ - «فنفكروا في الذي احتمل من الخطاة مقاومة لنفسه مثل هذه، لنلا تكلؤا ونغوروا في نفوسكم»..... ٢٠٦
- ❖ ٤٩ - «الذي خلصنا، ودعانا دعوة مقدسة، لا بمقتضى أعمالنا، بل بمقتضى القصد والنعمة التي أعطيت لنا في المسيح يسوع قبل الأزمنة الأزلية»..... ٢٠٩
- ❖ ٥٠ - «لأنه قد ظهرت نعمة الله المخلصة لجميع الناس، مُعلّمة إيانا أن ننكر الفجور والشهوات العالمية، ونعيش بالتعقل والبر والتقوى في العالم الحاضر»..... ٢١٣
- ❖ ٥١ - «لتسكن فيكم كلمة المسيح بغنى، وأنتم بكل حكمة معلّمون ومُنذرون بعضكم بعضاً بمزامير وتسابيح وأغاني روحية، بنعمة، مترنّين في قلوبكم للرب»..... ٢١٧
- ❖ ٥٢ - «وأما من جهتي فحاشا لي أن أفتخر إلاً بصليب ربنا يسوع المسيح، الذي به قد صُلب العالم لي وأنا للعالم»..... ٢٢٢
- ❖ ٥٣ - «لا بأعمال في برٍّ عملناها نحن، بل بمقتضى رحمته خلّصنا بغسل الميلاد الثاني وتجديد الروح القدس، الذي سكبّه يغنى علينا يسوع المسيح مخلصنا، حتى إذا تبرّرنا بنعمته نصير ورثة حسب رجاء الحياة الأبدية»..... ٢٢٥
- ❖ ٥٤ - «الذين هم للمسيح قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات»..... ٢٢٨
- ❖ ٥٥ - «أما تعلمون أنكم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم»..... ٢٣٢

❖ ٥٦ - «ولملائكم إله الرجاء كل سرور وسلام في الإيمان، لتزدادوا في الرجاء بقوة الروح القدس» ٢٣٦

❖ ٥٧ - «ولكن شكراً لله الذي يعطينا الغلبة ببرنا يسوع المسيح، إذاً يا إخوتي الأحياء كونوا راسخين، غير متزعزعين، مُكثِّرين في عمل الرب كل حين، عالين أن تعبكُم ليس باطلاً في الرب» ٢٤٠

❖ ٥٨ - «لأنه هكذا يُقدِّم لكم بِسِعةٍ دخولٍ إلى ملكوت ربِّنا ومُخلِّصنا يسوع المسيح الأبدي» ٢٤٤

❖ ٥٩ - «لا تخرج كلمة ردِّية من أفواهكم، بل كلُّ ما كان صالحاً للبنيان، حسب الحاجة، كي يعطي نعمة للسامعين، ولا تُحزنوا روح الله القدوس الذي به خُتمتم ليوم الفداء» ٢٤٧

❖ ٦٠ - «خلعتم الإنسان العتيق مع أعماله، وليستَّم الجديد الذي يتجدد للمعرفة حسب صورة خالقه» ٢٥٠

❖ ٦١ - «منتظرين وطالِبين سرعة مجيء يوم الرب» ٢٥٤

❖ ٦٢ - «وتعرفوا بحبة المسيح الفائقة المعرفة لكي تمتثلوا إلى كل ملء الله» ٢٥٧

الفصل الثَّانِي

❖ ١ - «لأنِّي لست أستحي يا بَنِيَّ المسيح، لأنَّه قوَّة الله للخلاص لكل من يؤمن» ٢٦٣

❖ ٢ - «متبرِّرين مجاناً بنعمته، بالفداء الذي بيسوع المسيح، الذي قدَّمه الله كَفَّارة بالإيمان بدمه، لإظهار برِّه من أجل الصفح عن الخطايا السالفة يا مهال الله» ٢٦٧

- ❖ ٣ - «فإذ قد تبررنا بالإيمان لنا سلام مع الله بربنا يسوع المسيح، الذي به أيضاً قد صار لنا الدخول بالإيمان إلى هذه النعمة التي نحن فيها مُقيمون، ونفتخر على رجاء مجد الله» ٢٧١
- ❖ ٤ - «قدّموا ذواتكم لله كأحياء من الأموات، وأعضاءكم آلات لله، فإن الخطية لن تسودكم، لأنكم لستم تحت الناموس بل تحت النعمة» ٢٧٥
- ❖ ٥ - «والرجاء لا يخزي، لأن محبة الله قد انسكبت في قلوبنا بالروح القدس المُعطى لنا» ٢٧٩
- ❖ ٦ - «إن كنا ونحن أعداء قد صولحنا مع الله بموت ابنه، فبالأولى كثيراً ونحن مُصالِحون نخلص بحياته» ٢٨٣
- ❖ ٧ - «لأنه إن كان بخطية الواحد (آدم) قد مَلَكَ الموت بالواحد، فبالأولى كثيراً الذين يتألون فيُض النعمة، وعطية البر، سيملكون في الحياة بالواحد يسوع المسيح» ٢٨٨
- ❖ ٨ - «عالمين هذا أن جسدنا العتيق قد صُلب معه، لِيُطْلَ جسدُ الخطية، كي لا نعود نُستعبد أيضاً للخطية» ٢٩٢
- ❖ ٩ - «إذاً لا شيء من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع» ٢٩٦
- ❖ ١٠ - «لأن كل الذين ينقادون بروح الله، أولئك هم أبناء الله، إذ لم تأخذوا روح العبودية أيضاً للخوف، بل أخذتم روح التبني الذي به نصرخ يا أبا الآب، الروح نفسه أيضاً يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله» ٣٠٠
- ❖ ١١ - «وكذلك الروح أيضاً يُعين ضعفاتنا، لأننا لسنا نعلم ما نُصَلِّي لأجله كما ينبغي، ولكن الروح نفسه يشفع فينا بأناث لا يُنطق بها» ٣٠٤

❖ ١٢ - «وأما الآن إذ أعتقتم من الخطية وصرتم عبيداً لله، فلكم ثمركم للقداسة،
والنهاية حياة أبدية» ٣٠٨

❖ ١٣ - «فلاني أحسب أن آلام الزمان الحاضر لا تُقاس بالمجد العتيق أن يُستعلن
فينا» ٣١٢

❖ ١٤ - «مَنْ سيفصلنا عن محبة المسيح؟ أشدّة أم ضيقٌ أم اضطهادٌ أم جوعٌ أم
عُرْيٌ أم خطرٌ أم سيفٌ، كما هو مكتوب: إننا من أجلك كُلمات كل النهار، قد حُسِّبنا
مثل غنمٍ للذبح، ولكننا في هذه جميعها نعظم انتصارنا بالذي أحَبَّنا» ٣١٦

❖ ١٥ - «الذي لم يُشْفِقْ على آبنه، بل بذَّله لأجلنا أجمعين، كيف لا يَهِنُنا أيضاً معه
كل شيء» ٣٢٠

❖ ١٦ - «لأن الذين سبق فعرفهم، سبق فعينهم ليكونوا مشابهي صورة ابنه،
ليكون هو بكرًا بين إخوة كثيرين» ٣٢٤

❖ ١٧ - «مُبَارَكُ الله أبو ربنا يسوع المسيح الذي بارَكنا بكل بركة روحية في
السماويات في المسيح، كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم، لنكون قديسين وبلا لوم
قُدَّامَهُ في المحبة» ٣٢٨

❖ ١٨ - «إذ سبق فعَيَّنَا للتبني يسوع المسيح لنفسه حسب مسرَّة مشيئته» ٣٣٢

❖ ١٩ - «أعطانا البنوة» «للدخ مجد نعمته التي أنعم بها علينا في المحبوب» ٣٣٦

❖ ٢٠ - «المحبوب» «الذي فيه لنا الفداء بدمه غفران الخطايا حسب غنى
نعمته» ٣٤٠

❖ ٢١ - «غَنَى نعمته التي أجزَّلها لنا بكل حكمة وفطنة، إذ عرَّفْنَا بسرَّ مشيئته
حسب مسرَّته التي قَصَّدها في نفسه» ٣٤٤

❖ ٢٢ - «لتدبير ملء الأزمنة، ليجمع كل شيء في المسيح، ما في السموات وما على الأرض في ذاك (أي المسيح)» ٣٤٨

❖ ٢٣ - «الذي فيه أيضاً نلنا نصيباً، مُعَيَّن سابقاً، حسب قصد الذي يعمل كل شيء حسب رأي مشيئته. لنكون لمدح مجده، نحن الذين سبق رجاؤنا في المسيح» ٣٥١

❖ ٢٤ - «الذي فيه أيضاً أنتم، إذ سمعتم كلمة الحق إنجيل خلاصكم، الذي فيه أيضاً، إذ آمنتم ختمتم بروح الموعد القدوس، الذي هو عربون ميراثنا لقلء المُقَتَّى لمدح مجده» ٣٥٥

❖ ٢٥ - «مُستتيرة عيون أذهانكم، لتعلموا ما هو رجاء دعوته، وما هو غنى مجد ميراثه في القديسين، وما هي عظمة قدرته الفائقة نحونا نحن المؤمنين، حسب عمل شدة قوته، الذي عمله في المسيح إذ أقامه من الأموات، وأجلسه عن يمينه في السماويات؛ فوق كل رئاسة وسلطان وقوة وسيادة وكل اسم يُسمى، ليس في هذا الدهر فقط، بل في المستقبل أيضاً» ٣٥٩

❖ ٢٦ - «وأخضع كل شيء تحت قدميه، وإياه جعل رأساً فوق كل شيء للكنيسة، التي هي جسده، ملء الذي يملأ الكل في الكل» ٣٦٣

❖ ٢٧ - «وأنتم، إذ كنتم أمواتاً بالذنوب والخطايا التي سلكتم فيها قبلاً حسب دهر هذا العالم، حسب رئيس سلطان الهواء، الروح الذي يعمل الآن في أبناء المعصية، الذين نحن جميعاً تصرفنا قبلاً بينهم في شهوات جسدنا، عاملين مشيئات الجسد والأفكار، وكنا بالطبيعة أبناء الغضب كالباقين أيضاً؛ الله الذي هو غنى في الرحمة، من أجل محبته الكثيرة التي أحبنا بها، ونحن أموات بالخطايا أحيانا مع المسيح. بالنعمة أنتم مُخلَّصون. وأقامنا معه، وأجلستنا معه في السماويات في المسيح يسوع. ليظهر في الدهور الآتية غنى نعمته الفائقة، باللطف علينا في المسيح يسوع» ٣٦٨

❖ ٢٨ - «لأنكم بالنعمة مُخَلَّصُونَ بالإيمان، وذلك ليس منكم، هو عطية الله، ليس من أعمال كي لا يفتخر أحد، لأننا نحن عَمَلُهُ، مخلوقين في المسيح يسوع لأعمال صالحة قد سبق الله فأَعَدَّهَا لكي نَسلك فيها»..... ٣٧٢

❖ ٢٩ - «فلستُم، إذًا، بعدُ غرباءَ ونُزُلًا، بل رعية مع القديسين وأهل بيت الله»..... ٣٧٧

❖ ٣٠ - «وهو أعطى البعض أن يكونوا رُسلًا، والبعض أنبياءَ، والبعض مبشِّرين، والبعض رعاةً ومُعَلِّمين، لأجل تكميل القديسين، لعمل الخدمة، لبُنيان جسد المسيح، إلى أن ننتهي جميعنا إلى وحدانية الإيمان، ومعرفة ابن الله، إلى إنسان كامل، إلى قياس قامة مِلءِ المسيح»..... ٣٨١



الفصل الأول

المعنى الحقيقي والوحيد للإيمان المسيحي

ما معنى الإيمان بالله أو بالمسيح؟

إن كنت تؤمن بالمعنى البسيط للإيمان، فالشياطين أيضاً تؤمن وتتشعر!

إفون، ما هو الإيمان الحقيقي الذي يفوق قوة الشيطان؟

يقول الكتاب: إن الإيمان هو «الثقة بما يُرجى والإيقان بأمور لا تُرى»^١. إذن، الإيمان الحقيقي ليس في تناول الواقع ولا هو في تناول الرؤية بالعين، أي ليس في دائرة العالم، ونحن نعلم أن العالم أُعطي للشيطان^٢. لذلك أصبح الإيمان الحقيقي ليس واقعاً تحت سلطان الشيطان، بل هو فائق على مستوى المتغيرات

١ يع ٢: ١٩.

٢ عب ١١: ١.

٣ لو ٤: ٦.

والعالم، والشيطان معروف أنه كذاب وأبو كل كذاب.

كذلك فالإيمان المسيحي حتماً هو الحق، ولا يختص بهذا العالم الزائل، ولا يتبع هذه الحياة الزائلة والمتغيرة. بهذا نرى أن الإيمان المسيحي يرجو الحياة الأبدية التي لن تنتهي أو تتغير، ويوقن إيقاناً حتمياً بأشياء لا تُرى ولا تتغير.

وهذا الإيمان المسيحي الحق نابع من تجسّد المسيح ومن قيامته، فالمسيح بتجسّده أدخل جسده البشري إلى العالم وحفظه من الشر ومن الشرير، ثم قام من الموت مُعلنًا أنه حقاً هو الحياة الأبدية.

فأصبح الإيمان المسيحي سيفاً مسلطاً في وجه الشر والشرير والعالم، إن صاحبه فعلاً أكل المؤمن جسد المسيح وشرب دمه، أي صار متحدًا بالمسيح، والذي تعتبره الكنيسة "شركة مع المسيح"، لأن المسيح أعطانا جسده الإلهي لنأكله قائلاً: «مَنْ يَأْكُلْ جَسْدي وَيَشْرَبْ دَمِي يَبْقَى فِيَّ وَأَنَا فِيهِ»، وأعلن المسيح

٤ يو ٨ : ٤٤ .

٥ عب ١ : ٦ .

٦ يو ٦ : ٥٦ .

أنَّ «جسدي مأكُلٌ حقٌّ، ودمي مشربٌ حقٌّ». ٧. وهذا يعني أننا بتناول جسد المسيح وشرب دمه، ندخل الحق الإلهي ونؤهل للحياة الأبدية المزمع أن تُستعلن بظهور المسيح مُعلنًا نهاية العالم. ويقول الكتاب: «متى أظهرَ المسيحُ حياتنا، فحينئذٍ تُظهرون أنتم أيضاً معه في المجد» ٨، و«نكون مثله لأننا سنراه كما هو» ٩. وهذه هي الحصلة النهائية للإيمان المسيحي.

ولكن بعد أن أعطانا هذا السر الاستعلاني، تركنا نُجرب قليلاً تحت سلطان العالم والشرير، حتى نؤهل للحياة الأبدية، إن حفظنا شروط الإيمان المسيحي الحق بأن نحفظ أنفسنا وأجسادنا من سلطان العالم والشر. والمسيح لا يتركنا نحيا في هذا العالم دون أن يسندنا بقوته ويمنحنا عزاءه ليُصيرنا أعظم من منتصرين. وعلاقتنا بالمسيح، إن حفظنا الإيمان وأعطيناه حبنا وقلبنا، ترتفع من مستوى الإيمان العادي لتصير شركة مع المسيح بالروح. ويصف القديس بطرس هذه العلاقة بقوله: «(المسيح)

٧ يو ٦: ٥٥.

٨ كو ٣: ٤.

٩ ١ يو ٣: ٢.

الذي وإن لم تَرَوْه تحبونه»^٨، فهي على مستوى الشركة مع غير المنظور، هذه الشركة الروحية مع المسيح غير المنظور تعطينا الغلبة على العالم^٩: «وهذه هي الغلبة التي تغلب العالم إيماننا»^{١٠}.

والشركة مع المسيح بالجسد والدم، والشركة مع المسيح في غير المنظور، يصفها المسيح نفسه قائلاً: «والذي يحبني... أحبه وأظهر له ذاتي»^{١١}. هذا الظهور الذاتي لا يُرى بالعين ولا يُدرك بالعقل، إنما هو استعلان بالروح حينما يدخل الإنسان في وعي فائق عن الجسد، الذي يعبر عنه القديس بولس الرسول: «أفي الجسد لست أعلم؟ أم خارج الجسد لست أعلم؟»^{١٢}، حيث يرى الإنسان ما لا يُرى. وهذا هو قمة الاستعلان للحقائق الإلهية الفائقة عن العقل، حتى أن بولس الرسول يقول: «لا يسوغ لإنسان أن يتكلم بها»^{١٣}، فهي فائقة عن العقل والفهم.

وهذا الاستعلان ليس وفقاً على بولس الرسول، بل كثيرٌ من

١٠ ١بط ١: ٨.

١١ ١يو ٥: ٥.

١٢ ١يو ٥: ٤.

١٣ ١يو ١٤: ٢١.

١٤ ٢كو ١٢: ٢.

١٥ ٢كو ١٢: ٤.

القديسين الأوائل والأواخر أهّلوا لهذا الاستعلان الذي هو من جوهر الإيمان المسيحي. والمسيح - تبارك اسمه - يقول: «هأنذا واقفٌ على الباب وأقرع، إن سمع أحد صوتي وفتح الباب أدخل إليه وأنعشني معه وهو معي»^{١٦}. أليست هذه شِركة واقعية وحقيقية ومتبادلة مع المسيح تعطينا جرأة الدعوة وصراخ الدعاء!

- يو ١٤ : ٢٠

+ «في ذلك اليوم تعلمون أني أنا في أبي وأنتم في وأنا فيكم».

- يو ١٤ : ٢٦

+ «وأما المعزّي الروح القدس الذي سيرسله الآب باسمي فهو يعلمكم كل شيء ويذكركم بكل ما قلته لكم».

- يو ١٧ : ٣ و٢

+ «إذ أعطيته سلطاناً على كل جسد ليعطي حياة أبدية لكل من أعطيته. وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته».

- يو ١٧ : ٢١-٢٣

^{١٦} رؤ ٢٠ : ٣.

+ «ليكون الجميع واحداً كما أنك أنت أيها الآب في وأنا
فيك، ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا... وأنا قد أعطيتهم المجد الذي
أعطيتني ليكونوا واحداً كما أننا نحن واحد. أنا فيهم وأنت في
ليكونوا مُكَمَّلِينَ إلى واحد».

- يو ٢٠ : ٢٩

+ «طوبى للذين آمنوا ولم يروا».

- يو ٢٠ : ٣٠ و ٣١

+ «وآيات أُخِرَ كثيرة صنع يسوع قدام تلاميذه لم تُكتب في
هذا الكتاب. وأما هذه فقد كتبت لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح
ابن الله، ولكي تكون لكم إذا آمنتم حياةً باسمه».

كُتِبَتْ في مايو ٢٠٠٥

قيمة الاستعلان في الإيمان المسيحي

المقصود بالاستعلان هو كشف المستور أو الدخول إلى جوهر المعنى أو جوهر الكلمة، وهو حاسة فائقة على الفهم والعقل. فالله في العهد القديم لا يراه أحد ويعيش، فهو الحق الفائق على الرؤيا. ولكن موسى النبي رآه بالاستعلان وتحدث معه دون أن يموت، كذلك إشعياء كبير الأنبياء رأى السيد الرب في هيكله ولما رآه صرخ قائلاً: «ويل لي إني هلكت... لأن عيني قد رأتا الملك رب الجنود»^١. ولكن الساروفيم لمسه بجمرة نار من على المذبح وقال له: «هذه قد مسّت شفّيتك، فانتزع إثمك، وكفّر عن خطيتك (فلن تموت)»^٢. وهكذا، فإن رؤيا إشعياء النبي لم تكن بعينيّ الجسد، ولكن بالاستعلان غير المنظور.

وهكذا استعلان الحق، لأن الحق هو الله وهو المسيح الذي قال

١ إش ٦ : ٥ .

٢ إش ٦ : ٧ .

أنا هو الحق والحياة، فقد أُعطيَ للإنسان المؤمن بالمسيح أن يَسْتَعْلِنَ المسيح إن هو استعلن الحق المستور في الكلمة. وهذا يُكوِّنُ جوهر الإيمان: لا بالرؤية النظرية، ولا بالرؤية العقلية أي الفهم، ولكن بالاستعلان الفائق على الفهم والعقل، لأن الفهم والعقل يختصان بالمنظور والمسموع. والحق كالله، لا يُرى ولا يُسمع بالحواس، لذلك لا نتعجب من الرسول بولس الذي يقول عن رؤياه للمسيح إنه «لم تَرَ عين، ولم تسمع أذن... ما أعدّه الله للذين يُحبُّونه»^٣. فعطية الإيمان الحق هي أن يَسْتَعْلِنَ محبو الرب الحق، لا بالرؤى العينية ولا بالسمع، وتزيد الكلمة في الإنجيل بالقول عن الحق الممنوح لمحبيه إنه: "لم يخطر على قلب بشر".

إذن، استعلان الحق لا يُحَسُّ به في القلب لأنه يختص بالروح، والحق باعتباره أنه هو جوهر الكلمة الإلهية فهو قريب من الإنسان الذي يعيش بالإيمان، إذ يقول الكتاب إن: «الكلمة قريبة منك، في فمك وفي قلبك، أي كلمة الإيمان (بالحق)»^٤. وهكذا فإن الإنسان الذي يعيش بالإيمان الصادق فإنه حتماً يَسْتَعْلِنُ له الحق ويعيشه.

^٣ ١ كو ٢: ٩.

^٤ رو ١٠: ٨.

واستعلان الحق مستورٌ في كلمة الإنجيل، فبولس الرسول يقول صراحة إنه إذا قرأتم ما كتبته تعلمون «درايتي بسر المسيح». والسؤال هنا من أين أتى بولس بدرايته الفائقة للمسيح والحق بينما كان هو مضطهد الكنيسة وقتلاً للرجال والنساء عندما كان يُجبرهم على التجديف حتى يُرجموا، ونحن نعلم أن بولس الرسول لم يكن تلميذاً للرب ولا عاش مع التلاميذ، فمن أين جاء بدرايته بسر المسيح الذي هو أعلى صورة للإيمان؟ يردُّ بولس الرسول عن نفسه ويقول: «لأني لم أقبله من عند إنسان ولا علَّمته، بل بإعلان يسوع المسيح»^١.

وهكذا يتبين لنا أن الاستعلان أرفع من مستوى التعليم والقراءة والفهم.

وأنا أقول هنا بإخلاص إن آلاف المؤمنين الأتقياء لا يعرفون القراءة والكتابة ولم يتعلَّموا من أحد، ولكنهم أقوياء جداً في الإيمان، وثباتهم في الإيمان يفوق بمراحل الذين يقرأون والذين يتعلَّمون. ونسأل: من أين أتاهم هذا الإيمان القوي والفائق الحد؟ نقول إن هذا هو الاستعلان، فمن شدة جهم للمسيح استعلن

٥ أف ٣ : ٤ .

٦ غل ١ : ١٢ .

المسيح نفسه لهم، وتمَّ فيهم قول المسيح: «الذي يُحِبُّني يُحِبُّه أبي، وأنا أُحِبُّه، وأُظهر له ذاتي»^٧. هذا الظهور الذاتي هو هو الاستعلان في أعظم وأجلِّ معانيه، وهو في تناول الأُميين والذين لا يقرأون.

وعندنا في الكتاب أن صموئيل النبي وهو طفل تربَّى داخل الهيكل تحت وصاية عالي الكاهن، وقد ظهر الله لصموئيل وتكلَّم معه، ولم يتكلَّم مع عالي الكاهن. فقامة الطفولة مُعدَّة أعظم إعداد لتقبُّل صوت الله.

هكذا فالاستعلان لا يتوقف على علم أو معرفة ولا على قامة. لهذا فالاستعلان مفتوح على كل قامة وعلى كل مستوى، كل مَنْ يحب الحق أو يطلبه.

مايو ٢٠٠٥

الثبوت والمحبة في الإيمان المسيحي

يكاد أن يكون الثبوت قائماً ودائماً في سر المحبة. وبصورة عملية إيمانية يقول المسيح: إن أكلنا جسد الرب وشربنا دمه ثبت فيه وهو فينا^١. هذا الثبوت المتبادل هو بالروح لأن الجسد والدم هما تعبير عن المسيح ذاته، وعن الحق في جوهره، حسب قول المسيح: «جسدي مأكلاً حقٌ ودمي مشرباً حقٌ»^٢. والمسيح يكشف معنى «جسدي حقٌ ودمي حقٌ» بقوله: «مَنْ يَأْكُلْنِي فَهُوَ يَحْيَا بِي»^٣.

والثبوت هو ثمرة المحبة. والثبوت المتبادل يبدأ بنا: «اثبتوا فيَّ»^٤ و«اثبتوا في محبتي»^٥. إذن، نحن مُطالبون بالثبوت في الرب لكي يثبت هو فينا. وكما قلنا إن الثبوت هو ثمرة المحبة، أمّا محبة الرب فهي، كما يقول الرب: «الذي عنده وصاياي ويحفظها فهو

١ يو ٦ : ٥٦.

٢ يو ٦ : ٥٥.

٣ يو ٦ : ٥٧.

٤ يو ١٥ : ٤.

٥ يو ١٥ : ٩.

الذي يحبني»^٦، «إن أحبني أحد يحفظ كلامي»^٧.

وحفظ الكلام ليس بالفكر بل بالعمل بوصايا الرب. وحفظ وصايا الرب ليس مجرد عمل بحسب مشيئة الإنسان بل هو استجابة لإيحاء الروح القدس، لأن الروح القدس هو العامل فينا، الرب هو نفسه العامل فينا، كما يقول الكتاب: «لأن الله هو العامل فيكم أن تريدوا وأن تعملوا»^٨. وهكذا يفتح الكتاب المقدس أعيننا لفهم ونتيقن أن الالتصاق بالرب يوفر لنا المشيئة والعمل لحسابه. لذلك لا نستغرب انقطاع القديسين للعبادة وسكب القلب للتعبير عن حب الله والمسيح.

والثبوت المتبادل هو ثمرة الحب المتبادل. ولكن كما قلنا إن الإنسان هو مسئول عن البداية: «اثبتوا في وأنا فيكم»^٩ و«الذي يحبني يحبه أبي وأنا أحبه»^{١٠}. لهذا أرسل المسيح الروح القدس من عند الآب ليقودنا نحو تكميل الالتصاق بالمسيح بالثبوت والحب المتبادل. فليس للإنسان عذر في عدم الاستجابة للروح، فهو يحثنا

٦ يو ١٤: ٢١.

٧ يو ١٤: ٢٣.

٨ في ٢: ١٣.

٩ يو ١٥: ٤.

١٠ يو ١٤: ٢١.

على الثبوت والحب، لأن هذا هو عمل الروح القدس الساكن فينا. لذلك يقول المسيح وهو واثق مما يقول إن "وصاياي ليست ثقيلة عليكم"^{١١}، لأنه عالم أن القوة الدافعة لعمل الوصايا ليست من اختصاصنا بل هي العمل السري للروح القدس. يعلم هذا كل مؤمن سار في طريق الرب متمثلاً بالآباء الذين عاشوا وحياتهم التقوية ونسكهم وحبهم المتعظم للمسيح شاهدة على ذلك. فالثبوت والحب للمسيح مُعلنان وواضحان جداً في حياة وسيرة الآباء القديسين الذين صاروا شهوداً لصدق الإنجيل، وحياتهم صارت غمطاً عملياً لاتباع المسيح بكل القلب.

وبولس الرسول يصف الإنسان الذي يثبت في المسيح بإنسان يسير في وسط المعائر وهو مُمسك بالحياة الأبدية: «أمسك بالحياة الأبدية التي إليها دُعيت»^{١٢}. وكأنا بولس الرسول يتصور الإيمان المسيحي والثبوت في الرب بسُلّم قاعدته على الأرض بينما هو مسنود فوق على الحياة الأبدية، وعلى مَنْ دُعِيَ أن يسير تابعاً للمسيح ومُمسكاً فيه أن يصعد هذا السُلّم خطوة خطوة، ناظراً إلى فوق من حيث تأتي المعونة والقوة مُثبتاً يديه في السلم،

١١ أقرأ ١ يو ٥: ٣.

١٢ ١ تي ٦: ١٢.

غير عابئ بالعالم الذي يجذبه إلى أسفل .

ويعصف هذا المنظر شهيداً إنجليزياً شاب كان يعمل طبيباً
للجيش الإنجليزي، يُدعى شارل كولسن، أراد أن يدخل سراً إلى
الصين ليُشير بالمسيح، فأمسكه الحُرَّاس وأرادوا أن يقتلوه، فبكى
طالباً خمس دقائق فقط لكي يُصلي قبل أن يُقتل، فأنشد يقول
وهو ساجد:

”ألاً إني غريبٌ على الأرض، والسماء هي موطني؛
لا بد أن تنتهي غُرَبَتِي، وأمضي إلى موطني“ .
فتأثر الحارس وتركه حُرّاً ليدخل ويشير .

والحقيقة أن الذي يجعلنا نثبت في المسيح ماسكين في الحياة
الأبدية هو زيف هذا العالم، والمصائب والمكائد التي يحتفظ بها
لكل من أغراه العالم وجذَّبه إلى خداعه؛ فإما الزيف مع
المصائب، وإما الحقيقة مع السعادة الأبدية .

والحقيقة أيضاً، أن أتعاب الجهاد بالروح، وحفظ الإنسان
نفسه بلا دنس في هذا العالم، واحتمال منعصاته؛ أهْوَنُ آلاف
المرات من ضيق هذا العالم والحياة تحت نيره .
فاطلبوا الرب لأنه موجود .

٢٣ مايو ٢٠٠٥

الفرح في الإيمان المسيحي

الفرح الأبدي والمسرة الحقيقية كانت قد انقطعت عن الإنسان بعد خطية آدم، وظل الإنسان محروماً منها إلى أن تقبل بشارة الميلاد بالمسيح عندما ظهرت الملائكة للرعاة المتبدين حول بيت لحم، وأعلنت البشارة بميلاد المخلص الذي سيخلص الإنسان والعالم من أسر الخطية، حينما قالت الملائكة للرعاة: «المجد لله في الأعالي، وعلى الأرض السلام، وبالناس المسرة». فكانت ولادة يسوع بمثابة إعلان دخول سلام الله على الأرض بعد لعنتها أيام آدم، وكذلك دخول الفرح الأبدي والحقيقي إلى قلوب الناس بعد لعنة الخطية. فأصبح الإيمان بالمسيح يسوع المخلص هو بمثابة الدخول في عهد السلام والمحبة، وأصبح من خصائص الإيمان المسيحي الفرح الأبدي بالرب.

والفرح الأبدي في الإيمان المسيحي فرح من أخص خصائصه أنه عطية سماوية لا تُترع من الإنسان طالما هو مُمسك بالمسيح:

«ولا يترع أحد فرحكم منكم»^٢، أي أن الفرح الأبدي بالإيمان المسيحي هو عطية ثابتة تتحدّى العالم ورئيس هذا العالم ولا تتوقف حتى بالموت.

أعرف طبيباً تقياً حكى لي أنه لما ماتت أمه أي زوجة أبيه الذي هو شيخ بروتستانتي تقي وحرار بالروح، خرج الزوج مع المشييعين وراء نعش زوجته، وكان كل بضع خطوات يقف ويهتف: "هلليلويا" بأعلى صوته. فلما راجعه ابنه الطبيب، ردّ عليه: "اسكت، إننا نرف عروساً إلى السماء". هذه هي طبيعة الفرح الأبدي الذي لا يستطيع أحد ولا الموت أن يترعه منا.

والفرح الأبدي هو جوهر الإيمان المسيحي، وهو يتحدّى أحزان وضيقات هذا الزمان؛ بل ويتحدّى هذا العالم ورئيسه بكل مآسيه. فإن كانت الضيقات والأحزان هي من طبيعة هذا الدهر، فالفرح المسيحي طبيعة الزمن الحاضر والأبدي.

والذي وضع أساس الفرح في الإيمان المسيحي هو المسيح ذاته حينما واجه شيطان الحزن والألم، كما قال القديس بولس الرسول: «الآن أفرح في آلامي لأجلكم»^٣. فالفرح في الحزن والألم هو تسليمٌ إلهي أخذناه من المسيح، وهو أعظم تحدٍّ لشيطان

^٢ يو ١٦: ٢٢.

^٣ كو ١: ٢٤.

هذا العالم الذي جعل من الحزن والألم إغراءً للخضوع تحت سلطانه. لذلك لا يكفُّ الكتاب عن التشديد على التمسُّك بالفرح الأبدي وجعله وسيلة الغلبة على الشيطان، فالكتاب يقول: «افرحوا... وأقول أيضاً افرحوا»^٤. هذا أسلوب واضح لجعل الفرح الإلهي الأبدي في صُلْب إيماننا.

أما سند الفرح الأبدي الذي يضمن خلوده في الإنسان فهو الفرح بالرب، أي أن جوهر الفرح الأبدي هو شخص المسيح نفسه الذي يُؤمِّنه بوجوده معنا: «أنا معكم كل الأيام...»^٥، «أخيراً يا إخوتي افرحوا في الرب»^٦، «افرحوا في الرب كل حين وأقول أيضاً افرحوا»^٧.

وهكذا يصبح الإيمان المسيحي بالفرح مشدوداً بقوة غالبية للعالم بكل مآسيه. ويتضح لنا جداً الإيمان المسيحي بالفرح الذي يُقيِّمه أعظم ميراث أخذناه من المسيح، وهو بمثابة كرت مرور فوق العالم، وإقرار سرِّي أننا من أبناء الملكوت.

وهكذا أظن أن القارئ يفهم لماذا يُشدَّد الكتاب المقدس على

٤ في ٤ : ٤.

٥ مت ٢٨ : ٢٠.

٦ في ٣ : ١.

٧ في ٤ : ٤.

الفرح في الرب في الإيمان المسيحي عندما يقول: «افرحوا... وأقول أيضاً افرحوا»، أي الفرح بالرب هو البداية والنهاية، هو بمثابة الدخول والوصول معاً إلى زمرة القديسين المدعوّين. فالفرح الحقيقي بالرب هو بمثابة القيامة من بين الأموات، لأن الفرح بالموت هو بمثابة القيامة منه، ولا قيامة من الأموات إلا بالمسيح، لأن المسيح هو بكر الأموات: «وأنا إن ارتفعت عن الأرض أُجذب إلي الجميع»^٨. إذن، فرح الإيمان هو فرح قيامة؛ وإن كان الفرح الذي في العالم وقتياً وزمناً يتغيّر سريعاً إلى حزن، فإن فرح الإيمان هو فرح حقيقي لا يتغيّر، ويدوم، ويفوق الوصف والعقل، ويصفه الكتاب بأنه: «فرح لا يُنطق به ومجيد»^٩. فهو فرح بالمسيح القائم في المجد، فإذا استعلن المسيح نُستعلن معه. ويقول: «وأنا أفرح لأجلكم»^{١٠}، أصبح فرح المسيح فرحنا من داخل "الآن" الزمني، فلا يفصلنا هذا الدهر عن الفرح بالمسيح.

٢٤ مايو ٢٠٠٥

^٨ يو ١٢: ٣٢.

^٩ ١ بط ١: ٨.

^{١٠} يو ١١: ١٥.

النعمة في الإيمان المسيحي

النعمة فيضٌ إلهي مُنسكب على الإنسان العائش في الإيمان الحق. والنعمة في الإيمان المسيحي هي عطية هدفها استعلان الحق الذي في المسيح، لأن المسيح هو ملء الحق الإلهي الموهوب للإنسان مجاناً. وأول ما عرفنا النعمة، عرفناها في شخص المسيح الذي يقول عنه القديس يوحنا: «والكلمة صار جسداً وحل بيننا، ورأينا مجده مجدداً كما لو حيد من الآب مملوءاً نعمةً وحقاً»^١. وأول ما عرف الإنسان ملء النعمة، عرفها وهي مُنسكبة على العذراء القديسة مريم لَمَّا حملت بالكلمة، إذ أعلن الملاك لها: "السلامُ لك يا ممتلئة نعمة"^٢. فلما أحسَّت العذراء هذا الملء الإلهي من قِبَل الله صرخت مُعلنة: «لأن القدير صنع بي عظام... فهوذا منذ الآن جميع الأجيال تُطوِّبني»^٣. وهكذا، فبالإيمان بالمسيح نال الإنسان ملء النعمة والحق،

١ يو ١: ١٤.

٢ لو ١: ٢٨.

٣ لو ١: ٤٨، ٤٩.

وتأهل الإنسان بالإيمان بالمسيح أن يبلغ ملءَ قامة المسيح. وهذه العطية المنسكبة على الذين يؤمنون حقاً بالمسيح عبّر عنها المسيح قائلاً: «أنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني». لذلك فإن غاية النعمة التي نلناها في المسيح هي أن نكون شركاء مجده. وهكذا فإننا بالإيمان الحق بالمسيح، ننال فيض النعمة الذي يؤهلنا لنكون شركاء في مجد المسيح ومؤهلين أن نستعلن مجده: «أيها الآب، أريد أن هؤلاء الذين أعطيتني يكونون معي حيث أكون أنا، لينظروا مجدي الذي أعطيتني».

وملء المسيح بالنعمة أعطي أن ينسكب علينا: «ومن ملئه نحن جميعاً أخذنا، ونعمة فوق نعمة»، أي نعمة غير متناهية؛ فهو ملء أبدي، وقد جعل الآب السماوي أنه بمجرد أن نؤمن ونعترف باسم المسيح نكون في استحقاق انسكاب النعمة علينا: «الذي به، لأجل اسمه، قبلنا نعمة ورسالة، لإطاعة الإيمان في جميع الأمم».

فأرجو من القارئ أن يقف ملياً عند قوله: «الذي به، لأجل

٤ يو ١٧: ٢٢.

٥ يو ١٧: ٢٤.

٦ يو ١: ١٦.

٧ رو ١: ٥.

اسمه، قَبَلْنَا نعمة»^٨. هذا هو اسم المسيح الذي يخشى الضعفاء في الإيمان النُطق به، مع أنه سرُّ قوة الإيمان الذي نجاهر به. فالنعمة تنسكب على كل مَنْ يُنادي به، إذا ما وقعنا في ضيقة أو تعبير باسم المسيح. وبولس الرسول جعل الرحمة والنعمة والعون الإلهي لكل مَنْ يتقدم بثقة إلى المسيح: «فلتقدّم بثقة إلى عرش النعمة لكي ننال رحمة ونجد نعمة عوناً في حينه»^٩، ويلاحظ هنا أن بولس الرسول يرى أن عرش الله هو عرش النعمة، لأنّ منه تخرج كل مراحم الله.

على أن قوة النعمة المسكوبة من عرش المسيح لها فاعلية التكفير والتبرير: «متبرّرين مجاناً بنعمته، بالفداء الذي بيسوع المسيح»^{١٠}.

ونعمة المسيح هي من نصيب الضعفاء المتمسكين بإيمان المسيح، وهي بحدّ ذاتها قوة كاملة: «تكفيك نعمتي، لأن قوتي في الضعف تُكَمِّل»^{١١}. لذلك فإن صراخ الضعفاء حتى ولو كانوا من خارج الكنيسة يجتذب النعمة؛ فنحن نعرف قصة "جولشان"

^٨ رو ١: ٥.

^٩ عب ٤: ١٦.

^{١٠} رو ٣: ٢٤.

^{١١} ٢ كو ١٢: ٩.

الباكستانية التي ظلت تصرخ إلى "عيسى بن مريم" (حسب تعبيرها) ثلاث سنوات. فجاءها بنفسه وعرفها بنفسه أنه يسوع المسيح، وشفاهها من حالة شلل ميئوس منه، وقال لها: "قومي". فقامت صحيحة، وسجدت له، وتم فيها بالفعل القول: «قوّتي في الضعف تُكْمَل». وهذا هو الضعيف الملحاح، الذي لم يكف عن الصراخ ثلاث سنوات.

ونعمة المسيح، كما قلنا، تبرّر الإنسان الطالبَ مراحِمَ الله، والمسيح يهتم جداً بالذين يترجّون نعمته، لأنه عالم أنه رجاءٌ للحياة: «ولكن حين ظهر لطف مُخلّصنا الله وإحسانه، لا بأعمال في برّ عملناها نحن، بل بمقتضى رحمته خلّصنا بغسل الميلاد الثاني وتجديد الروح القدس، الذي سَكَبَهُ بَغْنَى عَلَيْنَا يسوع المسيح مُخلّصنا، حتى إذا تبرّرنا بنعمته، نصير ورثة حسب رجاء الحياة الأبدية»^{١٢}.

٢٥ مايو ٢٠٠٥

الراحة العليا

يقول السيد: «تعالوا إليَّ يا جميع المُتعبين والثَّقيلي الأحمال، وأنا أُريحكم»^١ (مت ١١: ٢٨). هنا يُخاطب الرب الذين لم يعرفوا بعد طريق الرب. والبُعد عن الرب هو سرُّ الأتعاب وحمل أثقال وهموم هذا العالم. والذين سخرَّهم العدو، لا يشعرون أن هناك راحة مُعدَّة أعدَّها المسيح للذين يحبونه، ويُسلمون حياتهم ليدَّيه لكي يُسيِّج حولهم ويحفظهم من ظلم هذا العالم وسلطان الشرير. لأن العالم أُعطيَ للشيطان، وأصبح له سلطان ليسخرَّ الذين أحبوا هذا العالم وأحنوا ظهورهم لعبوديته. هنا يظهر المسيح كونه الفادي والمنقذ الذي استطاع أن يغلب العالم: «ثقوا، أنا قد غلبتُ العالم»^٢. فهو يُخاطبنا من مركز سلطانه الغالب الذي امتلك النصرة وأعدَّ الراحة للذين أتعبهم هذا العالم وسخرَّهم ليحملوا أثقاله. والرب يدعو إلى الراحة وهو في أوج

^١ مت ١١: ٢٨.

^٢ يو ١٦: ٣٣.

سلطانه فوق العالم: «ثقوا، أنا قد غلبتُ العالم». والرب غلب العالم لنا، لأنه ليس من هذا العالم.

فالإيمان بالمسيح وأتباع صوته يجذبنا إليه للتحرُّر من سلطان العالم وجذب الشيطان الشديد. لذلك يدعونا إليه وهو في أَوْج قوته وسلطانه واعداً بالحرية والراحة الأبدية الذين يسمعونهم ويتبعونه: «إِنْ حَرَّرَكُم الابن، فبالْحَقِيقَةُ تكونون أحراراً»^٣. وهو يقصد التحرُّر من الخطية وجذب العالم والشيطان. فالراحة الأبدية مفتوحة علينا منذ الآن، فوعده المسيح صادق: «احملوا نيري عليكم وتعلَّموا مني، لأني وديع ومتواضع القلب، فتجدوا راحة لنفوسكم. لأن نيري هَيِّنٌ وحَمْلِي خَفِيفٌ»^٤.

وبعد هذا النداء المملوء ثقةً ومحبةً وعطفاً، فإن المسيح يحذِّر من عدم أتباعه وعدم الإيمان به هكذا: «وَلِمَنْ أَقْسَمَ لَنْ يَدْخُلُوا راحته، إِلَّا لِلَّذِينَ لَمْ يَطِيعُوا؟ فَنَرَى أَنَّهُمْ لَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يَدْخُلُوا لِعَدَمِ الْإِيمَانِ»^٥.

والإحساس بالراحة الحاضرة الآن نتذوِّقه عندما تكفُّ الخطية

^٣ يو ٨: ٣٦.

^٤ مت ١١: ٢٩، ٣٠.

^٥ عب ٣: ١٩.

عن سلطاتها علينا فنشعر بالنصرة، ونحن في ملء راحتنا الوقتية، وهذا عربون الراحة العليا المذخرة لنا عوض أتعاب هذا الدهر الثقيلة وحمل نيره المذل. لذلك فإن ضوء الراحة العليا مُلقًى على قلوبنا، منذ الآن، يدعونا ويجذبنا ويُفرح قلوبنا. فنحن لا بد غالبون ومنتصرون، لأن مذاقة النصر على الخطية والغلبة على هذا العالم هما عربون الراحة العليا التي تنتظرنا فوق.

كذلك يحذرنا سفر العبرانيين قائلاً: «فَلَنَخَفْ أَنَّهُ مَعَ بَقَاءِ وَعْدِ بِالدُّخُولِ إِلَى رَاحَتِهِ، يُرَى أَحَدٌ مِنْكُمْ أَنَّهُ قَدْ خَابَ مِنْهُ... لِأَنَّنَا نَحْنُ الْمُؤْمِنِينَ نَدْخُلُ الرَّاحَةَ»^٦.

ومن المفرح للنفس جداً أن نترقّب مجيء الرب وظهوره لكي نَظْهَرَ نَحْنُ أَيْضاً مَعَهُ^٧ وَنَدْخُلَ رَاحَتَنَا الْعُلْيَا.

٢٧ مايو ٢٠٠٥

٦ عب ٤ : ٣١.

٧ ١ يو ٣ : ٢.

الموطن السعيد

لقد امتلأ العالم بالأوطان الزائلة، وبأزمان زالت وتزول، وملوك حكموا وماتوا. وصار تاريخ الإنسان عبارة عن صورة متحركة تلمع إلى اللحظة ثم تتحرك بسرعة لتُعطي لغيرها المكان والزمان. والإنسان يتوهم أنه يعيش في وطنه، يعطيه كل الحب وكل الاحترام، ويموت ليُعطي غيره المكان. ولكن من وراء هذه الأزمنة والأوقات والأماكن والأوطان، أعطى الله للإنسان هبة الإيمان بأنه عائد في النهاية إلى وطنه الأبدي لزمن أبدي.

وأرسل الله ابنه الوحيد ليفتح الزمان الأبدي ويُعطي الإنسان سرَّ الوطن السمائي الأبدي، معبراً عنه بمفتاح ملكوت السموات الذي سلّمه ليد رسوله المحبوب بطرس وباقي الرسل ليُسَلِّمُوهُ بدورهم لكل مَنْ آمن بالمسيح. وفي سفر أعمال الرسل نجد بطرس الرسول يُعطي الذين آمنوا سلطان الفتح والغلق بمقتضى الاعتراف والاغتسال من الخطايا بالمعمودية: «فقال لهم بطرس: توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران

الخطايا، فتقبلوا عطية الروح القدس»^١. والقديس بولس الرسول أعطى هذا المفتاح حينما قال له حنانيا (وهو لم يزل شاول): «إله آبائنا انتخبك لتعلم مشيئته، وتُبصر البار، وتسمع صوتاً من فمه... والآن لماذا تتوانى؟ قُمْ واعتمد واغسل خطاياك داعياً باسم الرب»^٢.

وهكذا انفتح أمامنا طريق ملكوت السموات ليصير هو وطننا النهائي. فإن كان وطننا الأرضي الزمني نستلمه من آبائنا الجسديين، كل واحد حسب صفاته الموروثة من القامة ولسون الجلد وسلوكنا في الحياة، فأصبح كل وطن أرضي مملوءاً أشكالاً وألواناً وعادات وأنواع سلوك؛ إلا أنه بقي لنا وطن آخر سماوي أبدي استلمناه من المسيح نفسه ليصير الكل واحداً في المسيح، لا ذكر وأنثى، ولا سيد وعبد، ولا أبيض وأسود، ولا شرير في سابق حياته أو تقي، ولكن الكل في قامة المسيح، وصفات إلهية واحدة، وكلنا أعضاء جسد المسيح غير المحدود، وكلنا لنا إيمان واحد على مستوى ملء قامة المسيح في المجد^٣.

١ أع ٢: ٣٨.

٢ أع ٢٢: ١٤، ١٦.

٣ أقرأ أف ٤: ١٣.

وإن كانت أوطاننا الأرضية مُقَفَّلة ومنفصلة عن بعضها البعض، تتحارب وتتناحر، لها ملوك ورؤساء وأغنياء وفقراء وقتلة ولصوص؛ لكن الوطن السماوي غير محدود يملأ كل الوجود، كله قامة واحدة في المسيح، لأننا سنكون كلنا أعضاء جسده السماوي الإلهي غير المحدود، كله قديسون وقديسات، لا فرق بين ذكر وأنثى، فالكل واحد في المسيح يَنْعَم بحبه وسلطانه. فهو الوطن الواحد السعيد، ليس فيه بعدُ حزن ولا كآبة ولا تنهَد، بل الفرح دائماً في نور قديسيه، حيث سيمسح المسيح كل دَمعة من عيون مُتَّقِيهِ، فيفرحون معه فرحاً أبدياً يُظِلُّلهم مجد المسيح: «أريد أن هؤلاء (تلاميذ الرب) الذين أعطيتني يكونون معي... لينظروا مجدي... وأكون أنا فيهم»^٤.

أما سرُّ السعادة الأبدية في وطننا الجديد السعيد فهو حب الله والمسيح: «ليكون فيهم الحب الذي أحببتني به»^٥. فإن كانت الأحزان والأوجاع في الوطن الأرضي الزمني هي من صُنع أيدينا، ومن عبودية الخطية التي سَرَّت في قلوبنا وأفكارنا؛ إلا أن السعادة

^٤ رؤ ٢١: ٤.

^٥ يو ١٧: ٢٤، ٢٦.

^٦ يو ١٧: ٢٦.

الأبدية في وطننا السمائي نابعة من قلب الله وفائضة على الكل. وهكذا يظل القديسون يمجّدون ويُسبّحون على الدوام، لأنه هناك لا يكون ليل أو نهار^٧، بل تهلّيل وتسييح يدوم إلى الأبد، وتسود نعمة الله على كل قلب، فيصبح وطننا الأبدي هو عينه النعيم الدائم الذي يفيض من كل قلب، ومن شدة الفرح يصير صراخ القديسين الملتهمين بالحبّة الإلهية صراخَ تمجيدٍ وتعظيمِ الله، ويصير تسييح القديسين مُكمّلاً لنشيد الملائكة، فتضجُّ الخليقة كلها بتمجيد الله على الدوام.

فمتى ينتهي هذا الزمان، وندخل إلى نعيمنا الأبدي، ونستريح من جذب هذا العالم الشديد؟ إن عزاءنا الوحيد هو أن وعد الله صادق، والمسيح هو الحق. لذلك فإن رجاءنا في الرب شديد وبيقين، وهو أملنا الوحيد الذي ننتظره بفارغ الصبر، والكتاب المقدس يشدُّ أزرنا بقوله إن الإيمان بالمسيح هو «الثقة بما يُرجى، والإيقان بأمور لا تُرى»^٨. آمين، تعال أيها الرب يسوع، ولينته العالم!

٢٧ مايو ٢٠٠٥

^٧ رؤ ٢٢ : ٥.

^٨ عب ١١ : ١.

الحصان الأحمر لقد انتزع السلام من على الأرض

هذه قصة صادقة رأتها في الرؤيا الاستعلانية سيدة باكستانية ثرية غاية الثراء، وكانت مُطلّقة، فأصبح المسيح عزاءها، وكانت مبتدئة في الإيمان المسيحي ولم تقرأ بعد العهد القديم.

هذه السيدة التقية كانت موهوبة وتعرّفت على المسيح بدون أحد من الناس. وفي ليلة رأت رؤيا كانت قد وردت بنصها في سفر الرؤيا. رأت ملاكاً راكباً حصاناً أحمر وبيده سيف وقد نزل من السماء وهو شاهر سيفه، صارخاً بصوت عظيم وهو نازل إلى الأرض وسنابك أقدامه تحفُّ في الأرض وكان يصعد وينزل: «فخرج فرسٌ آخرٌ أحمر، وللجالس عليه أُعطي أن ينزع السلام من الأرض، وأن يقتل بعضهم بعضاً، وأُعطي سيفاً عظيماً»^١.

فلما قرأت هذه الرؤيا في سيرة السيدة "بلقيس" الباكستانية

^١ رؤ ٦: ٤.

انذهلتُ، لأنها لم تَرَ إلا هذا المنظر فقط دون أن تذكر أية أحصنة أخرى، وكأنه انتقاء يشير إلى الزمان الذي نحن فيه، وهذا حقٌ. فلم يحدث منذ بدء الخليقة أن تقوم الأوطان ولا البلاد بعضها على بعض، وأن يقتل الشعوب بعضهم البعض، إلا في هذا الزمان الذي نحن فيه الآن. فعرفتُ أننا في الزمن الأخير، لأن في سفر الرؤيا يجيء ذِكرُ هذا الحصان الأحمر في نهاية الزمان، ويتبعه مباشرة مجيء الحصان الأسود الذي في زمانه يخرب العالم وتصير مجاعة قاتلة.

فقلتُ في نفسي: هذه توعية نادرة لابد أن يُشاركني فيها كل قارئ، لأننا في زمن نقرأ فيه كل يوم عن حروب وأخبار حروب وإرهاب وقتل حتى في أعظم الدول، وقد اشتعل لهيب الحرب والقتل إلى باقي الدول، وأوضح صورة للعالم الآن أنه يجوز محنة آخر الأيام، حيث لا رجاء في صلح أو سلام، إنما يكثر فيها الخوف والفرع، إذ لا يعرف فيها الإنسان مصيره إن كان سينجو من هذا الإرهاب أو سُنزع من بيته، لأن الطبيعة أيضاً بدأت تحارب الإنسان، فالزلازل والأوبئة والبراكين وطغيان البحار بدأت كلها معاً تُكشِّر عن أنيابها وكأنها عدو متربِّص. ولكني أعتقد أنها رَجَعُ لصورة الإنسان وهو يفتك بأخيه

الإنسان. فإن كان قد انْتَرَعَ السلام من قلب الإنسان، فالطبيعة كَفَّتْ عن أن تعطي سلامها للإنسان. لأنه منذ البدء جعل الله الطبيعة تخدم الإنسان، إن هو تصالح مع الله؛ ولكن إن هو أعطى ظهره لله وتعَدَّى على سلطانه، فالله يرفع السلام الذي يربط الإنسان بالطبيعة وتكفُّ قوانين الطبيعة عن أن تخضع للإنسان بل تبدو وكأنها خاضعت للإنسان. والزلازل والبراكين والظوفان ما هي إلا عصيان سافر لسلطان الإنسان، فلم تُعَدْ تخدم سلامه. فبنظرة واحدة إلى الفيضانات في العالم الآن، نتيقن أن المحيطات والأهوار عَصَتْ أمر الله وخرجت عن حدودها التي رسمها لها الله ألا تتعداه.

كما نسمع الآن أن الحيوانات التي كانت تطيع أمر الإنسان كسيّد عليها، بدأت تعصاه وتهجم عليه وتفترسه، وهكذا فَقَدَ الإنسان هيئته عليها، وبات يخاف على نفسه وعلى أولاده من فَتْكِها، ولم تُعَدْ الخليقة تثنُّ في نفسها منتظرة فداء أجسادنا، بل ترنو إلى افتراسها وأكلها، حتى أصبح الإنسان بالرغم من سطوته يرتعب من افتراسها. وهكذا انقلبت الخليقة عليه، فبعد أن كان

سيدها أصبحت هي سيدة عليه يعمل لها ألف حساب.

وأصبح همُّ العلماء أن يجدوا وسيلة للسيطرة على البراكين والزلازل والفيضانات التي أصبحت تهدد سلام الإنسان، ولكن بلا طائل. وهكذا فرط الله في إقامة سياج يحمي سلام الإنسان من سطوة الخليفة المعادية للإنسان الذي أصبح يواجهها سافراً ويشعر بصغر نفسه إزاء التهديد الذي يواجهه في الزلازل والبراكين والفيضانات العاتية. فالزلازل الذي أصاب جنوب آسيا ابتلع ما يزيد عن مائتي (٢٠٠) ألف نسمة في ساعات قليلة، والعالم كله يقف ويسمع ويرى وهو مكتوف الأيدي.

وكأني بصدد نداء الرب لآدم لَمَّا خالف وصية الله: «أين أنت يا آدم»^٣. والآن يُنادي الله الإنسان في نفس الموقف بعد الهلاك الذي عاناه من الزلازل والفيضانات: «أين أنت أيها الإنسان»؟!

٢٧ مايو ٢٠٠٥

^٣ أنظر تك ٣ : ٩ .

ماء الحياة

الماء الطبيعي عماد الحياة الأرضية لكل حيٍّ، وليس مخلوق تحت السماء ويدب علي الأرض إلا والماء عنصر حياته. فاختيار المسيح صفة الحياة للماء الإلهي الذي ينسكب سرّاً على الروح فيهبها الحياة الأبدية، هو وصف بديع يغري الإنسان العطشان حقاً إلى الحياة أن يسعى إليه متوهماً أنه يشرب بالفم؛ ولكن ماء الحياة لا يُشرب بالفم بل بالروح، في سرٍّ إلهي، لأن ماء الحياة هو الماء الحي أي الماء الذي يسقي العطشان روح الحياة.

والإنسان العطشان للماء الحي هو الذي يتشوّق إلى الحياة الأبدية، والحياة الأبدية ليست من هذا الدهر، بل هي الحياة الحق أو هي حياة الله التي تنبع وتفيض بالروح القدس. فهي جوهر الوجود الإلهي الذي أهّل الإنسان لينالها عن طريق الإيمان بيسوع المسيح الذي سكب علينا الروح القدس من عند الآب الذي هو عنصر الحياة الدائمة. لذلك يقول الرب: «إن عطش أحد

فليُقبل إليّ ويشرب»^١.

وقد كشف المسيح عن معنى وقوة الماء الحي الذي يعطيه هكذا: «كل مَنْ يشرب من هذا الماء يعطش أيضاً. ولكن مَنْ يشرب من الماء الذي أُعطيه أنا فلن يعطش إلى الأبد. بل الماء الذي أُعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية»^٢. هذا هو عجب الماء الحي، أي الذي يُعطيه المسيح، لا يُطفئ فقط عطش الإنسان إلى المسيح وإلى الحياة الأبدية، بل ويُخرج أيضاً من بطنه أثمار ماء حي! فالماء الحي قوة إلهية سرّية لا تتوقف ولا تُحبس، بل حيّة، بمعنى أنها لا تبقى أبداً ساكنة في قلب الإنسان، ولكنها تنسكب من قلب الله لتنسكب من القلب الذي يتقبّلها، وهذا وحده هو سر بقاء ودوام الحياة الأبدية التي يحتويها الماء الحي. فهي قوة متنقلة من قلب إلى كل قلب، كل مَنْ يفتح عليها. فبمجرد أن قبلتها المرأة الخاطئة على البئر، خرجت تجري لتدعو المدينة كلها لتأتي وتشرب.

والماء الحي لا يُشرب فقط، بل ويغتسل فيه الإنسان بالمعمودية، وهكذا يخرج في الحال وييسر. فبولس بعدما قبل

^١ يو ٧: ٣٧.

^٢ يو ٤: ١٣، ١٤.

الإيمان واعتمد بالماء قام في الحال يبشر بالمسيح الذي ارتوى منه؛ وهكذا انتقل الماء الحي عبْر المعمودية إلى جميع مؤمني العالم في كل الدهور ولم يكفّ حتى الآن.

وشرب الماء الحي أصبح يُعبّر به عن قبول الإيمان الحي وعن التأهيل لقبول الحياة الأبدية.

وإن انقطع الإنسان عن شرب الماء الطبيعي مات؛ هكذا من انقطع عن شرب الماء الحي، لأنه هو قوام الحياة الأبدية.

ولكي يُسهّل الله للإنسان الشرب الدائم من ماء الحياة وقبول الحياة الأبدية، جعل الكلمة التي يقولها هي روح وحياة بحدّ ذاتها. فالذي يقرأ الإنجيل بوعي وبروح استعلائي، فإن الكلام يتحوّل إلى ينبوع ماء حي يروي النفس ويؤهلّها للحياة الأبدية، فكلام يسوع المسيح يُشرب كالماء، وينبع داخل الإنسان إلى أنهار ماء حية، كقول الرب^٣.

والماء الحي رَحِمَ إلهي جديد يولّد منه الإنسان الجديد، «إن كان أحد لا يولّد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله»، «المولود من الجسد جسد هو، والمولود من الروح هو

^٣ يو ٧: ٣٨.

^٤ يو ٣: ٥.

روح»^٥.

فهذا هو مصدر الإنسان الجديد الذي يُعْتَبَر أنه روح إن هو اعتمد من الماء والروح القدس.

ويلاحظ أن بحلول الروح القدس على العذراء، ولدت لنا المسيح وهي عذراء؛ هكذا بسبب حلول الروح القدس على الماء يصير ميلاد جديد للإنسان الروحي المؤهَّل لدخول ملكوت السموات فوق. فماء المعمودية الحال عليه الروح القدس بمثابة بطن عذراء يولد منها الإنسان الجديد ليحيا فوق ولينطق بالروح، كالولد الصغير المولود من أمه يصرخ علامةً على أنه حي. وهكذا يقول الرب لنيقوديموس: «ينبغي أن تولدوا من فوق»^٦.

وهكذا أصبح ماء الحياة الأبدية عنصراً ثابتاً أبدياً لميلاد الإنسان الجديد يُعطيه المسيح لِمَنْ يطلبه: «مَنْ يعطش فليأت. وَمَنْ يُرِد فليأخذ ماء حياة مجاناً»^٧.

٢٨ مايو ٢٠٠٥

^٥ يو ٣: ٦.

^٦ يو ٣: ٧.

^٧ رؤ ٢٢: ١٧.

خبز الحياة

هكذا انقلبت لعنة الله على آدم: «بعرق وجهك تأكل خبزاً»، فصار العالم وكل ذرية آدم تجاهد وتكدح من أجل لقمة العيش، وكثيرون الآن لا يجدونها ويموتون جوعاً.

إلى أن سمعنا الخبر السعيد: «أنا هو الخبز الحي الذي نزل من السماء. إن أكلَ أحدٌ من هذا الخبز يحيا إلى الأبد. والخبز الذي أنا أعطي هو جسدي الذي أبذله من أجل حياة العالم»^١، «هذا هو الخبز الذي نزل من السماء. ليس كما أكل آباؤكم المنّ وماتوا. من يأكل هذا الخبز فإنه يحيا إلى الأبد»^٢!

ليس خبزاً عادياً، بل كما قال المسيح إنه خبزٌ حقيقي، مُعَبَّرٌ تماماً عن شخص المسيح ذاته! أي هو خبزٌ استعلائي، من يأكله يأكل الحق. لذلك يقول المسيح إنه الخبز الحقيقي: «من يأكلني

١ تك ٣: ١٩.

٢ يو ٦: ٥١.

٣ يو ٦: ٥٨.

٤ يو ٦: ٣٢.

فهو يحيا بي»^٥، «فأحيا لا أنا، بل المسيح يحيا في»^٦. هذا هو حال مَنْ يأكل جسد المسيح الحي، حتى أن بولس الرسول ينطلق من هذا المعنى ويقول: «لأننا أعضاء جسمه، من لحمه ومن عظامه»^٧. أي صرنا، بأكل جسد المسيح السري، أحياء بالمسيح وفيه. وهكذا انتقل بنا نقلة عظيمة من مجرد وجود بشري إلى وجود مسيحي فائق، إذ نُعتبر أننا أحياء في شخص المسيح كأولاد حقيقيين لله، مدعوين قديسين في المسيح القدوس. وهكذا بالرؤية الفائقة أصبحنا متغربين عن الأرض، أحياء لله. فالمسيح حيٌّ فينا، ويتحقق بذلك قول المسيح للآب: «أنا فيهم وأنت فيّ ليكونوا مُكمّلين إلى واحد»^٨.

أشياء أغرب من الخيال! ولكن هذه هي حقيقة الإيمان بالمسيح والاتحاد به. والمسيح في الأصحاح السابع عشر من إنجيل يوحنا يُخاطب الله أباه: «أريد أن هؤلاء الذين أعطيتني يكونون معي حيث أكون أنا، لينظروا مجدي... ليكون فيهم الحب الذي

٥ يو ٦ : ٥٧.

٦ غل ٢ : ٢٠.

٧ أف ٥ : ٣٠.

٨ يو ١٧ : ٢٣.

أَحْبَبْتَنِي بِهِ، وَأَكُونُ أَنَا فِيهِمْ»^٩.

هذا هو يسوع المسيح الخبز الحي الذي نزل من السماء ليرتفع بنا إلى فوق، حيث الوطن السعيد الذي سيجمع مختاريه من كل مكان في العالم ليعيشوا معه وينظروا مجده: «متى أُظهِرَ الْمَسِيحُ حَيَاتُنَا، فحينئذ تَظْهَرُونَ أَنْتُمْ أَيْضاً مَعَهُ فِي الْمَجْدِ»^{١٠} و«إِذَا أُظْهِرَ نَكُونُ مِثْلَهُ، لِأَنَّنَا سَنَرَاهُ كَمَا هُوَ»^{١١}.

هذا هو جوهر الإيمان المسيحي وغايته السعيدة. وهذا هو سر الخبز النازل من فوق الذي أُعْطِيَ لَنَا أَنْ نَأْكُلَهُ مَعاً الْآنَ فِي سِرِّ الشَّرَكَةِ الَّتِي تَجْمَعُنَا فِي شَخْصِ الرَّبِّ؛ لِنُؤَهِّلَ لِلنَّقْلَةِ السَّعِيدَةِ، وَنَعِيشَ فِي اسْتِعْلَانِ الْمَجْدِ الَّذِي لِلابْنِ الْوَحِيدِ، وَنَكُونُ دَائِماً مَعَهُ فِي نَعِيمِهِ الْأَبَدِيِّ.

إِذَا هَذَا نَرَفَعُ قُلُوبَنَا مَعَ بُولُسِ الرَّسُولِ وَنُبَارِكُ اسْمَ اللَّهِ الْقُدُّوسِ قَائِلِينَ: «مُبَارَكُ اللَّهُ أَبُو رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي بَارَكَنَا بِكُلِّ بَرَكَةٍ رُوحِيَّةٍ فِي السَّمَاوِيَّاتِ فِي الْمَسِيحِ، كَمَا اخْتَارَنَا فِيهِ

^٩ يو ١٧: ٢٤، ٢٦.

^{١٠} كو ٣: ٤.

^{١١} ١ يو ٣: ٢.

قبل تأسيس العالم، لنكون قديسين وبلا لوم قدامه في المحبة»^{١٢}.
ونحن نتعجب جداً بكون مكاننا في وسط القديسين قدام الله
مباشرة، الأمر الذي يفوق درجة الملائكة ورؤساء الملائكة، هذا
بسبب قيامنا كأعضاء في جسد المسيح، الجسد الذي أُعطي أن
نأكله في سرّ الإفخارستيا، أي الشركة في وليمة المحبة التي تتوق
الملائكة أن تطلع عليها، فهي سر أسرار المحبوب الذي انفتحت
أعيننا عليه منذ أن كُنّا رُضعًا، بعد أن تعمّدنا مباشرة. هليلويا.

٣٠ مايو ٢٠٠٥



- ١١ - الْقُدَّاسُ

القُدَّاسُ أصلاً هو تسبحة الصاروفيم أمام عرش الله، وقد استُعْلِنَ لإشعياء النبي استعلاناً فوق الوصف والعقل، فهذا هو مضمون القداس الذي تقبلته الكنيسة بسرّ رهيب من أسرار ملكوت السموات.

وأساس القداس الصاروفيمي السماوي الذي استُعْلِنَ لإشعياء النبي، هو النداء بصفة جوهر الرب الفائق على العقل (أي صفة القداسة). فقداسة الله التي جاءت على لسان الصاروفيم هنا هي صفة الله أساس كل تسبيح وتمجيد، وقد استُعْلِنَت لإشعياء النبي لأول مرة منذ بدء الوجود، توطئة نبويّة لنزول الله على الأرض، لأن مضمون التسبحة عند الملائكة لا يتعدّى السموات. ولكن هنا يَسْتَعْلِنُ الصاروفيم نزول الرب من السماء إلى الأرض، فقال مُكْمَلًا التَّسْبِيح: «مجده ملء كل الأرض». هذا مضمون

رؤيوي لتجسّد الرب الذي سيملاً الأرض كما أنه ملء السموات. والمعروف أن إشعياء هو المصدر الوحيد الذي أعلن له ميلاد الرب من العذراء: «ها العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل»^٢، فكان في تصوّره أن الصاروفيم في السماء لابد أن يقوم بتسبحته الإعلانية لأن ميلاد ابن الله ملاً الأرض فعلاً بمجده، كما سجّلت صفوف جند السماء هذه الحقيقة لحظة ميلاد الرب في بيت لحم: «المجد لله في الأعالي، وعلى الأرض السلام، وبالناس المسرة»^٣. وهذه الأنشودة تُعتبر الرّجّع لهتاف الصاروفيم: «مجده ملء كل الأرض»^٤. وهكذا اختصّت الكنيسة المملوءة بالروح بإضافة: «المجد لله في الأعالي وعلى الأرض...». وفي موضع آخر تقول الكنيسة: «السماء والأرض مملوءتان من مجدك الأقدس» (القداس الإلهي).

واسم «القدوس» المكرّر ثلاث مرات في تسبحة الصاروفيم، هو في جوهره استعلان واقع الآب والابن والروح القدس. ولذلك يُعتبر القدّاس اليوم في الكنيسة هو النطق الإلهامي للثالوث

٢ إش ٧: ١٤.

٣ لو ٢: ١٤.

٤ إش ٦: ٣.

الأقدس، والتهليل الجوهري الاستعلائي للمساواة في طبيعة الله القدوس. لذلك صار للكنيسة فخرٌ لدى الصاروفيم الآن، إذ أنها أكملتْ تسبحتهم. وهكذا يتم استعلان اللاهوت في السماء لدى الشاروبيم والصاروفيم وبقية صفوف الجند والملائكة بواسطة الكنيسة، كما يقول بولس الرسول: «لكي يُعرَّف الآن عند الرؤساء والسلاطين في السماويات، بواسطة الكنيسة، بحكمة الله المتنوعة، حسب قصد الدهور الذي صنعه في المسيح يسوع ربنا».

وأعظم ما في تقديس الله بالحق والروح، أن الإنسان يُصبح مشتركاً في القداسة عينها. وهكذا بهذا القداس الإلهي الذي نقيمه كل يوم، نعلن عن حقنا كمشاركين في هذا التقديس، ونهايتنا فوق، حيث صفوف القديسين الذين يتلهفون على وصولنا. وهذا سيكون غاية فرحهم وفرحنا.

فلا يقول أحد، بعدُ: إن حضور القداس تعبٌ عليّ أو ثَقِيلٌ على نفسي؛ لأننا في وسط الكنيسة نحن نندسُّ في خوارس السمايين، فنجدُّ قوة، ونشترك إلى لحظاتٍ في جو القديسين،

ونستمتع بالمجد الذي لا يُنطقُ به وبمجيد.

فالقُدَّاس الذي تُقيمه الكنيسة بهدوء ورهبة ينقلنا إلى فوق
لنعيش مجدنا السمائي إلى لحظة، وتأتي دورة التناول من الحَمَل
فنأكل ونشرب من جسد الرب ودمه، ونُسجِّل شركتنا في
السماء، ونُحسِّب من المختارين الذين دُعوا للوطن الأفضل أي
السمائي.

إذن، فتسبيح الصاروفيم يؤهِّلنا أن نكون أهلاً لاستعلان
القدوس الذي نسبِّح له. لذلك يُقال إن الشَّرْكة في القَدَّاسات
هي السرداب الخفي وراء الأرض الذي نسلكه بالسِّر لنصل إلى
محفل القديسين. وهذا السِّر هو الذي كشفه الرب يسوع
لأخصَّائِهِ عندما أعلن أنه الطريق والحق والحياة، نحن نتبعه سراً
من وراء هذا الدهر بتسبيح يشبه السمايين، يجذبنا إليه الصوت
الآتي من بعيد. وإن ضاق الطريق أو ضيقه علينا صاحب هذا
العالم، فسيمسح المسيح كل دَمعة من عيوننا ويُدخلنا الرب إلى
فرحه الأبدي: «وسيمسح الله كل دَمعة من عيونهم، والموت لا
يكون فيما بعد، ولا يكون حزن ولا صراخ ولا وجع فيما بعد،

لأن الأمور الأولى قد مضت»^٧.

[الذي أعطى الذين على الأرض تسبيح السيرافيم،
اقبل منا نحن أيضاً أصواتنا مع غير المرئيين، احسبنا مع
القوات السمائية،
ولنقل نحن أيضاً مع أولئك، إذ قد طرحنا عنا كل أفكار
الخطاير الشريرة،
ونصرخ بما يُرسله أولئك، بأصوات لا تسكت وأفواه لا
تفتقر، ونبارك عظمتك].

(القداس الغريغوري)

٢ يونية ٢٠٠٥



^٧ رؤ ٢١: ٤.

أُحِبُّكَ يَا رَبِّي

قالها داود النبي وهو مُنطرح في هيكلك، لأنه ذاق محبتك له في الاختبار المقدس الذي أكملته له في شئون مملكة أرضية بَهَرَتْ عينيه وقلبه. لذلك قالها وهو شاعر باختيارك له من غير استحقاق، إذ كان مجرد راعي غنم. ولكنه قالها وهو يحبك حقاً، فصار قوله مزموراً نتغنى به، ولكننا نقولها نحن وقد قَبَلْنَا أَنْ نكون أعضاءً في جسدك لميراث لا يَفْنَى ولا يتدنس ولا يضمحل في السموات، ملكوتك الأعظم بما لا يُقاس بملك داود.

لذلك صار حبنا لك شركة أُسَمِيَ من الجسد والعالم بكل ممالكه، لأن الشركة في محبتك هي صدى حبك، قائماً بك وفيك، فلا قياس له. لأن قياس محبتك هو أعظم قياس للمحبة، كما قلت، لأنك فديتنا بموتك، وأقمنا بقيامتك، وغلبت العالم وأعطينا غَلَبَتَكَ، فصار حبنا لك هو رَجْعُ لُحُبِكَ، قائماً فينا كما هو قائم فيك على أعظم قياس، فوق كل ما يُرَى ويُرَجَى. فالقديس بطرس يقول في محبتك إننا نحبك ولو لم نرك. فالرؤيا أدنى قياس تُقاس به محبتنا لك. فإن كنا من لحمك وعظامك،

تكون محبتنا شركة حقيقية فيك بما يفوق الجسد واللحم، فهي لا تُرى ولا تُحسُّ، ولكنها تغمر الوجدان وتلهبه. فقول المزمور: "أحبك يا ربي"^١ هو قمة المنتهى لدى الوُلّهان. وقد أضاف إليها المسيح أنها حبٌّ مشترك: «الذي يحبُّني... أنا أحبه، وأظهر له ذاتي»^٢ لتصبح محبة المسيح هي شركة بالاستعلان، يعيش عليها المُحبُّ ويتغذى وينسى الدنيا. فهي من معدن الخبز النازل من السماء، يتغذى عليها الإنسان ويعيش مستقبلة. وحينما يتغنّى سفر نشيد الأنشاد يفصح عن واقع هذا الحب المشترك: «أنا لحبيبي، وحبيبي لي»^٣. هنا رَفَعَ النبي الموهوب حدَّ الحب الذي يعيشه أنه حُبٌّ تملك ملكية مشتركة أبدية، فيه يصبح حبُّ المسيح استحوazاً كلياً. وهذا شعور بالعشق الذي يفقد الإنسان ذاته ولا يبقى إلا المسيح.

وهذا الشعور شرحه بولس الرسول بقوله: «فأحيا لا أنا، بل المسيح يحيا في»^٤. وليس هذا تلاعباً بالألفاظ، ولكنه تعبير واقعي

١ مزمور ١٨.

٢ يو ١٤: ٢١.

٣ نش ٦: ٣.

٤ غل ٢: ٢٠.

عن حب بلغ المنتهى، فذابت النفس واستعلنت ذات المسيح
 القدرة أن تملأ وتملك النفس التي أحبها. ولا يكون لمُحب المسيح
 بعد ذلك ما ينطق به كشعور بولس الرسول الذي قال إنه رأى
 في المسيح ما لا يُنطق به، وهذا حقٌّ. فجوهر حب المسيح ليس
 من عالمنا، «أما أنا فليستُ من هذا العالم». كذلك يصبح الذي
 يملكه حبُّ المسيح هو أيضاً ليس من هذا العالم. فحبُّ المسيح
 هو سرُّ أسرار الخلود أُعطي لأبناء سرِّ المسيح، فصار الخلود
 موطنهم المعدَّ. والحب هو المُنُّ الذي يتغذون عليه، الذي أخفاه
 موسى في القسط الذهبي^٦ ليُستعلن في زمان استعلان المسيح.
 وهكذا لا أستطيع أن أختم هذا الحق إلاّ بقول المزمور: "أحبُّك
 يا ربي"^٧.

٨ يونية ٢٠٠٥

٥ يو ٨: ٢٣.

٦ عب ٩: ٤.

٧ مزمور ١٨.

انظروا إليّ

معروف في العهد القديم قوة النظر إلى الحيّة النحاسية لكل مَنْ وقع فريسة الحيّة وأصابته بعضتها المسمومة^١.

فنحن الآن أمام أعظم سرٍّ من أسرار الالتجاء إلى المسيح حينما نقع نهباً لإحدى هجمات العدو القاتلة.

في هذا السر الاستعلاني لنجدة المسيح لكل مَنْ وقع غنيمة للعدو في أي وضع، وصار بلا رجاء أمام ضربة الموت الأكيدة للعدو؛ هنا لا يطلب المسيح من الذين وقعوا غنيمة للعدو إلا أن يرفعوا قلوبهم وعيونهم إلى المسيح حيث يكون حضور المسيح، وبالتالي يكون الإنقاذ من قبضة الموت لحظياً وفي الحال. ماذا يعني هذا؟ معناه أننا في هذا العالم غرباء ولكن محسوبون في دائرة الحفظ الإلهي الفوري، وكل مخاطرتنا توضع أمام المسيح في الحال، وفي الحال أيضاً يمارس المسيح فداءه؛ لأن الحقيقة الفدائية هي أن المسيح اقتبل في جسده عضّة الشيطان القاتلة، واقتبل أن تسري

فيه حتى الموت، وذلك من أجل وعن كل مَنْ عَصَّتْهُ الْحَيَّةُ بِسُمِّهَا وأحسَّ أنه قد تعرَّضَ لعضة مميتة من أي نوع. ولكن لما اقتبل المسيح عَصَّةَ الموت من أجلنا، أفرز في الحال القوة المضادة للسم والموت، فغلب لنا السم والموت وأعطانا حياة جديدة وقوة نعمته. وهكذا عَوَّضَ الآلام والموت وهَبَّنا نعمة وقوة الحياة الجديدة.

وهكذا يُذَكِّرنا المسيح في كل مرة نقع فيها في براثن العدو من أي نوع، أنه علينا فقط أن ننظر إليه عالمين أنه يَذْخِر لنا الغلبة والحياة.

فالنظر إلى المسيح وقت المحنة والخطر تعني استعلان وجوده وحضوره الحيِّ. هنا عمل الإيمان المسيحي مطلوبٌ جداً، إذ يلزم للإنسان المجرب أن يمارس قوة الإيمان المسيحي الذي يتلخص في «الثقة بما يُرَجَى والإيقان بأمور لا تُرَى»^٢. وبمعنى أوضح، أن يثق الإنسان في رجاء عمل المسيح الحتمي والإيقان بفاعلية الإيمان الواثق بما وعد به المسيح.

وتقصُّ علينا السيدة جولشان الباكستانية أنها وقفت حائرة لا

تعرف أين تقرب، فوبخها المسيح قائلاً: "أَمَا قُلْتُ لَكَ انْظُرِي إِلَيَّ"، وفي الحال وجدت الحلَّ أمامها. لذلك يجب أن نفهم تماماً أن قول المسيح "انظري إليَّ" هو طلب رَفْع القلب إليه والاعتماد عليه بدون قلق أو أي شك. فالآية صريحة وتقول: «لأنه يجب أن الذي يأتي إلى الله يؤمن بأنه موجود، وأنه يُجازي الذين يطلبونه»^٣.

لذلك نعتبر "النظرة إلى المسيح" أنها نوع من الإيمان بغير المنظور الذي يبلغ إلى استعلان الحقيقة دون رؤيتها، وهي حالة أعلى من مستوى الإيمان بالمنظور، وهي هبة ليست من قِوام الإنسان بل هي من أفعال المسيح الداخلية التي تعمل في قلوب مُحِبِّيه.

فالإيمان بالمسيح لا يضع أي ثقل على الإنسان أو يُكلفه بأي جهد، بل يحضُّه على استغلال وجود المسيح الدائم في قلب الإنسان. وإليك أعظم آية تشير إلى هذا المعنى بوضوح كُلِّي: «لأن الله هو العامل فيكم أن تريدوا وأن تعملوا»^٤. إلى هذا الحدَّ جعل المسيح هيمنته على مشيئة الإنسان وعلى

^٣ عب ١١: ٦.

^٤ في ٢: ١٣.

إرادته وعمله، كل مَنْ أحب المسيح وقَبَلَه بالإيمان إلهاً مُخلصاً:
 «مَنْ لِي فِي السَّمَاءِ، وَمَعَكَ لَا أُرِيدُ شَيْئاً فِي الْأَرْضِ».^٥
 وَيُمكنُ الكِتَابِ فِي طَلَبِ الْمَسِيحِ بِأَنْ يُنْظَرَ إِلَيْهِ، لِيَجْعَلَ هَذَا
 الطَّلَبَ حَقِيقَةً ثَابِتَةً فِي مَتَاوَلِ الْإِنْسَانِ بِقَوْلِهِ: «نَظَرُوا إِلَيْهِ
 وَاسْتَثَارُوا»،^٦ مُحَقِّقاً أَنَّ مَعْنَى “نَظَرُوا إِلَيْهِ” هِيَ مَدْخُلُ
 الِاسْتِثَارَةِ، حَيْثُ الِاسْتِثَارَةُ هِيَ اسْتِعْلَانُ الْحَقِّ، النُّورِ الْحَقِيقِيِّ؛
 فَهِيَ مِمثَالَةُ “سَيَرُوا فِي النُّورِ” الَّذِي هُوَ مَمْتَهَى الشَّرَكَةِ فِي حَقِّ
 الْمَسِيحِ الَّتِي يَحْضُنُنَا إِلَيْهَا الْمَسِيحُ. وَهَكَذَا يَصْبِحُ قَوْلُ الْمَسِيحِ
 “انْظُرُوا إِلَيَّ” دَعْوَةً شَخْصِيَّةً لِقَبُولِ اسْتِعْلَانِ الرَّبِّ كَشَرِيكِ
 لِحَظِّي لِرَفْعَةِ سَمَاوِيَّةٍ مُمَجَّدَةٍ، فِيهَا الْخَلَاصُ مِنْ ضَيْقِ هَذَا الزَّمَانِ
 وَاسْتِعْبَادِ الْعَدُوِّ بِنَصْرَةٍ مَتَفَوِّقَةٍ. وَبِحَسَبِ مَنْطِقِ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ هُوَ
 شِفَاءُ لِحَظِّي مِنْ عَضَّةِ الْحَيَّةِ الْمَسْمُومَةِ. وَبَلُغَةُ الْآبَاءِ، هُوَ تَرِياقُ
 عَدَمِ الْمَوْتِ. هَلِّلِيلُوِيَا!!

١٢ يُونِيَّة ٢٠٠٥

^٥ مَز ٧٣ : ٢٥.

^٦ مَز ٣٤ : ٥.

«لأنكم بالنعمة مُخلَّصون، بالإيمان»

رسالة أفسس ٢ : ٨

النعمة هي هبة من المسيح، مجاناً بالروح القدس. وهي، حسب النص، لا تعتمد على الأعمال «وذلك ليس منكم. هو عطية الله. ليس من أعمال كيلا يفتخر أحد»^١.

نعم، هو قانون روحي قاطع أن لا تعتمد النعمة على الأعمال. ولكن العكس صحيح، فالأعمال تعتمد على النعمة. والنعمة هبة مجانية يتحكَّم فيها الروح القدس، ولكن مصدرها المسيح نفسه لأنها من خصائص طبيعته يهبها لكل مَنْ آمن به وأحبه. فالخلاص الذي يهبه المسيح هو أعظم هبة يُعطيها المسيح لِمَنْ آمن به وأحبه. فعشرة المسيح مع تلاميذه كان رائدها المحبة التي قادهم إلى الإيمان الشديد به، وهذا كان أعظم ما يقدِّمونه للرب الذي جعله يطلب من أبيه من أجلهم: «أريد أن هؤلاء السذين

^١ أف ٢ : ٨، ٩.

أعطيني يكونون معي حيث أكون أنا لينظروا مجدي»، و«ليكون فيهم الحب الذي أحببني به، وأكون أنا فيهم»^٢. فالعشرة المقدسة قادتهم إلى حالة محبة شديدة وإيمان راسخ؛ وهكذا قبلوا الخلاص المجاني وديمومة الحياة مع المسيح في مجده، هذا ما سلّمته لنا الكنيسة كنموذج رائع لعشرة المسيح ومحبه والإيمان به. هم نالوه بالقوة التي كانت تحفظهم في المسيح، ونحن نناها بالنعمة كهبة إن سلكننا سلوك التلاميذ في الإخلاص والأمانة والتمسك به.

ومما يذهلنا في نعمة المسيح المجانية لنا أنه احتجزها لنا فيه منذ البدء، وخطط لنا لكي يكون قبولها قانونياً يسدُّ فم العدو. فيقول بولس الرسول: «لأننا نحن عمله، مخلوقين في المسيح يسوع لأعمال صالحة، قد سبق الله فأعدّها لكي نسلك فيها»^٣!!!

فكيف لا نتكل على المسيح ونأخذه لنا نموذجاً ومصدر إلهام وحب وتقديس. وإن علمنا أننا محبوبون وأغزاء ومختارون فيه، يصبح هو حقاً الذي نقول عنه: ”مَنْ لَنَا فِي السَّمَاءِ، وَمَعَهُ لَا نُرِيدُ شَيْئاً فِي الْأَرْضِ“^٤، بل ونفتخر على رجاء استعلان عمله

^٢ يو ١٧ : ٢٤، ٢٦.

^٣ عب ١١ : ١.

^٤ أنظر مر ٧٣ : ٢٥.

فينا ومن أجلنا. ويخبرنا بولس الرسول بسرٌ يفوق تصوُّرنا حينما قال: «لأننا نحن عَمَلُهُ، مخلوقين في المسيح يسوع لأعمال صالحة، قد سبق الله فأعدَّها لكي نسلك فيها»^٥. هذا يُذهلنا، فمعناه أن خلقتنا ليست ترابية بعد، ولا أنها زمانية تَمَّت في الماضي، بل نحن الآن مخلوقون حلقة قائمة ودائمة في المسيح، وهو يعمل فينا وبنا الأعمال الصالحة لكي نشبهه في كل شيء!!

فهل من المعقول بعد هذا أن يفتخر إنسان بقوله: أنا أرثوذكسي أو يحتقر ويدين مَنْ يقول: أنا كاثوليكي أو بروتستانتي^٦، إذ صار "الأنا" فينا جميعاً هو المسيح، ونحن كلنا مخلوقون فيه، لنا عمل صالح واحد أعدَّه الرب لنسلك فيه معاً.

وألّيس جميعنا «متى أظهرَ المسيح حياتنا، فحينئذ تُظهرون أنتم أيضاً معه في المجد»^٧، و«نكون مثله لأننا سنراه كما هو»^٨، ونرى أنفسنا واحداً في المسيح ولنا ملء قامته في الإيمان كإنسان واحد.

^٥ أف ٢: ١٠.

^٦ كما يقول بولس الرسول: «... أن كل واحد منكم يقول: أنا لبولس، وأنا لأبُلُّوس، وأنا لصفاء، وأنا للمسيح. هل انقسم المسيح» ١ كو ١: ١٢ و١٣؟

^٧ كو ٣: ٤.

^٨ ١ يو ٣: ٢.

وهكذا يا إخوة إن فرطنا في الوحدة مع المسيح الآن وفي هذا
الزمان، سيصعب علينا التعرف عليها فوق.

١٣ يونية ٢٠٠٥



مختارون في المسيح قبل تأسيس العالم

«معلومة عند الرب منذ الأزل جميع أعماله»، فليس عند الله قديم وجديد، بل الكل موجود وظاهر أمامه في كل لحظة.

ففي البدء كان الكلمة والكلمة كان الله، الله في ذاته كآب وابن. وهكذا فإن المسيح الكلمة كان موجوداً في الله منذ الأزل، والآب أعطى الابن، أي المسيح، أن يخلق العالم وكل ما فيه. فالعالم من قبل أن يوجد كان معروفاً مُسبقاً في الابن.

وكان الإنسان أيضاً معروفاً لدى الابن أي المسيح منذ الأزل، أي قبل تأسيس العالم، والإنسان الجديد لم يأت إلى الوجود الزماني بتجسّد المسيح، ولكن كان المختارون منا معروفين ومختارين في المسيح قبل التجسّد. واختيارنا في المسيح جعلنا مُقدّسين بالضرورة، وكوننا قديسين ومختارين في المسيح لم يكن مجرد اختيار أزلي بل كان من واقع خلقه روحية في علم الله السابق، فنحن مخلوقون بالروح في المسيح منذ الأزل وقبل

تأسيس العالم الزمني^٢.

هذه الخلقة في المسيح جعلتنا في حال شركة واتحاد بالروح. لذلك كان نصيبنا في الله هو نفس نصيب الابن، ومركزنا أمام الله مباشرة كان قبل أي كيان سماوي آخر. هذا الترتيب العجيب يشرحه بولس الرسول إلى أفسس قائلاً: «إن الله «باركنا بكل بركة روحية في السماويات (أي قبل أية خلقية أخرى) في المسيح، كما اختارنا فيه (أي في المسيح) قبل تأسيس العالم، لنكون قدّيسين وبلا لوم قدّامه (أي قدّام الله) في المحبة»^٣. وبقوله هنا "في المحبة"، أوضح بولس الرسول بالوحي أن محبة الله قد انسكبت في قلوبنا، بنفس القدر الذي أحب به الله ابنه يسوع. لذلك يعود المسيح ويطلب من الآب قبل ارتفاعه مباشرة قائلاً: أن يكون حب الله فينا على قدر ما أحب ابنه^٤. هذا الحب قرّبنا إلى الآب كما قرّبنا إلى المسيح، حتى صار قول المسيح أننا صرنا إلى واحد: الآب في الابن والابن فينا!!^٥. وهذا هو قمة المنتهى الذي فيه يتحد كيانا الذاتي بالله وندخل في الشركة مع

٢ أف ١ : ٤ .

٣ أف ١ : ٤، ٣ .

٤ أنظر يو ١٧ : ٢٦ .

٥ أنظر يو ١٧ : ٢١ .

الآب ومع ابنه^٦ كمختارين ومحبوبين، وهذا يفصلنا عن العالم كما في نص قول الرب: هؤلاء «ليسوا من العالم كما أنا لستُ من العالم»^٧. هذه النقلة السعيدة هي قائمة في المسيح، وهي التي سوف تُستعلن عندما يظهر المسيح، إذ يقول بولس الرسول: «متى أظهرَ المسيحُ حياتنا، فحينئذٍ تُظهرون أنتم أيضاً معه في المجد»^٨، ويقول يوحنا الرسول: «نكون مثله لأننا سنراه كما هو»^٩. أي أننا، بحسب الاستعلان، نراه واحداً في الآب ونرى أنفسنا فيه. هذه المعادلة الصعبة لا يمكن أن نستعلنها هنا، بل هي مذكّرة في المسيح إلى حين ظهوره في المجد. ولكن هذه الأمور كلها يقينية ويتحتم أن نأخذها الآن بالإيمان والرجاء فقط، وهي يقينية كيقين تجسّد المسيح وقيامته، لأنه لما تجسّد أخذ ما لنا وأعطانا ما له، ولما قام قمنا معه بالضرورة، وأجلّسنا معه في السموات؛ وهكذا صرنا منذ الآن غرباء عن هذا العالم منتظرين النقلة السعيدة.

١٤ يونية ٢٠٠٥

٦ ١ يو ١: ٣.

٧ ١٧: ١٤.

٨ ٣: ٤.

٩ ١ يو ٣: ٢.

«الله الذي قال أن يُشرق نورٌ من ظلمة، هو الذي أشرق في قلوبنا لإنارة معرفة مجد الله في وجه يسوع المسيح»

رسالة كورنثوس الثانية ٤ : ٦

كانت الظلمة ولا تزال تملأ الأرض كلها، والنور الحقيقي هو يسوع المسيح. فالإنسان سيبقى في ظلمة هذا العالم إلى أن يُشرق الله في قلبه إنارة معرفة مجد الله في وجه يسوع المسيح؛ حقيقة يمر عليها كل إنسان قبل أن يتعرّف حقاً على يسوع المسيح، فيحس أنه قد أشرق في قلبه وجه يسوع المسيح النور الحقيقي.

على أنه يلزم أن نوضح أن النور في هذا العالم هو الظلمة الحقيقية إن غاب عنه وجه يسوع المسيح؛ ولكن الذين يعيشون في ظلمة هذا العالم لا يعلمون أن هناك النور الحقيقي. كل نور في هذا العالم يغيب أو ينطفئ، ولكن نور وجه يسوع المسيح نور لا ينطفئ؛ بمعنى أن الذي يعيش مع المسيح يحيا في نور لا ينطفئ، فلا يطغى عليه العدو أَسُ الظلمة المميتة، لأن ظلمة الشيطان هي الموت الحقيقي. لذلك يدعو المسيح جميع الناس أنه هو نور العالم،

وَمَنْ يَتَّبِعُهُ لَا يَمْشِي فِي الظُّلْمَةِ الَّتِي تَعْمِي عَيْنَيْهِ عَنْ مَعْرِفَةِ الْحَقِّ. وَيُوضِّحُ الْإِنْجِيلُ أَنَّ "الْحَيَاةَ هِيَ نُورُ النَّاسِ"؛ فَإِنْ كَانَتْ الشَّمْسُ هِيَ مَصْدَرُ النُّورِ وَالْحَيَاةِ عَلَى الْأَرْضِ، وَإِنْ كَفَّتِ الشَّمْسُ عَنِ الْإِنَارَةِ مَاتَتْ كُلُّ الْخَلِيقَةِ عَلَى الْأَرْضِ؛ فَفِي الْمَقَابِلِ نَعْرِفُ أَنَّ الْمَسِيحَ هُوَ الشَّمْسُ الَّتِي تُضِيءُ السَّمَوَاتِ وَالْحَيَاةَ الْحَقِيقِيَّةَ الْأَبَدِيَّةَ الَّتِي تَدُومُ وَلَا تَنْقُطِعُ أَبَدًا.

هَذِهِ الْحَقِيقَةُ هِيَ إِنْذَارٌ لِكُلِّ مَنْ يَسِيرُ فِي طَرِيقِ هَذَا الْعَالَمِ، فَإِنْ اِكْتَفَى بِالْحَيَاةِ وَالنُّورِ فِي الْعَالَمِ فَهُوَ يَظَلُّ مُحْرَمًا مِنْ إِشْرَاقِ مَجْدِ اللَّهِ فِي وَجْهِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ، وَهَذَا الْحَرَمَانُ نَهَايَتُهُ مَوْتُ بَلَا قِيَامَةٍ.

وَالْحَيَاةُ عِنْدَ أَهْلِ الْعَالَمِ إِنْ كَانَ يَسْنَدُهَا الْمَالُ وَاللَّذَّةُ، وَفِيهَا السُّهُرُ وَالسُّكْرُ وَالرَّقْصُ وَالْمُوسِيقَى وَالسِّيَاحَةُ وَاللَّعِبُ وَالْقَمَارُ؛ أُمُورٌ لَا يَلِيقُ أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَا هُنَا؛ وَهِيَ أُمُورٌ أَعَدَّهَا الشَّيْطَانُ لِحُبِّيهِ وَطَالِبِي وَدَّهِ؛ هَذِهِ لَا بَدَّ أَنْ تَنْتَهِيَ حَيْثُ الْمَرَضُ وَالْحَزَنُ وَالْكَآبَةُ وَالشَّيْخُوخَةُ الْعَاجِلَةُ؛ أَمَّا الَّذِينَ طَلَبُوا الْإِيمَانَ وَأَحْبَبُوا الْمَسِيحَ وَأَمْسَكُوا بِالْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ، فَهَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ غَلَبُوا وَحَسَّ هَذَا الْعَالَمُ وَصَرَعُوا الْحَيَّةَ الْمَمِيتَةَ، وَرَفَعُوا رَايَةَ الْغَلَبَةِ وَالْخُلَاصِ،

واستقبلهم المسيح وأدخلهم إلى مجده.

وهكذا أمامك، أيها القارئ، نور هذا العالم وحياته اللذيذة؛ كما هو أمامك نور وجه يسوع المسيح والوعد بالحياة الأبدية؛ فإن اخترت الواحد خسرت الآخر. والأمر خطير، لأنه ليس اختياراً، فالاختيار خدعة، لأن قبول الحياة مع المسيح حتمية، والارتقاء في أحضانه هو الفرصة الوحيدة أمامك لكي تحيا ولا تموت أبداً.

كما أنه ليس من العقل ولا المنطق أن نختار الظلمة ونرفض النور الحقيقي، ولا هو من المقبول أبداً أن نستعين بخطورة طريق الجهالة والموت فنرفض طريق الحق والحياة.

أما معرفة مجد الله في وجه يسوع المسيح فهو سر الحياة الأبدية، لأن مجد الله لن يُستعلن في هذا الدهر، فهو مكنوز للذين قَبِلُوا حياة الشركة مع المسيح الآن التي سَتُسْتَعْلَنُ بظهور المسيح حينما تُظَهَرُ معه كشركاء مجد، لأننا «سنكون مثله»، كما يقول الكتاب^٢.

فإزاء لذة الحياة الكاذبة في هذا الدهر والتي سَتُسْتَرَعُ منا في

٢ أنظر كو ٣: ٤؛ ١ يو ٣: ٢.

لحظة، سيكون في المقابل للذين داسوا على ملذات ومسرات هذا العالم، استعلان مجد الله في وجه يسوع المسيح، والشركة في هذا المجد التي تُخلد مع الخالدين. واستعلان مجد الله هو رؤية فائقة لنور طبيعة الله التي تُضيء الحياة فوق، حيث لا شمس ولا قمر بعد، بل نور المسيح الذي لا ينطفئ في المجد الدائم، والعجب أننا سنكون شركاء المسيح في هذا المجد كما أعلن المسيح: «وأنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني»^٢.

١٥ يونية ٢٠٠٥

«شكراً لله الذي يقودنا في موكب نصرته في المسيح»

رسالة كورنثوس الثانية ٢ : ١٤

كان لله أعداء كثيرون، من أجل هذا أرسل ابنه يسوع المسيح لكي يُحطَّم كراديس^١ الأعداء منذ الدهر، فلما صُلبَ المسيح ظفر بالعدو وبقيّة الأعداء، لأن بموته على الصليب قُتل الخطيئة وأبادهَا، فانتَهى كل سلطان العدو وأتباعه الذين كانوا قد صالوا وجالوا في الأرض كلها وتملّكوا إرادة الإنسان وأذلّوه، حتى صار الإنسان عبداً للشيطان وكل أتباعه، مشوّهاً صورة الله التي فيه على رسم يسوع المسيح. فكان الشيطان وكل أتباعه مُعانداً لله، يسحب أولاده من حظيرته جهاراً نهاراً؛ لذلك كانت خطيئة الإنسان ومروقه من تحت طاعة الله تحتاج لمن يرفعها من الوسط ويحرر الإنسان من سلطان الشيطان وكل أتباعه. هكذا كان صلب المسيح ابن الله، وهو الطاهر القدوس، بزعم رؤساء الكهنة وكل اليهود أنه خاطئ ومستوجب الموت ادّعاءً كاذباً، لأنه الابن

١ "كراديس": جمع "كردوس" أو "كردوسة" أي كتيبة جيش.

الوحيد المحبوب لله والطاهر القدوس؛ فصار حُكْم الموت منقوضاً وواقعاً على رأس رؤساء الكهنة وكل اليهود، وهكذا رُفِعَ نهائياً عن الإنسان، فتبرأ الإنسان من حُكْم الموت، وساد على الخطية، وداس الشيطان وكل الأعداء.

هكذا صوِّر بولس الرسول، بوحى نعمة الله التي فيه، المسيح وهو قائم من الموت، منتصراً على الموت وقوة الموت، أي الخطية، كقائد مظفر يجر وراءه الشيطان وكراديس الأعداء صفوفاً صفوفاً في موكب مهيب، دائساً على الخطية وكاسراً شوكتها، وهو يسوق أمامه البشرية المفتداة مهياً أن ترتفع معه إلى السماء، لتجلس مع المسيح أمام الله. وشكل البشرية، وهي هاتفة لسلطان المسيح وبمجد الله الذي أقامه من بين الأموات لحسابها، ظهر كجيش خلاص يملأ السماء والأرض.

ويا لهفي على بعض الناس الذين يتخاذلون ويهربون من موكب المسيح الظافر من أجل امرأة أو كأس خمر أو لذة مائتة رخيصة، ويضحون بصليب المسيح ودعوته الظافرة؛ منحازين لعدو الله والمسيح وكل البشر، مفضلين لذة هذا العالم وغناه وأكاذيبه؛ فيخسروا ما أعدّه الله لهم من مجد، راضين بما يُقدّمه لهم الشيطان من مجده الكاذب المغشوش.

أما أولئك السعداء الذين سمعوا نداء ابن الله وأطاعوا الدعوة

انخرطوا في جيش الخلاص - نعم نقول جيش، لأنهم عساكر حقيقيون مدججون بأسلحة الخلاص ذات الحدّين، أي كلمة الله لقوية القادرة أن تهدم حصون العدو وتذكّ معاقله وتفضح كلّ ظنون الظلم والظلام^٢ - دائسين على ملاذ هذا العالم الكاذب، سلطان الخطية المتسيّدة على الجسد، فيرفعون الصليب في وجه العدو هاتفين باسم المسيح مهلّلين ومرّمين ترنيمة الغلبة والخلاص. هؤلاء أعدّ لهم المسيح نصيباً وميراثاً في ملكه الأبدي، فصارت أيامهم أعياداً وأعمالهم تماجيد؛ هؤلاء هم المحبوبون والمزكّون لميراث الابن الذي لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل محفوظاً لهم في السموات، لكنهم يتألّمون الآن يسيراً ويتجرّبون من العدو كالذهب الذي يُصهر في النار^٣ ويُصفّى ليتأهّل أن يوضع في تاج الملك.

فيا أيها المتألّمون الآن افرحوا، وأقول أيضاً افرحوا، لأن مجدّ الخلاص قريب، وقد أعدّ المسيح نفسه للظهور الآتي في مجده، ليختطف أولاده من النار المحيطة بنا، ليدخلوا معه في سعادة الأبد.

١٦ يونية ٢٠٠٥

^٢ أنظر ٢ كو ١٠: ٥، ٤.

^٣ أنظر ١ بط ١: ٤-٧.

«ونحن جميعاً ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف، كما في مرآة، نتغيّر إلى تلك الصورة عينها، من مجد إلى مجد، كما من الرب الروح»

رسالة كورنثوس الثانية ٣ : ١٨

كان الناموس والوصايا الجسدية وطقوس العهد القديم بمثابة برقع يخفي مجد الله الحقيقي، ويوهم لابسيه كأ أنهم ينظرون الرب ويتكلّمون معه. وكان موسى بسبب قُربه الشديد من الله وطاعته الفريدة وعدم انحصاره في أمور الناموس، قد أُعطي له أن ينظر الله وأن ينعكس على وجهه نور نعمة الله؛ فكان شعب الله يبجل موسى ويخاف منه، فصرخوا طالبين منه أن يضع برقعاً على وجهه ليخفي انعكاس نور مجد الله عليه، فاستجاب موسى ووضع البرقع على وجهه حتى لا ينظر الشعب نور مجد الله المنعكس عليه.

فراى بولس الرسول أن الناموس والوصايا التي استلمها الشعب

هي التي أخفت نور مجد الله عن شعب إسرائيل.^١
فلما جاء المسيح ابن الله وتجسّد، أصبح مجد الله حاضراً دوماً
بحضور المسيح؛ ولكن صار انشغال الشعب مرة أخرى بالناموس
والوصايا الجسدية عن حضور المسيح، هو بمثابة لبس البرقع عينه،
فاختفى عنهم نور المسيح ومجده.

لذلك عاد بولس الرسول يُنادي شعب الله أن لا يعود إلى
الوصايا الجسدية والطقوس التي ابتدعوها والتي أخفت عنهم نور
مجد الله المشع في وجه يسوع المسيح. لأن مَنْ ينظر بالنظر
الروحي الاستعلائي في وجه يسوع، فإن نور المسيح ينعكس عليه
وكأنه ينظر في مرآة!! فيرى وجه المسيح منعكساً على وجهه، أو
بالحرّي لا يرى وجه نفسه بعد بل يرى نور وجه المسيح!

وحقيقة الأمر أن نور الله والمسيح نورٌ حقيقي، وأي انشغال أو
نظر إلى الذات أو إلى أمور هذه الدنيا التي يُخفي الشيطان نفسه
وراءها، فإنه يحجب عن الإنسان النور الحقيقي مباشرة، ويختفي
وجه المسيح ذو المجد. كذلك تماماً مَنْ يتلهّى بالطقوس والعادات
القديمة ويظن أنه بما يُرضي الله، فإن النور ينحجب عنه في الحال.

^١ أنظر ٢ كو ٣: ١٤، ١٥.

لماذا؟ لأن الطقوس والعادات القديمة تُصنع بالجسد، وفيها ينحصر اهتمام الناس بالشكل والحرف دون الدخول في جوهر الحق الإلهي الذي هو مربوط بشخص المسيح والإيمان الثابت فيه.

ونحن لا ننادي بإلغاء الطقوس والعادات القديمة لأنها تسليم الرب والقديسين، ولكن ندعو إلى جعل الطقوس والعادات القديمة غير محصورة في وضعها الجسدي؛ بل ننطلق منها روحياً في حرية الحق والإيمان الذي هو جوهر المسيحية الوحيد. وهذا ما يقوله القديس بولس أن نرفع البرقع القديم من على قلوبنا ووجهِنا وضميرنا لندخل في حرية مجد أولاد الله، وحينئذ ينعكس علينا نور وجه المسيح بلا مانع.

وهكذا فمن داخل الطقوس والعادات القديمة يُستعلن حق المسيح ويشعُّ مجده علينا، إن صارت هذه الطقوس غير مانعة لحرية مجد أولاد الله؛ ويصير الطقس كترنيمه ترفع الروح والضمير أمام عرش الله؛ لأننا، بنظرة قوية روحية فاحصة، نرى الملائكة والقوات السماوية نفسها مربوطة بنظام وطقوس معينة يلتزمون بها، فيظهر فيها الحق والنور والحياة بتسييح يدوم إلى الأبد.

ومِمَّنْ تعلَّمنا القداس؟ أليس من الصاروفيم السماوي القائل:

«قدوس قدوس قدوس رب الجنود مجده ملء كل الأرض»^٢.

ونحن مدعوون في الملكوت لحفظ ترنيمة موسى وترنيمة
الحمل، طقوس سماوية لا يصح الإفصاح عنها. كما سنكون
مدعوين مع الشيوخ الأربعة والعشرين أن نتعلم السجود المتواتر
والقاء أكاليلنا تحت أقدام المسيح، والاعتراف الدائم بصراخ لا
يهدأ بحق الحروف المذبوح أن يأخذ الكرامة والمجد أمام الملائكة
والأجناد السماوية.

فهنا طقوس جسدية باردة، ولكن هناك طقوس إلهية ملتهبة.
ولكن الناموس والطقوس التي نمارسها بالروح والجسد هنا هي
التي ستقودنا إلى استعلان الناموس الإلهي السماوي والطقوس
الملائكية فوق.

١٧ يونيو ٢٠٠٥

«إن كان أحدٌ في المسيح فهو خليفة جديدة.
الأشياء العتيقة قد مضت، هوذا الكل قد صار جديداً»

رسالة كورنثوس الثانية ٥ : ١٧

معلوم أيها الإخوة أن الخليقة القديمة في آدم قد فسدت وطمغت عليها الخطية، وبالتالي نالت جزاء ما فعلت إذ قد حُكم عليها بالموت الأبدي. من أجل هذا أرسل الله ابنه إلى العالم لِيُنشئ في نفسه بنفسه خليفة روحية جديدة غير خاضعة بعد للموت ولا لسلطان صاحب الموت أي إبليس. فالخليقة الأولى زالت من أمام وجه الله، ولم يبقَ إلا ابنه الحبيب مع كل الذين خضعوا له وقبلهم كإخوة، لأنه تجسّد خصيصاً ليأخذ صورة إخوته في كل شيء ما عدا الخطية، وتبنّى قضيتهم أمام الله أبيه، ودافع عنهم حتى الموت، وقُبِلَت ذبيحته من الآب. وهكذا حرّر البشرية إلى الأبد من سلطان الشرير، فصرنا في المسيح أبناء الله بعد أن كنا أعداءً بالفكر والعمل والمشيمة. وهكذا أيضاً أصبحنا خليفة جديدة بالروح في شخص يسوع المسيح، ووهبنا نعمته

انسكاب الروح القدس علينا من قَبْلِ الآب؛ فشاركنا الثالوث لابن والروح والآب في الإرادة والمشئّة والعمل، لأن المسيح جَدَّ اسمه حرص أن يغرس فينا مشئّة وإرادة العمل الصالح نسلك فيه حسب تدبيره، فأصبح المسيح هو العامل فينا إن شئنا إن عملنا.

أما ما هو للجسد العتيق سواء مشئّة أو إرادة أو عمل باطل، فقد حُسِبَ كل هذا ميتاً لا قوة له ولا سلطان على استعباد لإنسان الجديد مرة أخرى، إذ دفع المسيح ثمن هذا في جسده على الصليب، فلم يصبح للشيطان نصيبٌ فينا؛ على أن يعترف الإنسان بهذه الأمور الباطلة حتى يتم تلاشيها من أمام وجه الله. والمهم جداً في حالة الإنسان الجديد أن يتبرأ من كل أعماله وأفكاره الشريرة حتى ينجو من لعنة الإنسان العتيق. وهكذا قرّر المسيح أن: «كل خطية وتجديف يُغفر للناس»، إن هو تراجع عنها وقَدَّمَ أمام الله توبة بإخلاص.

والإنسان عموماً يشتهي أن يلبس الإنسان الجديد فوق القديم، ولكن يستحيل هذا في عُرف عملية التجديد، إذ لا بد أن نخلع

الإنسان العتيق ونجّده بكل أعماله حتى يتسنى للنعمة أن
تلبسنا الإنسان الجديد قاهر الخطية والموت. أما الذي يتقاعس
عن الاعتراف والتوبة، فإنه يخسر الحياة الأبدية ويبقى تحت اللعنة.
لأنه يستحيل على الإنسان المتعاهد مع الخطية وأعمالها أن يقترب
من المسيح أو أن يقترب المسيح إليه. وخسارة فقدان شركة
المسيح هي فقدان رضا الله والحرمان من الحياة الأبدية.

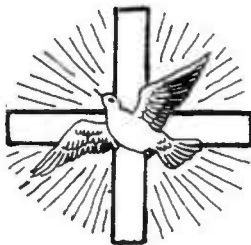
ونحن لا ندفع ثمن الإنسان الجديد فهو نعمة موهوبة من قبل
الله لكل من يقبل الابن إلهاً ومخلصاً. فمهما كان الإنسان غارقاً
في شرور هذا العالم ومفاسده حتى قمة رأسه، وصرخ إلى المسيح
طالباً العون والتجديد، فإنه يناله في الحال. لذلك لا يمكن إعطاء
عذر لأي من يرفض المجيء إلى المخلص وتسليم نفسه.

قرأت عن سيدة كانت من عليّة القوم في إنجلترا وكانت رئيسة
فرق الموسيقى، وفكرت أن تهاجر إلى هونج كونج وكانت
وحيدة أبيها وأمها، وفعلاً تركت بيتها وأهلها وبلدها وتغربت
في هونج كونج. ولكن دعاها الرب بصوت الروح القدس أن
تخدم الجرمين في هذا البلد الغني المنحل؛ فأطاعت صوت الروح
القدس ونزلت إلى السجون تبشّر باسم المسيح. وكان الروح
القدس يعمل فيها وبها، لدرجة أنها حينما كانت تصلي مع أحد

المجرمين في السجن وتطلب منه أن يؤمن بالمسيح ويهتف باسم الروح القدس، كان يحلُّ عليه الروح ويقوم لبشِّر معها بقية زملائه في السجن.

وأنا أذكر هذه القصة التي أثَّرت جداً في حياتي ليقراها القارئ، مهما كانت حالته، ليأتي إلى المسيح ويهتف بالروح القدس، لتحلُّ عليه قوة نعمة الله، ويصبح مبشراً وجندياً في جيش خلاص الرب.

١٨ يونية ٢٠٠٥



«إن كان لنا في هذه الحياة فقط رجاء في المسيح،
فإننا أشقى جميع الناس»

رسالة كورنثوس الأولى ١٥ : ١٩

الإيمان بالمسيح «هو الثقة بما يُرجى والإيقان بأمر لا تُرى»،
فنحن نترجى الله ليل نهار أن يكون لنا نصيب في ميراث الله في
شخص يسوع المسيح. فإن كان ليس لنا رجاء في هذا الميراث
الذي تعين أن يكون من نصيبنا، وانحصر رجائنا في أمور هذا
العالم من زوجة جميلة وأبناء أصحاء ومال موفور، وتسهيل في
أمر معيشتنا، وزياراتنا للأحبة والبلاد الجميلة، واقتنائنا البيت
المريح، وولنا هذا كله أو لا زلنا نرجوه؛ فيا لخيبة رجائنا ويا
لبؤس مصيرنا! وبقياس النصيب الصالح في هذا الدهر نكون قد
خسرنا كل ما اقتيناه وما نريد أن نفتنيه. ففنية هذا الدهر تراب
في تراب، ونهايتها الفساد والزوال، ويبقى لنا خيبة الأمل ويضيع
الرجاء الحقيقي الذي ليس من هذا الدهر؛ علماً، أيها الصديق

المحبوب، أن ميراث الأرض كله هو تحت وصاية السوس
واللصوص والخط العاثر، ثم حياة الحسرة والندم في النهاية.
أما إذا كانت لنا ثقة بربنا يسوع المسيح وتمسكنا بما ترجّاه لنا
من شركة في مجده، وحياة في حضرته، ومُصالحة مُفرحة مع أبيه؛
فنحن نكون قد فرّحنا قلب الله ولنلنا ميراثنا مع المسيح في
ملكوته.

وإن كان رجائنا في المسيح محصوراً فيما نحن نحتاجه في هذه
الدنيا من غنى ومجد ومساهلة في أمورنا، وتلهّينا بعطايا الأرض
وملذات الجسد، واعتقدنا أننا نؤمن بالمسيح وأنه هو رجائنا فيما
ننالهِ ونتمناه من غنى وملذات، وسرقتنا الدنيا؛ فسنواجه أتعس
نصيب وهو الحرمان من ميراث المسيح المحفوظ للذين تعرّوا
وجاعوا واضطهدوا وذاقوا مرارة الفقر والعوز، وكان رجائهم
الوحيد هو الرب وما اذخره لهم في الدهر الآتي.

فالرجاء الحقيقي مقصور على ما أعدّه المسيح لمُحبّيه في أمجاد
الدهر الآتي. كذلك فالإيمان بالمسيح منحصر فقط في الأمور
السماوية التي لا تُرى؛ فلا يخطئ أحد ويعتقد أن الإيمان بالمسيح
هو مجرد الاعتراف والتبعية العامة والتفاخر بالاسم، دون إنكار
الذات والانخراط في صفوف المؤمنين والقديسين الذين باعوا هذا

العالم وقَبَلُوا الاضطهاد من أجل اسم يسوع. فالإيمان بالمسيح يقابله جَحْدُ هذا العالم بكل ما فيه، لأن العالم بكل ما فيه ليس من المسيح في شيء، كما يقول المسيح: إنه ليس من هذا العالم، وأضاف: وأنتم أيضاً لستم من هذا العالم، كل من يؤمن بالمسيح^٢.

وبولس الرسول يفتخر أنه خسر كل شيء في هذا العالم لكي يربح المسيح، بل ومستعد أيضاً أن يخسر كل شيء من أجل فضل معرفته^٣. وهكذا يضع بولس الرسول قانون ربح المسيح بأنه المقابل لخسارة كل شيء في العالم والاستعداد لخسارة كل شيء. فإن ظننا أن الرجاء الذي أسَّسه المسيح لنا هو في ربح شيء في العالم، فقد نكون قد خسرنا المسيح نفسه وكل ما أعدَّه لنا في الدهر الآتي؛ وليس هناك شيء وَسَطٌ. فإما خسارة ومعها المسيح؛ وإما ربح وضياع كل مَذْخَرَاتِ السماء.

كما أنه مستحيل أن نجمع ما للعالم وما للمسيح. فالمسيح مات عن العالم ونحن متنا معه عن العالم، فكيف نعيش بعد

٢ أنظر يو ١٧ : ١٤.

٣ أنظر في ٣ : ٨٠٧.

عالم؟ ألا يكون هذا إنكاراً للصليب والمصلوب عليه؟ لذلك نول الكتاب: «اخرجوا من وسطهم واعتزلوا، يقول الرب، ولا تسوا نجساً فأقبلكم»، فلا خلطة للنور مع الظلمة. والنور الظلمة هما إما مع المسيح أو الضد للمسيح، ولا يمكن الجمع بينهما. فنحن مدعوون لرجاء حيٍّ في نصيب المسيح الذي نهايته يراث في الحياة الأبدية محفوظ لنا في السموات°. والرجاء الحيُّ وحيٌّ في المسيح وبالمسيح لا يشوبه رجاء في الدنيا.

فانتبه أيها الصديق لئلا يغرك العالم وتستدرجك الحية القديمة كرها وتسرق نصيبك السماوي من أجل أمور تافهة مآلها الفناء الزوال.

١٨ يونية ٢٠٠٥

٤ ٢ كو ٦: ١٧.

٥ أنظر ١ بط ١: ٤، ٣.

«لأنه جعل الذي لم يعرف خطية، خطية لأجلنا، لنصير نحن
براً الله فيه»

رسالة كورنثوس الثانية ٥ : ٢١

على قدر ما أن هذه الحقيقة مرعبة، فهي بآن واحد مُعزِّية
ومُفرحة وورثتنا برّ المسيح نفسه، فصرنا أمام الله مقبولين
ومحبوبين.

وهل يعقل أن يصبح الذي لم يعرف خطية، خطيةً لأجلنا؟
نقول ونكرر إن المسيح لم يَصِرْ خاطئاً فقط لَمَّا حمل خطايانا
على الصليب، بل تبنّى الخطية نفسها في جسده ليقدّر أن يُميتها
بموته؛ هذا أمر مُذهل للعقل!

إن جوهر الخطية هو الموت، مع أنه ليس للخطية معدن ولا
جوهر! بل الخطية هي السالبة المطلقة. بمعنى أنها في أصولها الأولى
لا وجود لها على الإطلاق ولكن فجّرها عدو الخير في نفسه إذ
خالف الله، فأنحطّ إلى أسفل السافلين وطُرد من أمام وجه الله
وأخلى مكانه في السماء، ونزل إلى الأرض لينتقم من خليقة الله

بدون وجه حق؛ لأنه أصلاً غريب عن طبيعتنا، فنحن على صورة الله، أما هو فعُدو الله المقطوع، وهو يضطهدنا لأننا على صورة الله، فهو ينتقم من الله فينا، وسلاحه الوحيد هو الخطية، وعمله الوحيد هو إسقاطنا في الخطية لنصبح عبيداً له لأنه سيّد الخطية. والخطية في أصلها هي من أصله، أي هي عداوة لله ومقاومة لمقاصده، وهي تستمد وجودها من الشيطان فهي سلاح عداوة الله يُميت بها الإنسان ظلماً وجوراً وتزييفاً.

أما الله فلم يحتمل أن تُهان صورته فينا ونتجرّع كأس الموت. فكان همُّ الله الوحيد من جهتنا أن يعتقنا من سلطان هذا الطاغية وينقذنا من الموت، ويكسر سلاحه القاتل الوحيد وهو الخطية التي هي شوكة الموت المسمومة.

فكان من غير الممكن اقتلاع هذا الجذر السام وكسر هذه الشوكة المسمومة الغريبة أصلاً عن صورة الله بواسطة إنسان أو نبي؛ فبسبب محبة الله للإنسان هان عليه أن يُرسل ابنه المساوي له في الجسد، لكي يلبس جسد إنسان ويحمل هذه الخطية المميتة (والخطية ليس لها جوهر، فالجوهر يختص بالحق والحقيقة، وهي ليست حقاً ولا حقيقة)، ويموت بها فعلاً ليحتزّها من طبيعة الإنسان، فيرفع عنه نير الشيطان ويُطلق الإنسان حراً من قبضة

العدو. فبموت المسيح على الصليب، محكوماً عليه من قِبَلِ رؤساء الكهنة أنه رجل خاطئ ومجذّف، عرّى رؤساء الكهنة من الحق وقَبَلَ الخطية والتجديف في جسده، ومات بها، فماتت الخطية و اجْتَثَّتْ من أصولها، إذ ظفر المسيح على الصليب بالشيطان وكل أعوانه وأرداه مورد الهلاك الأبدي^١.

وهكذا جعل الله ابنه الطاهر القدوس يلبس الخطية لبساً، ويصير في مظهره كأنه خطية، هذا من أجلنا؛ وأما نحن فأخذنا في المقابل برَّ المسيح لنصير أمام الله كأبرار بعد أن كنا خطاة محكوماً علينا بالموت. هكذا أُبِيدَتِ الخطية وسلطان الخطية وأُسْقِطَ الشيطان في غياهب الظلمة محفوفاً ليوم الدينونة المريع الذي سينال فيه حكم الإعدام.

أما نحن فبالصليب فُزْنَا بالغفران، وأُعْتَقْنَا من الموت، ولما قام المسيح من بين الأموات «أقامنا معه، وأجلسنا معه في السماويات»^٢ بانتظار استعلان مجده لننال شركتنا معه في مجده الأبدي. فإذن، «أين شوكتك يا موت؟ وأين غلبتك يا

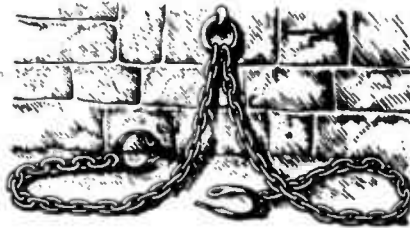
١ أنظر كو ٢: ١٥.

٢ أف ٢: ٦.

هاوية»؟! أما شوكة الموت فهي الخطية وقد أزالها المسيح بموته،
أما غلبة الهاوية فقد أبادها المسيح بقيامته.

فأين أنت، يا إنسان، من الخطية والهاوية؛ أليس من المحزن
والمدهش حقاً أن يُفضّل الإنسان أن يكون عبداً للخطية بعد أن
أزالها المسيح، ويُعرّض نفسه للهاوية بعد أن أبادها المسيح؟

١٨ يونية ٢٠٠٥



٣ ١٥: ٥٥.

«مع المسيح صُلِبْتُ، فأحيا لا أنا، بل المسيح يحيا فيَّ.
فما أحياء الآن في الجسد، فإنما أحياء في الإيمان،
إيمان ابن الله، الذي أَحَبَّنِي وأسلم نفسه لأجلي»

رسالة غلاطية ٢: ٢٠

هناك مقولة إلهية تقول: «إن كان واحد قد مات لأجل
الجميع، فالجميع إذاً ماتوا». هذه معجزة الله في المسيح، إذ
استطاع الله بواسطة طاعة ابنه وتجسُّده وقبوله الموت كخاطئ،
وهو الطاهر القدوس؛ أن يجعل موت ابنه موتاً لفداء كل مَنْ آمَنَ
بموته. هنا يجاهر بولس الرسول على أساس هذه الحقيقة الإلهية أنه
صُلِبَ مع المسيح، وبالضرورة أنه مات بموت المسيح، وقام
بقيامته، أي صار حياً بحياته؛ فأصبحت حياته هي حياة المسيح
«إني أنا حيٌّ فأنتم ستحيون»^١، أو أن المسيح هو حيٌّ فيه. هذه

١ ٢ كور ٥: ١٤.

٢ يو ١٤: ١٩.

لحقيقة الإلهية كانت قصد الآب منذ الأزل، حتى تجسّد ابن الله
وأكمل قصد الآب أن الجميع يقبلون حياة المسيح فيكون المسيح
حيّاً في الجميع، أي بالحريّ أن يكون الجميع أحياء في الله بعد أن
كانوا أمواتاً بالذنوب والخطايا. هنا أخذ المسيح الجسد الذي لنا
بخطاياه وذنوبه، وأعطانا جسده القائم من الموت والحيّ بالله.

فإن كنا أحياء الآن في الجسد، فبنعمة الإيمان نحن أحياء، لا أننا
أحياء بأنفسنا بل حياتنا هي حياة المسيح فينا، وذلك عن حب
وبذل لا يمكن أن نتصوّره لأنه يفوق حدّ طبيعتنا. هنا يظهر
كيف خلّقنا الله خلقة جديدة على قياس مشيئته العاملة فينا منذ
الأزل. هنا يقول الكتاب: أين الافتخار؟ فالافتخار كله بالله وفي
الله الذي نقلنا من ظلمة الخليقة الأولى إلى نوره في الخليقة
الجديدة، ومن عذاب الأرض إلى سعادة ملكوت ابن محبته.

فمشيئة الآب منذ الأزل أن يوفرّ لخليقة الإنسان التي على
صورته حياة سعيدة معه، فكانت رحلة الابن الوحيد من
الأحضان الأبوية في أجماد العُلا إلى شقاء الأرض، ومشاركة
الإنسان في ذلّ حياته وموته رحلة الخلود؛ لأننا كسبنا فيها مُلكَ
الآب وورثنا المسيح وحب الآب له، لأن حب الآب للابن
انعكس علينا بالسوية: «ليكون فيهم الحب الذي أحببتي به،

وأكون أنا فيهم»^٣. فهو رجّع حب الآب للابن، ومساواة في حب الآب مع المسيح.

أما بذل المسيح نفسه فكان بذل فداء، موتاً عوضاً موت. ولكن العجيب في هذا البذل أنه وُهب للبشرية كلها أفراداً، فكل إنسان لابد أن يعرف ويعترف أن المسيح بذل ذاته من أجله بذلاً كاملاً مُكَمَّلاً، بحيث لم يبقَ للمسيح شيء من البذل لنفسه فهو بذل فداء، فكانت مسرة الآب لا يمكن تصوُّرها لَمَّا أكمل ابنه الموت والقيامة من أجلنا، مُكَمَّلاً مشورة الآب الأزلية قبل تأسيس العالم. وكان هذا سرّاً منوطاً به الكتمان الكامل عن كل جمهور السماء من رؤساء ملائكة وملائكة وجند السماء، وهم لا زالوا يتطلَّعون إلى اكتمال يوم الفداء للإنسان حتى يُستعلن سرُّ الأزل عند الآب. كما يقول الكتاب إن الكنيسة ستضطلع بهذه المهمة لَمَّا تصعد لتكون في محيط الخليقة السماوية، فتُعرِّف الكائنات السماوية بسرَّ فداء الابن، من جهة تجسُّده وموته وقيامته وصعوده، لأنها كلها مخفاة عن معرفة السمايين جميعاً.

^٣ يو ١٧: ٢٦.

^٤ أنظر أف ٣: ٩-١١.

حينئذ تشارك الخليقة السماوية فرحة الخلاص الذي صار
لل بشرية، وتشارك في السجود لابن مع الأربعة والعشرين قسيساً
المستعدّين للحظة الاستعلان وظهور الابن علانية ودخوله إلى
ملكه ظافراً ووراءه جيش المخلصين الهاتفين بمجد الله والحمل.

١٩ يونية ٢٠٠٥

«فإنه فيه يحلُّ كلُّ ملء اللاهوت جسدياً.
وأنتم مملوؤون فيه»

رسالة كولوسي ٢ : ٩، ١٠

يا لفرحة الإنسان الذي خرج من لَدُن الله مطروداً، ونزل إلى أرض الشقاء ومرارة العيش، يُلاحقه الشيطان كل لحظة ويُنعّص حياته، ويحرمه من رفع وجهه نحو الله.

أفي هذا الإنسان الذي قَبْلَ اللعنة في جوفه، بل ولُعِنَت الأرض بسببه، وباتت الخليقة كلها تئنُّ وتمخّض، يلاحقها الجوع والشراسة بسبب خطية الإنسان ولعنة الأرض؛ أفي هذا الإنسان من رجاء؟

نسمع اليوم أن قائد البشرية الجديد الذي تغرّب عن مجد أبيه، وترك مجده كابن وحيد محبوب، يحمل في جسده ملء اللاهوت، ويصير هو أب البشرية الجديدة، ويقودها معاً إلى مجده المذخر له، والمنتظر فداءً أجسادنا ليُستعلنَ علناً لدى كل السمايين، ولتعود الخليقة التي تئن إلى مُحرّرها، خاضعة طائعة فرحة ومسرورة.

هذا اليوم هو يوم الخليقة الجديدة التي لبسها إنسان الشقاء، صار في قوام الله، حيث فكَّ الله آدم من حبوس العبودية وأسر لشيطان والخطية، بل ويزيد الله في حنانه ورحمته وعطفه، وغفرانه، ليهب كل إنسان ملء الابن، إذ صار الكل مملوءاً فيه وهو في بهاء لاهوته؛ فينتقل الإنسان من صفوف العبيد إلى أَوْجِ ملوك السماء، حسبما يقول الكتاب: «جَعَلْنَا لِإِبْنِنَا مَلُوكًا وَكَهَنَةً»^١.

ولو عَلِمَ الإنسان مقدار ما حصل عليه، لَمَّا حَلَّ ملء اللاهوت في جسد المسيح، وصار إنسان الخطية هذا المبرَّر بدم المسيح شريكاً هذا الملء اللاهوتي؛ لَمَّا كَفَّ الإنسان عن التهليل والتسبيح ورفَّع آيات الشكر ليلَ نهار لله، الذي ملأه بنعمته، ودعاه إلى مُلكه الأبدي، وأَوْقَفَه أمامه قديساً وبلا لوم، في ملء محبة الآب والابن^٢.

إن القول بأن جسد المسيح امتلاً لاهوتياً هو فوق قدرة تصوُّر الإنسان. أما قوله إننا نحن صرنا مملوئين في ملء لاهوت المسيح،

^١ رؤ ٥ : ١٠.

^٢ أنظر أف ١ : ١-٦.

فنصبح وكأننا قد غيّرنا جنسنا إلى جنس المسيح، وصرنا أعضاء في مملكة السماء، حتى وإن كنا لا نزال ندبُ على أرض شقائنا، فلم تُعدّ خليقة الإنسان مُستضعفة ولا مذلولة ولا فريسة مأكولة ببطش العدو.

والآن ارفع رأسك أيها الإنسان، فلم تُعدّ الأرض محطّ أنظارنا، ولا محور بقائنا، بل صرنا ناظرين إلى فوق إلى السماء حيث مُخلّص جنسنا قائم في مجده يدعونا أن نحارب حروب الرب لتتخلّص من ماضيها المنغوص، ونعيش مستقبلنا كشركاء بمجد المسيح والله.

فهل يليق بأولاد الله المملوئين بعمل المسيح لاهوتياً، أن يعيشوا كأبناء هذا الدهر، يعيشون عيشة الضلال في إباحية واستهتار، ويمضون عمرهم كأبناء اللعنة القديمة غير عابئين بحُزن المسيح عليهم، وكأنه لم يُصلَبْ لأجلهم، ولا قام ولا غلبَ العالم، الأمور التي سلّمها كلها لنا كشركاء آلامه وصلبيه لنكون شركاء بمجده.

أيها الأحباء، إن مَنْ عاش عيشة الخطية واستهتر بصليب المسيح وبوعوده التي حقّقها لحسابنا، يكون كَمَنْ داس على الصليب، وازدرى بروح النعمة، وتآخى مع الشيطان دون أن

يدري، وضِيع ميراثه الأبدي؟ خسارة لا يمكن تصوُّرها، لأنها
خسارة حياة ومستقبل، وهي اختيارٌ غبيٌّ للظلمة بدل النور،
والموت بدل الحياة، والصياغة والعريضة بدل المجد المذخر لمحبي
الرب. فكما قال بطرس الرسول لليهود الباكين لمعرفة الحق:
«لأن الموعد هو لكم ولأولادكم ولكل الذين على بُعْد...
فتوبوا... لكي تأتي أوقات الفرج من وجه الرب».

١٩ يونية ٢٠٠٥



٣ أنظر عب ١٠: ٢٩.

٤ أع ٢: ٣٩؛ ٣: ١٩.

«لأنه قد وُهِبَ لكم لأجل المسيح لا أن تؤمنوا به فقط،
بل أيضاً أن تتألموا لأجله»

رسالة فيليبي ١ : ٢٩

لقد كان فخر بولس الرسول عجباً حقاً حينما قال إنه يكمل
نقائص شدائد المسيح في جسمه لأجل جسده الذي هو
الكنيسة!

لقد قلب المسيح الحال من جهة آلام الإنسان وشدائده
وأوجاعه، فبعد أن كانت تُحسب ثمناً لخطاياها، ونصرة للعدو
الذي كان يفتخر بإذلال الإنسان باعتباره حاملاً صورة الله،
فكانت نقمته موجهة ضد الله فينا؛ قلب المسيح موازين العدو،
فرفع من قدر الإنسان إذ حول آلامه إلى شركة في آلام المسيح،
فصارت وسيلة لقبول نعمة المسيح، بدل قبول نقمة الشيطان.

وهكذا أصبحت آلامنا وشدائدنا ليست محسوبة ضدنا، بل

محسوبة لنا كنصرة، برغم أنف العدو، فالذي يتألم وهو مؤمن بالمسيح اعتُبرت آلامه حسب الكتاب موهبة أي عطية من عند الله تهيئ الإنسان أن يكون شريكاً في آلام المسيح، فيُحسب بالتالي مستحقاً لرضا الله ومُكملاً لخطة خلاص يسوع المسيح، إذ تكون الشركة في آلام المسيح هي بمثابة شهادة إيمان، وعلّة لانسكاب نعمة الله.

وهكذا اعتُبرت الشركة في آلام المسيح في هذا العالم الشرير نصرةً على العدو ووسيلة لقلب موازينه. فمن يضطهده الشرير ويسكب غضبه عليه، يُحسب لهذا الإنسان أنه أكمل الجهاد وحاز على رضا الله ومسرة المسيح. وعلى أساس فلسفة الآلام هذه، اعتبر بولس الرسول أن الآلام هي نصيبنا الفاجر وكأئنا موضوعون لها، أي أن الآلام أصبحت نصيبنا الفاجر وشهادةً ضد العدو تؤهّلنا لنكون من مختاري الله المحبوبين. فالقديسون محسوبون أنهم صورة للغلبة على هذا العالم بسبب الآلام التي تكبّدوها من بغضة العدو، تماماً كما حُسب صليب المسيح غلبة ضد العالم والعدو.

لذلك كان من افتخارنا حقاً أن نتلقى ضربات العدو كمنتصرين وغالين، وهذا الأسلوب هو أسلوب الصليب. فصالبو المسيح كانوا واضعي أكاليل مجد على الجسد وهم لا يدرون.

لذلك أصبح إكليل خلاصنا النازل علينا من فوق لا يستريح على أجساد مرفهة، نالت من العالم أمجاداً كاذبة، بل يستريح على أشخاص ذاقوا مرارة الضيق والآلام والاضطهاد، حيث تركت ضربات العدو علامات محفورة في أجسادهم.

لذلك أصبح تاريخ تعذيب المؤمنين بالمسيح على أيدي الجلادين وأنياب الوحوش تاريخ أمجاد مزين على صليب المسيح، وكأنهم قد صلبوا حقاً مع المسيح وأصبحوا أصحاب الميزات الذي لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل محفوظ لهم في السموات، وموضع اندهاش الملائكة وتعجب السمايين جميعاً، لأنهم جعلوا في الصفوف الأولى أمام عرش الله وأصبحت ترنيماهم موضع مسرة الله والحمل.

لذلك أصبح من غير اللائق، بعد اليوم، أن نتأفف من الآلام أو

نهرب من مضايقة العدو والناس، لأن نصيب فخرنا في هذا
لدهر هي الآمنا التي نتكبتها فرحين إذ نُحسب من المختارين
الذين جُعلوا هدفاً للعدو، لأنه إن كان المسيح هو حبيبنا الذي
تألم لأجله، فالشيطان هو عدونا اللدود الذي ينتقم من المسيح
لذي فينا.

١٩ يونية ٢٠٠٥



«وأما أنتم فجسد المسيح، وأعضاؤه»

رسالة كورنثوس الأولى ١٢ : ٢٧

ليكن في علمكم، أيها الإخوة، أننا مُتَنَا حَقاً مع المسيح المصلوب والمدفون ثلاثة أيام، وأنا قُمْنَا في قيامته، وأجلَسْنَا المسيح معه في السموات^١. هذا هو الإيمان بالمسيح الذي وَهَبْنَا جسده المائت والمقام. فالיום لا تُحسب أجسادنا بحسب الإنسان العتيق من تراب الأرض كما خُلِقْنَا في آدم، بل قد فقدنا أجسادنا العتيقة بالإيمان بموت المسيح وقيامته، لأنه مات بجسدنا وقام بجسدنا فأصبحنا، بقوة القيامة وسلطان عمل الله فينا وفي المسيح، خليقة جديدة؛ جسدها هو جسد المسيح نفسه، لأنه معروف أنه إن مات واحد من أجل الجميع موتَ فدية، يكون الجميع قد ماتوا^٢. فأصبحت خُلُقَتْنَا القديمة الترابية كأنها لم تكن، علماً بأن حُكْمَ الموت علينا كَانَ حُكْماً أبدياً، فلما رُفِعَ عنا حُكْمُ الموت

١ أنظر أف ٢ : ٦.

٢ أنظر ٢ كو ٥ : ١٤.

مات الترابي وكأنه لم يكن، أي زال من الوجود في نظر الله، وأصبح جسدنا الجديد قائماً ودائماً في قوة قيامة المسيح. هذا كله هو نصف الحقيقة الإلهية: أي أننا نحيا بقوة الله في شخص المسيح؛ هذا الكلام هو بالنطق الإلهي، الذي تزول السموات والأرض وحرف واحد منه لا يزول. فنحن نتكلم بكلام الله، فبنفس النطق السالف الذي قال: **لِيَكُنْ** إنسان من التراب، ونفخ فيه نسمة حياة؛ فهنا لأجل تهليلنا ولأجل مجد الله وصدق عمله وآياته، نطق الله نُطقه الأزلي مشيراً إلى ابنه المحبوب أن **يَتَجَسَّدَ** ويأخذ جسد الإنسان العتيق حاملاً ملء خطاياهم وحاملاً للجنة الله الأولى، ويقبل كل خطاياهم واللجنة الأولى ويزيلها زوالاً أبدياً بموته؛ فدُفِنَتْ خطاياهم بدفنه وانقشعت اللعنة الأولى، ولما قام المسيح قام بخلقة جديدة روحية مقرأها السماء وسلمها لنا، بمعنى أن جسده الإلهي المقام محسوب أنه جسدنا الذي أخذه منا، وقَدَّسه لنا، وجَعَلَنَا معه وفيه ملوكاً وكهنة لله أبيه. وإذ حوى جسده كل المؤمنين به، صار الكل أعضاء هذا الجسد الذي لا حدود له، الذي يملأ السموات ومُلْكُهَا الأبدي بكل أعماده التي للمسيح، التي صارت إرثاً أبدياً لكل إنسان في

المسيح يسوع.

على أن المؤمنين الذين صاروا أعضاء في جسد المسيح الممجد من لحمه وعظامه لا يُحسبون أفراداً، لأن كل من اتحد بالمسيح وصار في شركة مجده، يحدد كيانه الذاتي، حيث يصير الكل واحداً في المسيح، وتزول الفوارق التي مزقت البشرية، ولا يعود ذكر وأُنثى فيما بعد، بل يصير كل عضو في المسيح يحمل كل ما للمسيح، فتلاشى الفوارق والذوات والملكيات. فلا يعود الإنسان ملك نفسه بل المسيح يملك الكل. فقول الكتاب: "أعضاء في جسد المسيح" يعني أن المسيح هو الكل في الكل. وهكذا تنتهي البشرية العتيقة، ويصير الإنسان هو إنسان السماء له صورة المسيح ومجده، ويصبح الكيان البشري أحد كيانات السماء التي تأخذ منهج تسييحها وتمجيدها لله كما يأخذ الصاروفيم والشاروفيم، فتزدان السماء بالخلقة الجديدة التي للإنسان، والتي هي نفسها كيان الابن الوحيد، والتي أصبحت في مقدمة الصارخين بالمجد لله والحمل.

٢٠ يونية ٢٠٠٥

«يعطيكم إله ربنا يسوع المسيح، أبو المجد، روح الحكمة والإعلان في معرفته، مستنيرة عيون أذهانكم، لتَعلَمُوا ما هو رجاء دعوته، وما هو غنى مجد ميراثه في القديسين، وما هي عظمة قدرته الفائقة نحونا نحن المؤمنين، حسب عمل شدة قوته الذي عمله...»

رسالة أفسس ١ : ١٧-٢٠

حينما يفيض الروح على الإنسان يجعله ينطق في الحال بكل أسرار الله المخفية والفائقة جداً على حدود العقل النشيط، وذلك إذا تأمل في المقولات الإلهية التي يضعها الله في فم المؤهلين لاستعلان سرِّ الله في المجد الذي يرفعنا مرة واحدة ويُحضرنا أمام الله وكأننا بلغنا المنتهى!!

بولس الرسول يكشف لنا عن روح الحكمة والإعلان التي ترفعنا إلى مستوى معرفة سرِّ الله في مجده الذي صنعه في ابنه يسوع المسيح لكي يُظهر به ما عمله فيه، لدرجة أن إرسال ابنه ليتجسّد هو وحده أمر يستلزم عقلاً مستنيراً بنعمة الله حتى

يصدق عمل الله. والذين صدّقوا عمل الله في تجسّد ابنه مولوداً من امرأة عذراء، ففي الحال يُرفع لهم الاستعلان إلى درجة السرّ المكتوم منذ الدهر والذي أُعلن لبولس الرسول بعد أن كان مخفياً قبلاً عن كل أنبياء الله والقديسين الأوائل، وهذا السرّ هو استعلان دعوة الله للبشرية المرفوضة سابقاً لتأتي إلى الله في شخص يسوع ليكون لها رجاء كأولاد لله المحبوبين بلا عائق أو ثمن، بل مجاناً كمنحة من يد الله غير مدفوعة الثمن.

بل وأُعطي الذين استجابوا لدعوته وقبلوا المسيح رباً ومسيحاً أن يكونوا ورثة مع القديسين في كل ما للمسيح.

أمور تشرق على أذهان المختارين فترفعهم في الحال إلى مصاف القديسين في النور، فيتأهلّوا لدخول ملكوت ابن الله المحبوب، لا كضيوف ولا كزائرين، بل أصحاب مجد، وكأن ملكوت المسيح أصبح وطنهم المفضّل. والذي يسمع هذه الأمور، تُعلن في أحشائه دعوة الله في المسيح المجانية فيصير سمّعه بمحبة الله ودعوته المجانية وكأن هذه الدعوة أصبحت لحسابه، فلا يعود يستغرب هذه الأمور العُليا، بل يُوهب النطق بها والافتخار مهما كان منبوذاً سابقاً وغارقاً في خطاياها. لأن دعوة الله لا تنصبُّ على الأقوياء في الإيمان والأعمال، بل تنصبُّ على

المرفوضين والمطرودين خارج السياجات، لأن بيت الله وحضنه لم يَعد وقفاً على أحد، بل قد انفتح على الخطاة والمذنبين مجاناً، كل مَنْ صدَّق وآمن وصار من المُستأمنين على سرِّ الله.

وعندما قال بولس الرسول متمنياً لنا استنارة عيوننا لمعرفة استعلانات الله المجانية يتكلَّم في الصميم، لأنه لا بد أن نحصل على استنارة العين لكي نطلَّع على أعمال الله وخاصة في أمور المسيح وكيفية عمل قوة الله الفائقة في إقامة المسيح من الموت؛ لأن الله استخدم فعلاً أقصى قوته ليُحوِّل الموت الذي جازه ابنه إلى حياة وقيامة. فقيامة المسيح من الموت هي وحدها أعظم قوة دخلت العالم، لأنها استلزمت تحطيم كل قوات العدو أولاً، وإلغاء سلطان الموت الذي استمده ظلاماً ضدَّ الإنسان بداعي الخطيئة. فللكي يُقيم الله ابنه من بين الأموات ربط أولاً كل قوات العدو، وظفر المسيح بأكبر أعداء الله والإنسان، وحينئذ صار الموت لاغياً مع كل سلطان صاحب الموت. هذه كلها تمت في غير المنظور، وصارت شهادة نصرة على أعداء الله والإنسان، وصار اقتناؤها محتاجاً إلى انفتاح عين الإنسان روحياً ليرى ما لا يُرى ويتحقق من أصل وسبب غلبة المسيح على العالم، ويتحقق ملياً أن هذا كله تم لحساب الإنسان الواقع في الظلمة تحت برائث

الشیطان دون حق أو حقيقة. هنا استنارة العین والذهن لا تحدث جزافاً، بل هي نعمة فائقة لتحويل ما للتراب إلى ما هو للسماء ولحساب الله في المجد.

ولا تزال القوة التي تفاعلت في جسم بشرية المسيح في القبر أعظم قوة عرفها وسيعرفها الإنسان في حياته ومماته، فرَفَع جبل من على الأرض هو بمثابة لعبة بجوار رفع المسيح من بين الأموات، علماً بأن قيامة المسيح كانت تحمل في طياتها وقوتها كل موت للإنسان في المسيح. فالقيامة كانت، ولن تزول أبداً، هي استعلان لقوة الله التي تفوق كل وصف ولن يطلع عليها الإنسان إلا بالاستعلان، أي برؤية ما لا رؤية له، وإدراك الحق الفائق على كل الوجود.

فالذي قام مع المسيح أصبح فخر الملائكة وكل القوات السمائية، لأن القيامة هي القوة الوحيدة التي لا تدري بها كل القوات السمائية، والتي صارت ملك الإنسان وحده في المسيح يسوع.

٢١ يونية ٢٠٠٥

«الذي، وهو بهاء مجده، ورسم جوهره، وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته»

رسالة العبرانيين ١ : ٣

نحن هنا أمام طبيعة المسيح موصوفة على أساس طبيعة الله كأنطباق المثل على المثل، وكاتب سفر العبرانيين يرتفع في تصويره للمسيح ليجعله نور طبيعة الله المشع؛ أي الذي يعلن بقوة نور الله الذي اعتبره بهاءً كبهاء نور الشمس الذي يعلن ويكشف طبيعة الشمس، هذا على مستوى الشمس التي خلقها المسيح ابن الله، عندما قال: «ليكن نور»^١، فظهرت الشمس في الوجود. تماماً هنا يحاول سفر العبرانيين أن يكشف لنا عن ظهور ابن الله في العالم، فكان سرُّ الظهور في الحقيقة هو انبعاث نور الله الفائق، لا نوراً عادياً بعد كنور الشمس، وإنما هو نور طبيعة الله

^١ تك ١ : ٣.

القائم في مجده. فظهر هذا النور بميلاد المسيح، وشاهد ظله في السماء جماعة المجوس راصدي نجوم السماء، فعرفوا في الحال أنه نور ملك السماء ظهر في العالم، فقاموا في الحال وارتحلوا من ديارهم يرشداهم النجم الذي ظهر حتى أتى بهم إلى بيت لحم حيث قدّموا له هدايا تليق بملك سيعبد ويُقدّم له البخور، ويتألم ولايد.

لكن صاحب سفر العبرانيين كان نبياً فَعَرَفَ أن المولود هو حقيقة صورة الله الوحيدة، أدركها من هالة بهاء المجد الذي استعلنه بالرؤيا غير المنظورة، فأعطانا صورة الحق الإلهي الذي ظهر في العالم باعتباره بهاء نور الله الذي يعلن عن طبيعة الآتي إلى العالم ببهاء مجد الله.

وعاد يكمل في وصف الآتي إلى العالم، فأعطى تمييزاً بديعاً لبهاء مجد الله في الابن، إذ أدرك بالاستعلان الفائق أنه على صورة الله جوهرياً، أي مطابقاً تماماً لرسم طبيعة الله في صميم الداخل أو في شكله الخارج، بمعنى أن طبيعة الله المجيدة إنما استُعلنت في شكل إنسان هو في الحقيقة شكل الله ذاته جوهرياً. وهكذا جمع صاحب سفر العبرانيين بين بهاء المجد الذي يحمل كل صفات الله المنيرة، وبين صورة جوهره التي تحمل صميم طبيعة الله وكأنه

يَسْمُهَا!!!

هنا يُدهشنا صاحب سفر العبرانيين الذي كان أول من اقتحم
لاهوت الله ومجده لِيُعلنها في شخص يسوع المسيح مولود بيت
لحم. وكان أول نبي يعطي العالم صورة مجد المسيح مع الآب؛
لأمر الذي لما أراد المسيح أن يصف حقيقة صورته في الله قال:
«أنا في الآب والآب في» و «الذي رأي فقد رأى الآب»^٢، وعيّر
فيلبس لما طلب من المسيح أن يرى التلاميذُ الله الآب وكفاناً،
فقال له المسيح: «أنا معكم زماناً هذه مدته ولم تعرفني يا فيلبس.
الذي رأي فقد رأى الآب»^٣.

ولكن الذي يلزم جداً أن تُشير إليه أن كيان الله الآب والابن
كيان واحد لا انقسام فيه بأي حال، هذه الوحدة المذهلة للآب
والابن انعكست علينا بالضرورة، يصفها يوحنا الرسول بلسان
المسيح وهو يخاطب الآب: «أنت أيها الآب في وأنا فيك،
ليكونوا هم (المؤمنون) أيضاً واحداً فينا»^٤. وهكذا ينتهي السرُّ
إلى واحد.

٢ يو ١٤: ٩، ١٠.

٣ يو ١٤: ٩.

٤ يو ١٧: ٢١.

وكوننا واحداً في الله والابن يستلزم بالضرورة أن نكون واحداً
معاً وإلا توقّف الإيمان.

وما أعجب كلمة سفر العبرانيين وهو يصف الابن أنه "الحامل
كل شيء بكلمة قدرته"، أي الذي يرعى ويقود ويسهر ويحافظ
ويحمي خليقته التي خلقها، مؤكداً أن ليس أحد يستطيع أن
يخطفها من يدي أو من يد أبي^٥، فنحن في حمى الله والابن
محفوظين ومحروسين من طغيان العدو الذي «يجول ملتمساً مَنْ
يبتلعه»^٦.

وشكراً لله الذي يقودنا في موكب نصرته ابنه^٧!

٢١ يونيو ٢٠٠٥

^٥ أنظر بر ١٠ : ٢٨، ٢٩.

^٦ ١ بط ٥ : ٨.

^٧ ٢ كو ٢ : ١٤.

«الذي هو لنا كمرساة للنفس مؤتمنة وثابتة، تدخل إلى ما داخل الحجاب، حيث دخل يسوع كسابقٍ لأجلنا»

رسالة العبرانيين ٦ : ١٩، ٢٠

صحيح أننا الآن خليفة جديدة، وأنا أخذنا فعلاً ميراثنا السماوي الذي افتتحه يسوع المسيح لما صعد إلى السماء ودخل إلى الآب واستردّ لنا مجده، لنصبح شركاء مُلك وشركاء مجد؛ ولكننا لا زلنا متغريين في العالم ننتظر يوم الفكّك من الموت. ولكن صاحب سفر العبرانيين يؤكد لنا أن سفينة الخلاص التي ركبناها بإيمان معمودية التجديد، لا تزال تمخر عباب هذا العالم البغيض. والسُرُّ الذي يقول صاحب العبرانيين أنه اكتشفه لنا، أن مركب خلاصنا ليست مربوطة بعد بالأرض، ولكن ملاحٍ المركب الذين وُكِّلوا للسير بها رموا سرَّ المركب وهو المرساة^١ إلى ما داخل الحجاب الذي يحجز بين السمايين والأرضيين، أي بين

^١ المرساة أو الملب هو ثقل مربوط، من جهة، في السفينة، ويُلقى في الماء ليتعلّق بالقاع فيمسك السفينة ويمنعها من الحركة.

ملكوت المسيح في العُلا والمجد، وبين الأرض بشقائها ونصيبها في الباقي من تجارب العدو وتنغيصه لحياتنا على الأرض. فمركب خلاصنا لما أُلقت المراسي إلى داخل ما وراء الحجاب، أصبحت ثابتة وممنوعاً عليها أن تمتد شيراً واحداً في ظلمة هذا العالم. فنحن الآن في الجانب المواجه للعالم علينا أن نقبله ونساييره إلى أن تدخل مركب الخلاص بجملتها في ما داخل الحجاب، أو بالتالي تمزقه، فنصبح نحن المخلصين على بَرِّ الأمان حيث يستقبلنا القديسون الذين سبقوا، مع تهليل الملائكة بنا حيث يقودوننا إلى حضرة المسيح أمام الله.

أما هذه المرساة التي دخلت داخل الحجاب كسابق من أجلنا، فهي المسيح - تَمَجَّدَ آسَمُهُ - إذ عَبَّرَ إلى ما داخل الحجاب وأعدَّ لنا المكان بين صفوف المخلصين، كلُّ باسمه ومكانه، المكتوبين سابقاً على كفه.

أما هذا الحجاب الذي اخترقه المسيح فهو حجاب الموت، موت اللعنة الأبدية التي اكتسبها آدم وورثها لبني جنسه. وقد فتح المسيح في هذا الحجاب باباً رسمياً يؤدي إلى عالم المجد السماوي. ولكن لا تزال مركب الخلاص متوقفة في مكانها في هذا الموقف الحرج، إلى أن تستوفي عدد المخلصين وترحل بالأمر

إلى ما داخل الحجاب، جملةً، حاملةً كافة المخلصين الحائزين على ختم المسيح وصليبه؛ أما الذين لم يحصلوا على ختم المسيح وصليبه فلا يُسمح لهم بالعبور، بل هم الذين لا يشاءون ذلك لأن ملاهي العالم تحجزهم حيث يكونون مكتفين بها.

أما المكتوبون على كفّ صاحب المرساة فهم مطمئنون ومنتظرون ساعة العبور بشوق ولهفة، لأن أصوات الفرح والتهليل المسموعة من وراء الحجاب التي للقديسين الذين عبروا تجعل شوقهم يغلي ودموعهم تنهمر بطول زمان الغربة. والعبور البديع يتم عندما ينادى من السماء بالاسم فيعبر الإنسان في لحظة ويكون في استقباله كل محبيه المخلصين مع الملائكة الذين كانوا مُوكّلين بهم على الأرض.

وينضم المخلصون معاً ويكونون في جملتهم صورة فريدة للمسيح، تُزيد من صراخ الملائكة وكل أجناد السماء، لأن المسيح عند الملائكة هو كلمة الله المخدومة منهم جميعاً.

وقول الكتاب واصفاً المسيح كمرساة مؤمنة، يعطي القارئ الأساس الذي يبني عليه إيمانه، أن المسيح جديرٌ بأن يقود إخوته في طريق مستحيل على البشر. فكُون المرساة تخرق جدار الحياة الفاصل بين الله والإنسان، وبين الحياة والموت، هي قيادة فريدة

من نوعها، لم يقدر عليها نبي أو قديس، ولا حتى ملاك أو رئيس ملائكة. فالمرساة (أي الهلُب في السفينة) هو قوة الله الفريدة التي أَسْكَنَهَا للمسيح لينوب عَن الله نفسه؛ فالذي يقودنا من الموت إلى الحياة هو صاحب الحياة وقاهر الموت، أما صاحب الموت فهو إبليس.

علماً بأن الله لم يأتمن موسى ولا أي نبي ليقود الإنسان من الموت إلى الحياة؛ لذلك كان إيماننا بالمسيح إيماناً لا مثيل له في حياة الإنسان، إذ ثبت بالثبوت القاطع أنه هو الله الذي عَبَّرَ بنا من الخليقة الأولى المُعْتَرَّة والمليئة بالإخفاقات والخطايا والنقصان، إلى حياته نفسها، لننعم بقية حياتنا كخليقة محبوبة ومُجَدَّدة. ويصف الكتاب المرساة أنها مؤتمنة وثابتة، هذا الثبوت وحده يجعلنا نواجه حقيقة إلهية، فالثبوت الدائم هو طبيعة الحق الإلهي. فإن كانت مركب خلاصنا احترقت، بواسطة المسيح، حاجز الموت، ورمت مراسيها وراء الحجاب بثبات، فيتحتم أن يصبح إيماننا بالمسيح من نفس نوع المرساة أميناً وثابتاً، حتى يصير خلاصنا ونحن راكبون مركب الخلاص أميناً وثابتاً، لأن صحة الإيمان الصادق بالمسيح هو شركة كاملة مكَمَّلة مع المسيح في الله.

وعلى أولاد الله أن يفرحوا ويُسرُّوا، لأن عملية الدخول إلى حياة تمت بأمان وثبات. وأصبحنا محسوسين أننا نحيا فوق وليس على الأرض. وكما يقول الكتاب: «إِنْ ثَبُتُمْ فِيَّ وَثَبَتْ كَلَامِي نِيَكُمْ تَطْلُبُونَ مَا تَرِيدُونَ فَيَكُونُ لَكُمْ. بهذا يتمجد أبي أن تأتوا ثمر كثير فتكونون تلاميذي. كما أحبني الآب كذلك أحببتكم نا، اثبتوا في محبتي. إن حفظتم وصاياي تثبتون في محبتي، كما أنني نا قد حفظت وصايا أبي وأثبت في محبته»^٢.

صفتان تربطان الإنسان بالمسيح: الإيمان، والشبوت، على أن يبدأ الإيمان بحفظ الوصايا، ثم يتقوى بالتجارب. حينئذ يفوز الإنسان باختبار الخلاص الذي يقوده إلى كل معرفة الطريق، حيث الطريق هو نفسه وجود المسيح: «أنا هو الطريق والحق والحياة»^٣، بحيث إن وضعنا قلوبنا وروحنا في طريق المسيح فنكون قد فُزْنَا بالمسيح نفسه، ومن فاز بالمسيح فاز بالحق والحياة.

ولقد كان انشقاق حجاب هيكل أورشليم لحظة صلب المسيح مُعْبَرًا عن إبطال الناموس ودخول الأمم عهد الله الجديد.

^٢ يو ١٥: ٧-١٠.

^٣ يو ١٤: ٦.

أما خَرَقَ الحجاب الذي يفصل السمائيين الممَجِّدين عن الذين يَشْقَوْنَ على الأرض بانتظار تكميل الخلاص، فكان وَقْفاً على رئيس الخلاص ومُكَمِّله يسوع، لأن عبور هذا الحجاب يعنى الترائي أمام وجه الله مباشرة، فهو عبورُ خلاصٍ فريد من موت إلى قيامة، ومن بشرية مغضوب عليها إلى لاهوت مُعَلَّى هو ملء الابن المسكوب عليه من ملء الآب. ومع المسيح دخل الإنسان المفدَى إلى ملء المسيح كواحد، في ملء الكل في الكل.

٢٢ يونيو ٢٠٠٥



«يجب أن الذي يأتي إلى الله يؤمن بأنه موجود»

رسالة العبرانيين ١١ : ٦

أن نؤمن بأن الله موجود ليس معناه حقيقة مجردة كوجود الحرارة والماء والهواء، ولكن وجود الله يستلزم أولاً أن ينكر الإنسان ذاته، لأن الذات تملأ إحساس الإنسان بوجوده وأفضليته، ولا يمكن أن تتسع الذات لكيان آخر غير النفس، ومن خلال النفس قد يقبل الإنسان إنساناً آخر، ولكن يستحيل على الذات والنفس أن تقبل الغير وترفض ذاتها. ولكن الله في قدرته ولاهوته موجود قبل كل الوجود، ولمّا أوجد الإنسان أوجده على أساس طاعته وخضوعه المطلق لوجود الله، فلما أخطأت حواء وأوقعت آدم في خطيئتها التي خالفت فيها وصية الله وطاعته، اختبأت في الحال هي وادم وراء الأشجار، لأنه يستحيل على الخاطئ أن يتراءى أمام وجه الله إلاّ للمحاكمة من واقع دعوة الله له للحضور أمامه. وهكذا يكون وجود الله يعني عدم وجود الخطاة وغير الطائعين أمامه.

فلما تجسّد الكلمة ابن الله وصار وسيطاً غفران ومصالحة
للإنسان الخاطيء مع الله، استطاع الإنسان بوساطة الإيمان بالمسيح
أن يرى الله ويوجد أمامه بلا لوم.

لذلك تحتم على الإنسان الذي يريد أن يأتي إلى الله، أن يكون
قد آمن بالمسيح واتخذ من وجود المسيح أمام الله وجوداً له، حتى
يتسنى له أن يتحقق من وجود الله ويتراءى أمامه بلا لوم في محبة
المسيح والله.

٢٢ يونيو ٢٠٠٥



«وآخرون عُدُّبوا ولم يقبلوا النجاة لكي ينالوا قيامة أفضل»

رسالة العبرانيين ١١ : ٣٥

سمعنا قصة الأخ صابر الذي عُدِّب عذابات أليمة لكي يفرِّط في إيمانه فما جزع قط ولا خار ولا خان العهد، بل احتمل الآلام المرعبة ومشقَّات رهيبة ينهار لها الإنسان وهو لا يهتزُّ. وكان صابر واحداً من سلسلة الذين عُدِّبوا ولم يقبلوا النجاة، ولكن كانت عينه على الذي احتمل العار والخزي والصليب أمام كل الناس ولم يرتد. فماذا نقول، أهى قوة إرادة؟ مستحيل، أم هى بطولة؟ حاشا، أو هو عجز أفعده عن الإنكار ونوال الراحة والمجد الدنيوي؟ حاشا ألف مرة! فما هى إذن هذه القوة الجبارة السرية التى تجعل الشهادة نوعاً من قبول الموت من أجل الخلاص! ولكن ماذا نقول فى قوة الشيطان الذى أعدَّ للمؤمنين كل صنوف الآلام والتعذيب الجهنمية؟ هنا يظهر قول الكتاب أن المسيح ظفر بالعدو وكل أعوانه على الصليب وأورده موارد الخزي والعار،

وأسقطه من مستوى الخطوة التي نالها خلسة لكي يجرب بها المؤمنين الذين فازوا بنصرة الصليب وحفظوا بقوة تفوق الشيطان وكل جنوده.

وهكذا نرى أن المسيح على الصليب أطلق قوة إلهية يقبلها المؤمنون ليستهيئوا بها بالآلام الصليب وعذاب المعذبين. فالقوة التي يمتلكها المؤمنون على مستوى صابر هي شهادة صامته بما حازه المسيح من سلطان إلهي على كل المعاندين لقول الحق. هذه القوة يمارسها كل القديسين في كل مكان، فكانوا الرائحة الذكية لله التي تنعش المخلصين وتسوقهم في طريق الشهادة بقوة لا تُقهَر لتخزي العدو وكل أعوانه.

وكل عذاب في هذا الدهر يلقاه المؤمنون بالمسيح هو بجد ذاته قيامة سرية يمارسها المتألمون إلى أن تُستعلن بظهور المسيح. فكل عذابات المؤمنين المحسوبة شهادةً لصليب المسيح تحمل في طياتها سرَّ القيامة العتيدة أن تكون، وهنا يصحُّ القول الذي يقوله الكتاب: «إن كنا نتألم معه لكي نتمجد أيضاً معه»^٢، و«لأن خفة ضيقنا الوقتية تُنشئ لنا أكثر فأكثر ثقل مجد أبدياً»^٣. والذي نود أن نقوله هو أن الآلام والضيقَات هنا، لو

^٢ رو ٨ : ١٧.

^٣ ٢ كو ٤ : ١٧.

احتملناها بصبر وفرح القديسين، فإنها تحوي في ذاتها النصيب المذخر لنا، لا كأنه آت فيما بعد بل حاضر وعامل في الروح، نعيشنا بروح القيامة، فنستهن بخزي هذا العالم بل ونفتخر على رجاء مجد الله.

وقصارى القول، إن ضيق الوقت الحاضر مع اضطهاداته وآلامه وأمراضه وجور المتولين علينا هو الغنى الحقيقي الذي نذخره بالصبر حتى استعلانه في الوقت المبارك. بل ونقول إن صنوف الآلام التي نعانيها في حياتنا هنا هي من صنف السرور الذي فاض من المسيح وهو مصلوب من أجلنا، كما يقول الكتاب: «الذي من أجل السرور الموضوع أمامه، احتمل الصليب مُستهيناً بالخزي»^٤. هذا هو الجانب المفرح والمُعزّي في صليب المسيح، إذ يقول الكتاب إن تأديب الرب بالآلام هو «لأجل المنفعة، لكي نشترك في قداسته»^٥ و «إن كنا نتألم معه، لكي نتمجد أيضاً معه»^٦.

٢٢ يونيو ٢٠٠٥

^٤ عب ١٢: ٢.

^٥ عب ١٢: ١٠.

^٦ رو ٨: ١٧.

«دم المسيح، الذي بروح أزلي قدّم نفسه لله بلا عيب،
يظهر ضمائركم من أعمال ميتة لتخدموا الله الحي»

رسالة العبرانيين ٩ : ١٤

يقول سفر العبرانيين إن في العهد القديم كانت تُقدّم ذبائح ميتة كفدية رمزية لمغفرة الخطية، وكان هذا تبع الناموس الإلهي الذي سلّمه الله لرواد العهد القديم الأوائل.

وكان هذا الطقس الدموي كفيلاً بأن يتغاضى الله عن خطاياهم. وكان هذا الترتيب الناموسي الإلهي هو بادرة مقصودة من الله ليتعلّم الشعب أن الخطية لا يرفعها عن الخاطئ إلا بسفك دم فدية. وهكذا تربى الشعب على طقس تقديم الذبائح المتعددة لمغفرة الخطايا، وقد علّق الكتاب على هذا بأن «بدون سفك دم لا تحصل مغفرة»^١. وعلى هذا الأساس قدّم الشعب ذبائحه كل يوم بأنواع تتعدد بنوع الخطية وموقف الخاطئ، فكانت الذبائح

^١ عب ٩ : ٢٢.

تُقَدَّم بالآلاف ومئات الآلاف على مرِّ السنين. وقصد الله من هذه الذبائح أن يوقظ ضمير الشعب لِيُقَيِّم خطورة الخطيئة، حتى أن الأنبياء أدركوا أن الله لا يُسرُّ بذبائح الخطيئة ولا حتى يقبلها: «لذلك عند دخوله إلى العالم يقول: ذبيحة وقرباناً لم تُرد، ولكن هيأت لي جسداً» و «محرقات وذبائح للخطيئة لم تُسرَّ، ثم قلت: هاأنذا أُجىء، في دَرَج الكتاب مكتوب عني، لأفعل مشيئتكَ يا الله»، «إذ يقول آنفاً إنك ذبيحة وقرباناً ومحرقات وذبائح للخطيئة لم تُرد ولا سُررت بها»^٢، «لأنه بقربان واحد (الصليب) قد أكمل إلى الأبد المقدَّسين»^٣. لأن الشعب كان يقدمها كما لقوم عادة وليس عن تأمل جذر الخطيئة المسموم.

وأخيراً أظهر الله تدبيره وقصده القائم قبل الدهور بكيفية رَفَع نير الخطيئة عن كاهل الشعب وعن ضمائر الأنبياء، فدبَّر الله ذبيحة واحدة يمكنها أن ترفع خطايا الإنسان جميعاً، وهو حَمَلَ نيرها بنفسه عن الشعب فأرسل ابنه الوحيد ليقدم نفسه ذبيحة حية إلهية عن كافة خطايا العالم كله.

وهكذا ألبس الله ابنه الوحيد جسداً بشرياً طاهراً، وجعله يتألم

٢ عب ١٠ : ٨-٥.

٣ عب ١٠ : ١٤.

عن الشعب جميعه، ويحمل خطايا العالم كله في جسده، وقَدَّم ذبيحة واحدة حيَّة عن العالم - كل من يؤمن به - وسلَّمه للصليب حسب شهوة رؤساء الكهنة كنقمة عليه، بسبب قوله إنه ابن الله، وبمقتضى معجزاته التي صنعها والتي صَعَّرت من قيمة الكهنة ورؤساء الكهنة ووجهاء الشعب. وتمم ابن الله قصد أبيه وقَبِل أن يُصلب بصفته رجلاً خاطئاً ومُجَدِّفاً ومُقلِّداً لليهود خاصة رجال الكهنوت.

وتقبَّل المسيح الصليب، ونَزَفَتْ دماؤه حتى الموت، فاعتُبرت ذبيحة المسيح ذبيحة خطية بالدرجة الأولى لأنه كان طاهراً وقدوساً وبلا لوم ولم يوجد في فمه غشٌّ. وكان روح الله الأزلي يحافظ على الجسد المذبوح ليبقى في الحقيقة حيّاً بروح الله القدوس، إلى أن أكمل الدفن حسب طقس كل إنسان، ثم قام بشدة قوة الله وروحه القدوس من الموت غالباً الموت وسلطان الموت أي إبليس.

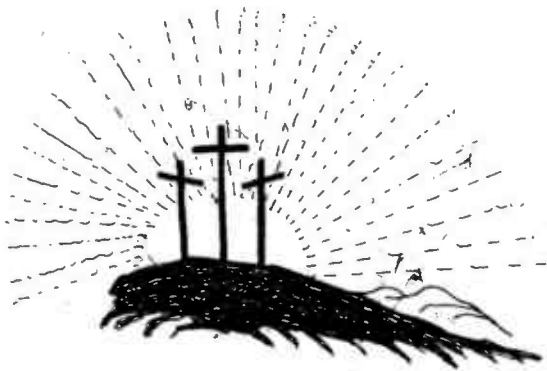
فأصبح صليب المسيح وقوة القيامة معاً لحساب كل إنسان تجاه كل خطية. هذا الإيمان الحيُّ بحياة المسيح وشهادة الكتاب صار قوة جديدة للإنسان تتغلغل ضميره وتسود على كل أفكاره وتصوراتهِ التي كانت محصورة في دائرة الخطية والموت، وشعَّ

على ضمير الإنسان نور رضا الله ومسرته، وأحسن الإنسان أنه
تقبل من موت المسيح وقيامته حياة جديدة، فصار خليفة جديدة
بضمير طاهر ناطق بحمد الله ومجده. وهكذا اندثرت كل الأعمال
الميتة مع هموم الإنسان، وعثقت التهديدات الأولى وشاخت بل
وماتت، وبقي ضمير الإنسان الجديد شاهداً بفضل الله والمسيح.
وعجبي على الإنسان الذي بعد أن توثقت صلته بالله وصلب
المسيح لأجله، يعود ويحمل هموم هذا العالم، وينتكص إلى عهد
الظلمة، ويعاقر الخطية ويتعاطاها لتسكن ضميره وتتغلغل
أحشائه. وماذا يمكن أن نعمل للإنسان المنتكص على أعقابيه
والهارب من وجه الله والجاحد لصليب المسيح؟

كان المسيح يعلم بهذا النكوص وهروب الإنسان حاملاً همومه
كأن صليب المسيح صار عدوه - وهو خلاصه الوحيد - فقال
المسيح: «تعالوا إلي يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال، وأنا
أريحكم». فلا يزال المسيح بعد أن أكمل ذبيحة نفسه يجري
وراء الخاطئ ويبحث عنه ليسقيه ماء الحياة مجاناً ويجذبه إلى
حظيرة المختارين، فليس عند المسيح خاطئ، ولا يقبل كلمة

”الخطية“ التي ذَبَحَ نفسه ثَمناً لرفعها عن كاهل الإنسان وضميره:
«الآن قد أُظهِرَ (المسيح) عند انقضاء الدهور لِيُطِلَ الخطية
بذبيحة نفسه».

٢٣ يونيو ٢٠٠٥



«وإن كان إنساننا الخارج يفنى، فالداخل يتجدد يوماً
فيوماً»

الرسالة الثانية إلى كورنثوس ٤ : ١٦

إنساننا الخارج استلمناه من الزمن. فكل إنسان يعرف تاريخ ميلاده، وكلما زاد الإنسان في العمر تتخلى عنه قوته قليلاً قليلاً دون أن يستشعر ذلك، إلى أن تأتي السنين فينظر الإنسان إلى حياته فيراها قد أكلتها السنين، ثم ينظر أمامه فلا يجد أملاً في الدنيا بعد. فإن كان قد أذخر في شبابه سنين أعطاهها للمسيح في تقوى وقداسة وصلاة وخدمة وتسبيح، فإن أمله يتجدد، ويرى أن حياته إنما ابتدأت تأخذ جذتها في المسيح وكأنه أصبح إنساناً جديداً بشبابه ورجائه ونظرته للمستقبل القريب والبعيد سيان، لأنه يسمع الصوت الآتي من فوق: تشجع فإنك عن قريب ستكون معنا. وهكذا يمتلئ سروراً عوضاً عن الحزن على الماضي، لأن الحياة في المسيح تجدد شباب الإنسان فيزداد مع السنين حكمة ونعمة وقولاً سديداً، ويراه الناس فيمجدون الله فيه لأن

الشيخوخة المستتيرة هبة للعالم وتقييمٌ مريحٌ ومحَبٌّ للإنسان.
والإنسان الذي مَنَّ الله عليه بيقظة الضمير واستنارة في معرفة
أمور الله، هو ذخيرة لا يمكن التقليل من قيمتها للآخرين، لأنه
يلزم أن يدرك الإنسان في المسيح أن هبة الإنسان الجديد هي
عطية للآخرين أكثر منها للإنسان، فالخارج الذي يفنى أمام عين
الإنسان هو ملكه الذي يحاول أن يمتد به إلى الأمام، أما الإنسان
الجديد الذي يتجدد كل يوم حسب صورة خالقه في المجد فهو
ملك الآخرين ونور للعالم. فالإنسان الجديد هو في الحقيقة مخلوق
على صورة المسيح في المجد. وإذا كان الإنسان العتيق هو فخر
أمه، فالجديد الذي يتجدد كل يوم بانسكاب النعمة عليه
واستقائه من ماء الحياة النابع من أمام عرش الله، هو فخر المسيح
ومجد الله: «الذي يُثَبِّتُنَا معكم في المسيح، وقد مَسَحَنَا، هو
الله»^١.

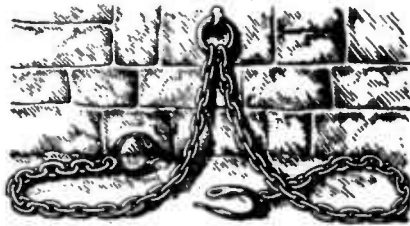
والعجب العجيب أن خليفة الإنسان الأولى الترابية استبدت
بالتاريخ والزمن كأن السنين الطويلة التي عادت على البشرية
محسوبة وكأنها عمر الإنسانية، ويعدد العلماء مقدار غنى البشرية

في العلوم والمعارف والاختراعات والتكنولوجيا وكأنها ميراث
البشرية الذي تعتر به وتتفاخر؛ في حين أن عمر الإنسان الجديد
الذي خلقه الله بالتدبير لنفسه خلّقه قبل تأسيس العالم، خلقه في
المسيح وخلق له مستقبله وأعماله الصالحة معتبراً أنه ابنه، فخلق
على صورة ابنه في المجد؛ خلقه قبل أن يخلق الأكوان السمائية
وقيادتها العظيمة، لذلك كان الإنسان في موضع مسرة الآب
حتى قبل أن تدبّ قدماءه على الأرض. لذلك لما خان آدم الصورة
الترايبية للإنسان الذي كان أيضاً هو الآخر على شبه الله، أحزن
قلب الله وجعله يدبّر تدبيره الإلهي لإنقاذ الإنسان من عبودية
الخطية والموت، فأرسل ابنه ليتبنّى قضية الإنسان تجاه أعداء الله،
ويرفع عن كاهله مرارة الخطية ورُعب الموت وسيادة الشيطان؛
فكان الصليب الذي هتك فيه الشيطان وظفر به مع أعدائه، وفكّ
أسر الإنسان من عبودية الخوف من الموت وسلطان الخطية
والشيطان، ووهبه إنسان القيامة المحسوب أنه الإنسان الجديد
المخلوق جديداً على صورة خالقه في المجد، ووهبه الله كل ميراث
المسيح ابنه المحبوب في المجد.

وهكذا استرد الإنسان خلقته الروحية الإلهية من الله ووهبه
روحه القدوس ليثبت في المسيح والله، ولا يعود ينحاز للخطية

والعدو. ولكن الله من أجل رحمته وغناه في الحكمة أبقى للعدو بقية لئُجرَّب الذين يرفضون الخلاص المجاني ويتبعون الحَيَّة القديمة التي أسقطت آدم، وذلك حتى يستظهر أصحاب الإنسان الجديد على قوى العدو، ويظلُّوا شهداء لغنى مجد الله في يسوع المسيح وشركاء فيه وفي مجده مع كافة قديسيه.

٢٣ يونيو ٢٠٠٥



«فإذ لنا أيها الإخوة ثقة بالدخول إلى الأقداس بدم يسوع،
طريقاً كرسه لنا حديثاً حياً بالحجاب أي جسده»

رسالة العبرانيين ١٠ : ١٩ ، ٢٠

في العهد الأول لم يكن مصرحاً لأي إنسان ولا لكاهن أن يدخل قدس الأقداس، إلا رئيس الكهنة، ومرة واحدة في السنة، حاملاً دم ذبيحة الثور عن خطية نفسه وخطية الشعب، ثم ينضح الدم بإصبعه على غطاء التابوت المسمى كرسي الرحمة طالباً الغفران لنفسه ولشعبه. وعوض هذا في عهدنا الجديد، فإنه مُصرَّح للإنسان الخاطئ أن يدخل إلى الأقداس إن هو كان حاملاً لدم يسوع بالإيمان بالصليب والدم المسفوك عليه من أجل خطايا العالم كله، وليس هذا فقط بل ويقول سفر العبرانيين، إننا ندخل الأقداس السماوية بثقة نستمدّها من رضا الله وغفران المسيح لكل الخطايا السالفة التي كانت عن جهل وعدم معرفة.

الأقداس الأولى كانت أقداساً أرضية من صنع يد الإنسان؛ أما الأقداس السماوية فهي موضع ترائي الله، الي هي بيت الابن

الوحيد، وحسب تعبير سفر العبرانيين، هي المدينة العليا «التي لها الأساسات، التي صانعها وبارئها الله»^١. وهي بذاتها المكان الذي صعد إليه المسيح للترائي أمام وجه الآب والذي أعدّه ليكون سُكنى المختارين: «أنا أمضي لأعدّ لكم مكاناً، وإن مضيتُ وأعددتُ لكم مكاناً آتي أيضاً وأخذكم إليّ، حتى حيث أكون أنا تكونون أنتم أيضاً»^٢. فالأقداس العليا هي موطننا الجديد الذي نؤهل له إن تغرّبنا عن الأرض في قيامة المسيح ودُشنا الخطية والموت الأول.

والأقداس العليا هي المدعوة بأورشليم الجديدة، مدينة رب المجد، التي لها الأساسات وهي التي صانعها وبارئها الله، والتي وصفها بولس الرسول أنها بيتنا غير المصنوع بيد، والذي تتلفه عليه. ولكن يتحتم أولاً أن نخلع بيتنا الأرضي الذي أسماه القديس بولس خيمتنا الأرضية. ولقد أدخلنا الله في طريق ابنه السري الخاص به الذي وصفه المسيح أنه هو ذاته وجسده السني كرسه أي قدّسه، كما يقول المسيح: «لأجلهم أقدّس أنا ذاتي»^٣.

١. عب ١١: ١٠.

٢. يو ١٤: ٢٣.

٣. يو ١٧: ١٩.

فهذا هو الطريق الوحيد الطالع إلى السماء الذي مسحه المسيح بدمه وسار فيه كسابق من أجلنا ليجذبنا إليه من فوق لنعبه في سرّ قيامته وصعوده حسب شدة قوته ودفع روحه القدوس.

كل هذه التأمينات التي أمّن بها المسيح صعودنا معه إلى السماء، وهبتنا ثقة ثابتة أنه إن كان المسيح هو إلهنا ومخلصنا حقاً، فالطريق الصاعد إليه الذي قدّسه هو طريقنا الذي افتتحه لنا سرّاً بجسده من أجلنا، فنكاد نقول إننا أصحابه المكتوب عليه اسمنا وساعة رحيلنا. ومن هنا لزم أن يكون لنا يقين الإيمان وصدق القلب راسخين في معرفتنا ورجائنا بما وعدنا به الروح القدس على فم كاتب سفر العبرانيين.

وهذا الوعد والدعوة الثمينة وتأكيدها لنا نسمعها هي نفسها من فم المسيح تقدس اسمه: «وأنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني، ليكونوا واحداً كما أننا نحن واحد... أيها الآب أريد أن هؤلاء الذين أعطيتني يكونون معي حيث أكون أنا، لينظروا مجدي الذي أعطيتني، لأنك أحببتني قبل إنشاء العالم. أيها الآب البار، إن العالم لم يعرفك، أما أنا فعرفتُك، وهؤلاء عرفوا أنك أنت أرسلتني، وعرفتُهم اسمك وسأعرفهم، ليكون فيهم الحب الذي

أحببني به، وأكون أنا فيهم»^٤. هنا يتكلم المسيح كلماته الأخيرة أمام التلاميذ ليدركوا مدى علاقة الآب بالابن ومدى علاقة الآب والابن بنا، ناقلاً إلينا كل ما له، فلم يعد الصليب وحده من نصيبنا بل والمسيح نفسه وكل ما له، فإن الطريق الذي عبّره بجسده المُقام والمُنتهى بالسمااء صار هو طريقنا، والأقداس محطتنا السماوية.

٢٣ يونيو ٢٠٠٥

^٤ يو ١٧: ٢٢، ٢٤-٢٦.

«لأعرفه، وقوة قيامته، وشركة آلامه، متشبهًا بموته.
لعلّي أبلغ إلى قيامة الأموات»

رسالة فيليبي ٣: ١٠، ١١

يا إخوة، كلنا عرفنا المسيح. ولكن بولس الرسول يجاهد
ليعرف المسيح. كيف نفسر ذلك؟ يقول بولس الرسول: «ليس
لي برّي الذي بالناموس، بل البر الذي بإيمان المسيح، البر الذي
من الله»!! إذن، إذا كان اعتماد الإنسان على مجرد الإيمان
بالمسيح فإنه لا يمكن أن يعرف المسيح كما يحق للإيمان الإلهي
الذي من الله.

فماذا نعمل ليكون لنا برُّ المسيح الذي من الله حتى يؤهلنا
لمعرفة المسيح في ذاته، ولكن ليس مجرد المعرفة ولكن باستعلان
الحق الذي في المعرفة. واستعلان المسيح بالحق هو الدخول معه
في سرّ موته بموتنا عن العالم وأهواء العالم القاتلة، حيث يصوم

الإنسان عن كل ملاهي وألعيب العالم التي يثبها الشيطان في آتاته الجهنمية التي ابتدعها حديثاً لاجتذاب الجُهال وتسليتهم، حتى يسرق زمن الخلاص من الإنسان، حتى عندما يستيقظ لنفسه ليراجع نفسه يجد الزمان قد مرَّ بين رجليه وولَّى وداهمته الشيخوخة بضعفها، حتى يصبح المسيح والإنجيل والصلاة أعمالاً وحقائق غريبة على الإنسان فيقول: «ليس لي فيها سرور»^٢.

فمعرفة الإنسان للمسيح هي حقاً من نصيب الصبي والشاب الذي لا يجد في هو الدنيا سروراً، لأن الإنجيل يصبح معنى حياته لا يرضى عنه بديلاً، فتبتدئ نفسه تصوم عن ملاهي الدنيا، وقليلًا قليلًا تصبح مسرات هذا الدهر مائتة في نفسه، أو أن الحقيقة هي أن نفسه هي التي ماتت عن الدنيا، حينئذ وحينئذ فقط يُستعلن له موت المسيح الحقيقي ومعناه وقيمته الحقيقية. هنا يَسْتعلن قوة موت المسيح الذي مات عن العالم كله بخطاياهم ولهوهم وفساده! هذا يسميه بولس "التشبه بموت المسيح" حيث تُحسب له شركة حقيقية في موت المسيح التي تتأهل وحدها بقوة لقيامة منتصرة مع المسيح. وشركة الموت مع المسيح تعطيه

^٢ سفر الجامعة ١٢: ١.

نصيباً في شدة قوة قيامته، فيُحس أنه خرج خروجاً منتصراً من ظلمة هذا الدهر ونجا من مخالب الموت الذي هو إنكار عمل المسيح والاستهانة به. هنا يدخل استعلان موت المسيح في استعلان حقيقة كذب هذا العالم وكل غوايته.

وبولس الرسول اختبر التشبه بموت المسيح لما خسر الدنيا ومعها خسر كل شيء، ولم يندم على واحدة منها، فصار متشبهاً حقاً بموت المسيح الذي داس على العالم وكل ما فيه ووطئ برجليه الخطية ورفع رأسه وقال لليهود: «من منكم يُكِنِّي على خطية» واحدة عملتها^٣.

نعم هذا هو الموت الحقيقي عن العالم الذي أعطى المسيح الشهادة التي قالها: «أنا لست من هذا العالم»^٤.

فنحن كلنا مدعوون أن نقول: نحن لسنا من هذا العالم لأن المسيح هو نفسه الذي أعطانا هذه الشهادة: وهؤلاء أيضاً «ليسوا من العالم كما أنا لست من العالم»^٥.

والذي يبلغ إلى هذا المستوى هو الذي يمكنه أن يقول بحق

^٣ أنظر يو ٨ : ٤٦ .

^٤ يو ٨ : ٢٣ .

^٥ يو ١٧ : ١٦ .

واختبار ونصرة: أنا قمت مع المسيح، لأن كل من يشترك في موت المسيح يشترك بالضرورة في قيامته.

لذلك فالإنسان الذي يمارس موته اليومي عن العالم ومراة الموت في حلقه وهو يتألم ويُضرب ويُهان من أجل إيمانه بالمسيح، تكون عينه مُسلَّطة على قوة القيامة العتيدة أن يذوقها هنا ليعيشها هناك، فهو يذوق الموت راضياً لكي يبلغ إلى ذوق سرِّ القيامة من بين الأموات؛ من أجل هذا نلاحظ أن كل الذين واجهوا الاضطهاد الشديد هنا كانت نفوسهم مرتفعة بسرِّ القيامة.

أعرف إنساناً أُمسك في الاعتراف بالمسيح مجاهداً أمام الذين قبضوا عليه ولم يخفْ أو يرتد، وسار معهم في طريق السجن والتعذيب، ولكن العدو حرَّك قلوب القابضين عليه ليؤذوه أذية قاتلة، فكانوا كلما يسيرون عدة خطوات يضربون ركبتيه بكعب البندقية ضربة بقصد الكسر، فكان يصرخ صرخة شديدة في كل مرة، ولكنه اعترف لي أنه لم يكن يُحس بالخبطة على الإطلاق، فكان القابضون عليه يزدادون في قوة ضربه، فكان يصرخ مقدماً ولكن لم يكن يحس بالضربة على الإطلاق. ما معنى ذلك؟ معناه أنه كان يمارس حالة قيامة إزاء ضربات الموت.

٢٤ يونيو ٢٠٠٥

«فإن كنتم قد قُمْتُم مع المسيح فاطلبوا ما فوق حيث
المسيح جالس عن يمين الله.

اهتموا بما فوق لا بما على الأرض. لأنكم قد مُتُّم (مع
المسيح) وحياتكم مستترة مع المسيح في الله.
متى أظهر المسيح حياتنا، فحينئذ تُظهرون أنتم أيضاً معه في
المجد»

رسالة كولوسي ٣: ١-٤

لقد درسنا معاً كيف مُتُّنا مع المسيح وقَبَلْنَا شركة موته عن
الدنيا والخطية، فالآن يلزم أن نعرف أن الموت مع المسيح يقترن
حتماً ولا بد بقيامة منتصرة من الموت الأول ومن الخطية المحيطة
بالجسد. والآن يحثنا القديس بولس أنه إذا كنا قد قُمْنَا مع المسيح
حقاً، فإن اهتماماتنا كلها وطلباتنا بالروح تكون متركزة فوق،
أي مع المسيح الجالس عن يمين أبيه جلوسَ التساوي المطلق في
القوة والمجد. فإن كان الأمر كذلك، أي أن رئيس خلاصنا أصبح
جالساً فوق، وأنه يدعونا أن نهتم بما فوق أي بما يخصُّ المسيح

وهو في ذات الأمر يَحْصُنَا بالضرورة، فقد أصبح اهتمامنا بما فوق هو نوع حياتنا في إنساننا الجديد الذي لا يرتاح ولا يتعزَّى إلا بذكر السماء وما يختص بمصيرنا البهيج. لذلك يقول الوحي: «افرحوا في الرب كل حين وأقول أيضاً افرحوا»^١. وحتى في الضيقات والأحزان يكون فرحنا السماوي هو تعزيزنا الوحيدة، وانتظار تكميل الفداء ونوال صك الخلاص النهائي هو هَمُّنا الأول، علماً بأن أحزان العالم تنتهي باليأس، واليأس ليس من الإيمان ولا يمتُّ لحياة الأبد. لذلك وضع لنا المسيح الفرح بما هو آتٍ وبما هو فوق، كطبيعة جديدة للإنسان الجديد، ليعيش من الآن حياته الأبدية مع الله تاركاً الأحزان وأوجاع العالم التي هي نصيب الإنسان العتيق لتمرَّ من الزمن وكأنها لم تكن.

هذه الحقيقة يكشفها نوع اهتمامنا: هل هو أرضي زمني يخص الموت؟ أم اهتمامنا سماوي يزداد نوراً وضياءً ومجداً كل يوم؟ أو بنوع آخر: هل نعيش في إنساننا العتيق خاضعين لأوجاع هذا العالم، أم استقبلنا الإنسان الجديد المغسول بمعمودية الروح ودم المسيح لحياة أفضل سماوية؟ فاهتماماتنا تحكم لنا أو تحكم علينا.

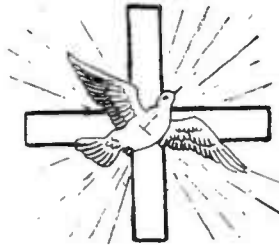
لذلك يقولها الوحي صراحة: «اهتموا بما فوق» وليس بما هو على الأرض. والذي يأمرنا أن نهتم بما فوق لا يأمرنا كفريضة علينا أن نؤديها، بل يأمرنا بسلطان الله الذي أقامنا من الموت مع المسيح لنعيش ما بقي لنا من حياة كقائمين من الموت وأحياء في الله. فهو أمر إلهي مدفوع الثمن، أو هو كعطية سماوية يلزم أن نلتفت لها، لأنها مُهداة كنعمة من الله لنسلك في الحياة كأولاد الله الحاصلين على وعد أبدي بالدخول إلى الأقداس بدم المسيح.

فإن كنا حقاً مُتنا مع المسيح، فأين حياتنا الجديدة التي نحياها؟ قد يظن البعض أن قيامتنا مع المسيح وقبول الحياة والإنسان الجديد هي مجرد وعود لا تتم في الحاضر؛ ولكن الحق والحقيقة المؤكدة بروح الله وبفهم المسيح أننا قُمنا من الموت فعلاً مع المسيح، وحياتنا الجديدة غير منظورة من العالم، كحياة المسيح التي هي مستترة في الله. كذلك حياتنا الجديدة هي مخفية في حياة المسيح لله، فكما أن المسيح حيٌّ الآن وفي مجده الأسنى غير المنظور، فهكذا نحن فيه نحيا غير منظورين من العالم، وشركتنا في المسيح مخفية الآن، كما يقول الكتاب: «متى أظهر المسيح حياتنا،

فحينئذ يُظهرون أنتم أيضاً معه في المجد»^٢ (كو ٣: ٤)، كما أننا سنراه كما هو (أي في المجد) لأننا سنكون مثله^٣ (أنظر ١ يو ٣: ٢).

وهذا أعجب ما قيل عن مستقبل حياتنا غير المنظور الآن، فهو مخفيٌ في حياة المسيح ومجده، ولا بد أنه يُستعلن باستعلان المسيح، ونصير ظاهرين لدى السماويين والأرضيين كشركاء حياة المسيح ومجده.

٢٤ يونيو ٢٠٠٥



^٢ كو ٣: ٤.
^٣ أنظر ١ يو ٣: ٢.

«اجتهدوا أيها الإخوة أن تجعلوا دعوتكم واختياركم ثابتين. لأنكم إذا فعلتم ذلك لن تزلوا أبداً. لأنه هكذا يُقدّم لكم بسعة دخولٍ إلى ملكوت ربنا ومخلصنا يسوع المسيح الأبدى».

رسالة بطرس الثانية ١ : ١٠، ١١

نحن المختارين في المسيح ربنا، إذ قَلَبناه ربّاً ومسيحاً على حياتنا، يعود الروح القدس وبنّه قلوبنا أن الدعوة واختيار الله لنا أن نعيش بحسب الإيمان بيسوع المسيح هما أعظم هبتين يمكن لإنسان أن يحوز عليهما، فالدعوة إلهية هي، أي تخصيص من الله دون أن يكون لنا استحقاق لها، فأصبح كل من دُعي فهو مختار فوق العادة. لذلك وجب على الإنسان المختار أن يثبت في هذه الدعوة مهما كلفه الأمر. ولا يغيب عن البال أن الذي يختار دعوة الله، يكون قد كسب لنفسه مُعيناً قادراً أن يحفظه في هذه الحياة المتقلّبة ويثبته إلى النهاية في وجه التجارب وضربات العدو. هنا يعود الوحي وبنّه ذهننا أن دعوة الله لنا هي نصره على العدو

والعالم وشهوات هذا الدهر. لذلك يدعونا هنا القديس بطرس الرسول إلى الثبوت في هذه الدعوة المجانية، لأنه إن ثَبَّتْنَا في دعوة الله لنا ننال رضاه ومزيداً من العطية المجانية التي لا نستحقها.

إن المدعوين من الله يلزم أن يعرفوا أن العدو يركّز عليهم، ويزيد من ضرباته بدون وجه حق، فلا نفشل، بل لنتمسك بالإقرار عالمين تماماً أننا موضوعون لهذا. فإذا انتبهنا أننا مرصودون من العدو وقد أعدّ لنا الفخَّ ليأخذنا على غِرّة (أي على غفلة)؛ هنا ينبّه ذهننا الوحي الإلهي أن نجعل دعوتنا واختيارنا موضع صلاة وابتهاال أن يسندنا الله في ضعفنا حتى لا نزل؛ عالمين تماماً أننا بسبب ضعفنا لسنا مؤهلين لدعوة الله، ولكنها وُهِبَتْ لنا بقوة المسيح واقتداره، فدخلنا ملكوت السموات هو باستحقاق ربنا يسوع المسيح، وليس باستحقاقنا في شيء، فنحن سندخل ملكوت السموات رافعين رأسنا كغالبين ومنتصرين بقوة ربنا. فملكوت السموات يُقدّم لنا بسعة، لأن يد المسيح ستكون بيدنا، وروحه القدوس قائد مسيرتنا، وسنكون سبب فرح الملائكة ورؤساء الملائكة، لأن غلبة العالم ستكون بمثابة إكليل فوق رؤوسنا يضعه علينا رب المجد عن استحقاق آلامه وجروحه وقيامته. فالآلام المسيح سرُّ

نصرتنا على العالم، وقيامتنا مع المسيح هي سرٌّ تمجيدنا وافتخارنا. هنا يظهر صليب المسيح كراية العهد الجديد والمذخر فيه كل أجماد العالم الآخر، لأن العالم بدون صليب المسيح هو ملك الشيطان وأعوانه يلهو به ويمزقه انتقاماً من الذي ظفر به على الصليب.

ولكن نحن الآن موضوعون ليوم ظهور المسيح ظافراً بالخطيئة وعملاء الشرِّ، ليفكِّنا من حبوس العدو ونَقِمته، ويُلْبِسَنَا إكليلاً النصره والمجد، ويتركنا في العالم كشهود لصليبه وقيامته، وخزياً وعاراً لأعدائنا الذين استبدُّوا بالإنسان وشوَّهوا خلقتَه، حتى يكاد لا يُعرف الآن أولاد الله من أولاد بليعال^١ أصدقاء الحيَّة القديمة، حتى بلغ بالعالم الحديث المستعبد لأهواء الشيطان أن يفتخر على أولاد الله. وهذا لا يبعد عن الحقيقة، فالعالم الآن موضوع في يد الشرير وقد ملأه العدو بالألعاب التي تأسر قلوب التائهين وتثير اهتمامهم، وهي تملأ السماء والأرض والبحر، حتى استعبد العدو جميع أهل الدنيا وملأ لياليلهم بالمسلّيات والسُّكَّر حتى الصباح، وكأنما خلق الله للإنسان الليل دون النهار، وأولاد

١ بليعال أحد أسماء الشيطان، والحية القديمة هي التي أغوت حواء للسقوط وهي إبليس.

بليعال أصبحوا هم أصحاب العالم الحاضر.

من أجل هذا يحثنا القديس بطرس الرسول أن نثبت في دعوة المسيح، مجتهدين أن نميّز ما هو لله عمّا هو للشيطان، حتى تصبح دعوة المسيح لنا واختياره غير متزعزعين، بل نثبت في معرفة الله، ووجهنا إلى أعلى، منجذين نحو مصيرنا في الروح، لأن مهمما كانت أعمال العدو فهي زائلة لا يبقى منها إلا مرارتها وخيبتها، أما دعوة المسيح فتبقى ثابتة ثبوت الأبد.

٢٥ يونيو ٢٠٠٥



«افرحوا كل حين، صلُّوا بلا انقطاع، أشكروا في كل شيء، لأن هذه هي مشيئة الله في المسيح يسوع من جهتكم»

رسالة تسالونيكي الأولى ٥ : ١٦-١٨

أول نصيحة للفرح في العهد القديم كانت لما قرئ الناموس على الشعب بعد زمن كثير من البُعد عن الله حينما أخذوا يبكون بشدة متأثرين بكلام الله، فنبَّههم نحميا النبي قائلاً لهم: لا تبكوا اليوم «لأن فرح الرب هو قوتكم»^١. هكذا استلمنا من العهد القديم القانون الإلهي الذي يحكم السلوك أمام الرب وأمام كلمته أن "فرح الرب" هو في الحقيقة قوة الإنسان الحقيقية، لأنه ينبع من رحمة الله وحبّه للإنسان. حتى جاء بولس الرسول بوصيته الإلهية المستنيرة أن فرح الرب لا يكون إلى لحظة أو له زمان خاص؛ بل لأنه نابغ من رحمة الله ومحبه في شخص ابنه يسوع المسيح، صار فرحاً كل حين. وهذه أثمن وصية قالها بولس

^١ انح ٨ : ١٠.

الرسول بالروح للبشرية التي دخلت إلى فرح ابن الله الدائم. ففرحنا هو بالرب يسوع، والرب يسوع قائم دائم في الله، لذلك أصبح فرحنا الذي ينبع من الله في ابنه هو هو فرحنا الدائم. والفرح في الرب عبادة صامتة صادرة من عواطف إلهية للإنسان الحديد الفرح بخالقه.

فإن كان فرح العالم بالأشياء التي في العالم إلى لحظة أو إلى يوم، فهو سينقلب إلى حزن وكآبة، لأن ما يُفرحنا من أمور العالم بالرغم من أنها تافهة إلا أنها وقتية زائلة، حيث يعقبها ولا بد فراغ قائم يحتم فوق النفس، فتشملها الكآبة والحزن والندم. وهذا يعرفه الله دائماً عن الإنسان، لذلك أرسل إليه ابنه موضع حبه وفرحه الخاص لينقل فرحه إلينا كأنه نازل من عند الله.

وإنه لعجيب حقاً أن تكون وصية الله للإنسان أن يفرح دائماً! لأن العالم مليء بالمحزّنات. لذلك فوصية الله لأبنائه الجدد أن يفرحوا فرحاً دائماً هي سلاح إيجابي يقطع دابر الحزن ويلغي مُسبباته، بل هي تواجه كل أنواع الآلام في العالم التي يسوقها الشيطان ضدنا كأنها لَسعة بعوضة يضيع أثرها بزوالها. لذلك نحن نحسب أن وصية الرب بالفرح الدائم على أساس أنه فرح الله هي وصية واقية ضد سُمّ الحيّة الذي يمت المحزونين ظلماً وكذباً من

أجل أشياء كلها فانية. إذن، فرح الرب هو غنى حقيقي، الآتي إلينا من فوق من هتاف القديسين وتسبيحهم وتهليلهم، والذي يصل إلينا بشعور الفرح ومسرة النفس.

ولكن أعمق ما في وصية الله بالفرح أنه دائم لا يؤول إلى حزن ولا كآبة ولا تنهّد. فهو طبعة أولى من جمال المجد الآتي.

ومع الفرح الدائم، يضع بولس الرسول الصلاة التي بلا انقطاع، وهكذا تكمل سيمفونية الوصايا الإلهية. فمن ذا الذي يفرح فرحاً دائماً ولا تكون الصلاة منبعثة من عمق قلبه بالروح، نعم الجسد ضعيف وليست له القدرة على الوقوف الدائم أمام الله في الصلاة، ولكن الإنسان الجديد أعطي ينبوع صلاة من مخازن الصلاة التي تأتي من فوق. فالصلاة بلا انقطاع تتسرّب إلينا من صراخ القديسين في النور الذين لا يهدأون، يُسبّحون ويُهلّلون ويُرتّلون، بشبه السيرافيم، بالقدوس السماوي كخورُس مقابل خورُس لا يسكت ولا يهدأ. فهي صلاة تسبيح وتمجيد ليس لها ألفاظ بشرية بل لَهَجٌ قلبي ونشوة روحية تجعل الإنسان يخرج عن اتزانهِ كداود الذي كان وهو ملك مكرّم يرقص أمام التابوت كشاب لا يهدأ، وكأن الرقص كان تعبيراً عن لَهَج القلب بالصلاة التي لا يُنطق بها. كذلك نسمع عن بولس أنه لما

ارتفع إلى السماء الثالثة سمع أصوات الهتاف والتسبيح وعبر عنها بأنها لا يُنطق بها^٢.

فإذا وُهب للإنسان أن يفرح كل حين ويصلي بلا انقطاع تكون نفسه قد امتلأت من نعمة الله فتفيض بالشكر علي الدوام، وهذا شأن الخليقة الجديدة، فالشكر يكون مع دخول النَّفْس وخروجه من الصدر، شيء لا يوصف لأنه يكون مفعماً بالروح يلزمه الإحساس بمجد الله. والشكر الإلهي هو الشكر من أجل كل شيء وهبه لنا الله. وإن كنا نشكر من أجل الأمور الأرضية فهو الشكر من أجل وجودها أو انقطاعها سيّان، فهو شكرٌ على كل حال ومن أجل كل حال وفي كل حال، لitemجد الله في الموجود وغير الموجود، والشكر يزيد لمجد الله.

٢٥ يونيو ٢٠٠٥

«شاكرين الآب الذي أهّلنا لشركة ميراث القديسين في النور. الذي أنقذنا من سلطان الظلمة ونقلنا إلى ملكوت ابن محبته. الذي لنا فيه الفداء بدمه غفران الخطايا»

رسالة كولوسي ١: ١٢-١٤

هنا "ميراث القديسين في النور" هو الجُعالة العليا (الجزء) التي حازها القديسون ثمناً لإيمانهم بالمسيح وجزاء آلامهم وتعذيباتهم التي قاسوها في العالم من أجل هذا الإيمان، ولأنهم لم ينحازوا قط لسلطان ظلمة هذا الدهر. هذه الشركة نحن تأهّلنا لها لأننا اتّبعنا سيرتهم وأخذناهم نموذجاً يُحتذى في مسيرتنا في العالم. فالقديسون شهود عيان لصليب المسيح وآلامه، وكانت آلام الصليب هي الجُعالة العليا (الجزء السماوي) التي سعوا إليها لينالوا هذا النصيب الممجّد. ونحن الآن نخوض ظلمة العالم التي عبّرها المسيح منتصراً، واجتذب وراءه القديسين، لأنهم انفصلوا عن العالم وازدروا بكل مباحجه الكاذبة، واختاروا أن يكون المسيح نصيبهم، فكافأهم المسيح بأن أخذهم إلى مُلكه الأبدي

وأراحهم من ظلمة هذا الدهر وأتعبه. فنحن نرى أيضاً أن نصيينا هو الرب، وإن كنا نتألم يسيراً من أجل اختبار نياتنا وطهارة ضمائرنا، لأن من تألم آلام الرب كُفَّ عن الخطيئة، وانضم إلى نصيب القديسين مُنتظراً يوم الاستعلان، يوم أن يكشف الرب عن مقدار ما عانيناه حباً في المسيح والآب مضحّين بكل ملاذ الدنيا وشهواتها، لكي نُحسب أننا من نصيب الرب ونؤهل للنقلة السعيدة التي نعيها ماسكين بالحياة الأبدية ليدخلنا الله إلى ملكوت ابن محبته. لأننا إن كنا شركاء موت فنحن شركاء مجد، وإن اشتركنا في آلام المسيح فقد صرنا محبوبين لدى الله أبيه، كما قال الرب تمجد اسمه: «لأن الآب نفسه يحبكم لأنكم قد أحببتموني، وآمنتُم أُنِي من عند الله خرجتُ»^٢.

وهكذا نتيقن أن الآب نَقَلَنَا من ظلمة هذا الدهر إلى ملكوت ابن محبته لأنه أحبنا كما أحبَّ ابنه، فنحن شركاء حب الآب والابن، ومحبة الله هي التي رفعتنا إليه وقربتنا منه، فصرنا مُعزَّزين وقديسين وبلا لوم أمامه. هذا هو الاختيار الذي تم لنا من قِبَل

١ أنظر ١ بط ٤: ١.

٢ يو ١٦: ٢٧.

الله قبل تأسيس العالم منذ الأزمنة الأزلية.

فنحن نفتخر أننا لسنا من هذا العالم لأن الآب دبّر مستقبلنا منذ الأزل، وسبق وخطط لنا الأعمال الصالحة لنُسَلِّكَ فيها، حتى يكون اختيارنا حقاً مكتسباً لنا في شخص الابن المحبوب يسوع المسيح منذ الأزل.

هذا الرجاء الحيّ هو من جوهر إيماننا بالمسيح والآب، ونحن ثابتون فيه ثبوت كلمة الله التي أهَّلَتنا مجاناً لهذا الميراث المجيد. والمسيح دائماً يشجعنا أن نمسك به ليعبر بنا هوّة العالم، ويطالبنا بالثبوت في هذا الرجاء لأنه حقُّنا المكتسب ومصيرنا المختار. وكل هذه النعم هي نابعة من دم المسيح الذي سُفِكَ على الصليب ليمسح الخاطئ، حتى عَوَّضَ الخطية يصير لنا برُّ المسيح في الله.

فنحن خطاة، نعم خطاة ولكن متبرِّرين مجاناً بدم يسوع المسيح، فمن ذا الذي يعيِّرنا بعد؟ شكراً لله الذي عَبَّرَ بنا هوّة الموت وأهواله، لذلك لم نُعَدْ ننظر وراءنا حيث كنا مديونين للشيطان وأصدقاء الحيّة القديمة، فقد زال عارنا، ورُفِعَتْ

خطايانا، وصرنا مع القديسين بني نور وفرح أبدي، وتنتظرنا في
السماء جوقات الملائكة بتهليل حاملين لنا أكاليل البر والخلاص
الموهوبة للمخلصين منذ الدهر.

٢٥ يونيو ٢٠٠٥

« كما أن قدرته الإلهية قد وَهَبَتْ لنا كل ما هو للحياة والتقوى بمعرفة الذي دعانا بالمجد والفضيلة، اللذين بهما قد وَهَبَ لنا المواعيد العظمى والتمينة، لكي تصيروا بها شركاء الطبيعة الإلهية »

رسالة بطرس الرسول الثانية ١ : ٣، ٤

هنا يرتفع القديس بطرس من مستوى البشرية الضعيفة إلى مستوى ما لله مرة واحدة، لأن لا وسط بين الضعف البشري والقدرة الإلهية. يلزمنا هنا أن ننسى ما لنا و نرتفع مع بطرس الرسول إلى مستوى ما لله، ليس جزافاً ولا كأنه في إمكانية البشرية أن ترتفع فوق قامتها شبراً واحداً، لذلك صدر القديس بطرس رؤيته الفائقة بكلمة « وَهَبَتْ لنا » حتى نستطيع من خلال وعد الوحي على لسان بطرس الرسول أن نثق أن الأمر مُهْدَى لنا كموهبة مجانية لا تحتاج إلى بحث أو دراسة أو استفسار.

فالقدرة الإلهية فائقة والعطية هبة مجانية. فما هو دورنا؟ هنا مواد الإيمان تتصدر محاولة الإنسان لاستقبال ما هو لله من عطية

فائقة لا ترقى إليها حُيْلَةُ الإنسان، فأين نحن من "القدرة الإلهية"، وما هي مؤهلاتنا حتى ندخل إلى مستوى الحياة الحقيقية التي هي طبيعة تفوق قدراتنا؛ هنا يمتد بنا الإيمان بالله والمسيح لندخل دخول المدعوين إلى مناطق الرجاء الحيّ بقوة الله والإيمان اليقيني بما وهبه لنا الله في المسيح.

فكل ما هو للحياة الحقيقية والتقوى، التي هي عينها القداسة، قَبَلُناها قبولاً حياً ثابتاً في شخص يسوع المسيح الذي وهبنا بمجده هبةً حرةً كريمة بحسب قول الرب: «وأنا قد أعطيتُهم المجد الذي أعطيتني»^١. فقبولنا مجد المسيح والحياة معه، لازمتنا فضيلة الابن الوحيد كمختاري الله، وهذه الأمور لا يصحُّ أن نسأل أو نستفسر عنها ونحن ملازمون العالم الحاضر الموضوع في الضعف والهوان والخطية.

فكلها مواعيد عظمى وثينة نَقبلها بالإيمان كما قَبَلنا المسيح الممجد ونحن ضعفاء منحلون، ذلك على رجاء أن التوضيح والاستعلان سيتم لنا لحظة ظهور المسيح وسَكَب غنى مجده السماوي علينا لنصبح معه، فُتستعلن هذه المواعيد العظمى التي

^١ يو ١٧ : ٢٢.

لَقْنَهَا لَنَا الْإِيمَانُ وَقَبِلْنَاهَا كَقَبُولِنَا الْمَسِيحَ بِأَمْجَادِهِ.

وَنَحْنُ نَشْبَهُ فِي ذَلِكَ الْآبَاءَ وَالْأَنْبِيَاءَ الَّذِينَ قَبِلُوا الْمَوَاعِيدَ الْأُولَى وَلَمْ يَتَحَقَّقُوا شَيْئاً مِنْهَا، بَلْ آمَنُوا فَقَطْ بِهَا وَرَحَلُوا يَحْمِلُونَ فِي صُدُورِهِمُ الْمَوَاعِيدَ الَّتِي تَحَقَّقَتْ لَنَا وَلَمْ تَتَحَقَّقْ فِي أَيَّامِهِمْ، وَلَكِنْهُمْ قَبَلُوهَا وَعَبَرُوهَا^٢.

وَلَكِنْ نَحْنُ نَقْبَلُ الْآنَ الْمَوَاعِيدَ الْعَظْمَى الْآتِيَةَ حَتْمًا قَبُولَ شَرَكَةِ تَحْتَاجَ فَقَطْ إِلَى الْاسْتِعْلَانِ، فَالْمَوَاعِيدَ الْعَظْمَى وَالثَّمِينَةَ هِيَ مِنْ نَصِينَا وَنَحْنُ أَصْحَابُهَا وَقَدْ مَلَكَانَاهَا حَقًّا فِي الْمَسِيحِ، فَبِالْمَسِيحِ وَبِهِ سَنُحَقِّقُ كُلَّ هَذِهِ الْمَوَاعِيدِ لِأَنَّا أَصْحَابُهَا وَوُضِعَتْ مِنْ أَجْلِنَا؛ وَهِيَ تَحْتَاجُ مِنَّا حَيَاةً تَنَاسِبُهَا، فَحَيَاةَ الْأَرْضِ وَخَصَائِصُهَا يَسْتَحِيلُ أَنْ تَطَّلُعَ وَلَا عَلَى ظِلِّهَا. وَلَكِنَّ الَّذِينَ يَعِيشُونَ بِالتَّقْوَى وَالْفَضِيلَةِ يَشْعُرُونَ أَنَّ هَذِهِ الْمَوَاعِيدَ تَرْمِي نُورَهَا عَلَيْهِمْ، فَيَلْتَهُبُونَ التَّهَابًا وَيَصْرُخُونَ طَالِبِينَ قَرَبِ الْإِرْتِحَالِ لِأَنَّ الْمَوَاعِيدَ الْعَظْمَى وَالثَّمِينَةَ تَمَلَأُ وَعْيَهُمْ وَرُوحَهُمْ وَكِيَانَهُمُ الْإِلَهِي الْجَدِيدَ كَعَرَبُونَ امْتِلَاكَ هَذِهِ الْمَوَاعِيدِ فَوْقَ. مِنْ أَجْلِ هَذَا كَانَ بُولُسُ الرَّسُولُ يَتَنَبَّأُ بِإِرِيدِ خَلْعِ الْجَسَدِ وَالْإِنْطِلَاقِ لِيَكُونَ مَعَ الْمَسِيحِ فِي هَذِهِ الْمَوَاعِيدِ، وَلَكِنَّهُ

أعطي زماناً آخر مع ضيقاته ليستأهل أبحاد السماء.

على أنه يلزم أن نعرف أن علاقتنا بالله بدأت لما قبل المسيح الآلام بجسدنا الذي أخذه منا وصلب به، فكل ما عاناه المسيح على الصليب حسب أنه وقع علينا بالضرورة، لأنه «إن كان واحد قد مات لأجل الجميع، فالجميع إذا ماتوا»^٣، فإن تألم المسيح كفدية لنا، صارت آلامه محسوبة أنها آلامنا. ومن هنا بدأت الصلة بالله، فالشركة في آلام ابنه أنتجت بالضرورة شركة في قيامته، وبالتالي في مجده. فإن كان المسيح قد دخل إلى مجده وجلس عن يمين الآب، نكون نحن أيضاً فيه شركاء. وقد صرح المسيح: «أنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني»^٤. فنحن شركاء بمجد بالضرورة، ولكن هذه الأبحاد العلاء مخفية الآن إلى أن تُستعلن بظهور المسيح حينما تُستعلن نحن فيه لأننا سنكون مثله^٥. وحينما قال الكتاب إن المسيح حلّ فيه كل ملء اللاهوت جسدياً ونحن مملوون فيه^٦، كان معنى هذا أننا قد صرنا شركاء الطبيعة الإلهية،

٢ كو ٥: ١٤.

٤ يو ١٧: ٢٢.

٥ أنظر ١ يو ٣: ٢.

٦ أنظر كو ٢: ٩، ١٠.

ولا يُعوز هذه الحقيقة إلا أن تُستعلن يوم الاستعلان.
وقد وصفها المسيح وصفاً عملياً لما قال: «أنا فيهم وأنت في»^٧
وهو يكلم الآب، وهكذا كشف المسيح أننا في الآب والابن،
فصار كياننا واحداً فيهما. هذا أبلغ وصف جاء على لسان
المسيح عن مصيرنا السماوي حينما نبلغ أعلى مستوى من
الوعود العظمى والشمينة.

٢٦ يونيو ٢٠٠٥



^٧ يو ١٧: ٢٣.

«لا بأعمال في برِّ عملناها نحن، بل بمقتضى رحمته خلّصنا
بغسل الميلاد الثاني وتجديد الروح القدس،
الذي سكبهُ بغنى علينا يسوع المسيح مخلصنا، حتى إذا
تبرّرنا بنعمته نصير ورثة حسب رجاء الحياة الأبدية»

رسالة تيطس ٣ : ٥-٧

البر بالأعمال أُلغِيَ بِالْغَاءِ الناموس الذي كان يحضُّ على
الأعمال. وأصبح برُّنا هو برُّ المسيح الذي ناله لما قَبِلَ الموت
كخاطيء، فأُنْهِىَ عَلَى الناموس وبرِّ الناموس واستحقَّ برُّ الله
بالقيامة من الموت. فلما وُهِبَ لَنَا مَوْتُ الْمَسِيحِ كَمَوْتِنَا وَقِيَامَةُ
الْمَسِيحِ كَقِيَامَتِنَا، حُلَّ عَلَيْنَا برُّ الْمَسِيحِ الَّذِي نَالَهُ عَنْ اسْتِحْقَاقِ
لِيَهَبَهُ لَنَا، فَصَارَ برُّنا فِي الْمَسِيحِ برًّا بِمَجَانٍ يُؤْخَذُ بِالْإِيمَانِ كَشَرَكَةِ
فِي مَوْتِ الْمَسِيحِ وَقِيَامَتِهِ. وَالْبِرُّ فِي ذَاتِهِ هُوَ الْبُرُّ مِنْ كُلِّ خَطِيئَةٍ
وَكُلِّ عَثْرَةٍ وَلِبْسِ النِّقَاوَةِ وَالنِّزَاهَةِ الَّتِي هِيَ مِنْ صَمِيمِ طَبِيعَةِ اللَّهِ
الَّتِي فِي الْمَسِيحِ، وَالَّتِي وَهَبْنَا إِيَّاهَا الْمَسِيحُ كَشَرَكَةِ فِي مَخْصَصَاتِ
طَبِيعَتِهِ. فَلِكِي نَلْبَسَهَا كَطَبِيعَةٍ جَدِيدَةٍ فِينَا، يُلْزَمُ أَنْ نَغْتَسِلَ

بالروح القدس لُتمَحَى خطايانا. فالمعمودية بالروح القدس تُعطينا الخلاص في طبيعة الإنسان الجديد. وبالنظر إلى هذه العملية المجانية التي يضطلع بها الله لنا، نجد أنها من أولها إلى آخرها صورة ناطقة برحمة الله المجانية التي فاض بها الله على خلقتنا الجديدة. وقد اضطلع بها الروح القدس بسرّ الميلاد الثاني لنكون خليقةً جديدةً حسب صورة المسيح مخلصنا، نقية نقاوة المسيح، وحاصلةً على برّه الخاص. هكذا حصل الإنسان على مؤهلات الخلاص والبر الذي يعطي استحقاق الوراثة التي تخص الابن الوحيد في الأبداء العليا، وهكذا أصبح للإنسان رجاء حيّ بالدخول إلى الحياة الأبدية وهو لا يملك ما يؤهّله لذلك إلا برّ المسيح ونعمته.

والميراث المعدّ هو على مستوى غنى المسيح في مخصّصات المجد الإلهي. ونحن مدعوون لهذا الميراث لأن المسيح وَهَبَنَا شُرَكَةً في مجده: «وأنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني»^١.

وميراث المسيح في علوّ المجد هو اختصاصات مُلكه الأبدي. فَكُونُ المسيح مَلِكَ الخليقة السماوية، حقيقة يقرّها الملائكة: «قائلة هللوا يا فإنه قد مَلَكَ الرب الإله القادر على كل شيء،

لنفرح ونتهلل ونُعطيهِ المجد...»^٢.

«فخررتُ أمامَ رجلِهِ (الملاك ميخائيل) لأَسجدَ له، فقال لي:
انظرْ لا تفعل، أنا عبدٌ معكَ ومع إخوتك الذين عندهم شهادة
يسوع»^٣.

إذن، فيسوع المسيح هو مُلْكُ كل الكيانات السماوية الخاضعة
له والساجدة له سجدَ الحب والمهابة. هنا يذكّرنا الكتاب بأن
المسيح جعلنا ملوكاً وكهنة لله أبيه، فهو كاهن عظيم على مُلْكِ
السماوات كلها وجعلنا معه كهنة لله أبيه. وكهنوت المسيح هو
على طقس ملكي صادق أي لم يستلمه من أحد.

فميراث المسيح في السموات عظيم هو، وليس له حدود ولا
زمن، فهو مُلْكٌ وكهنوت أبدي أعطانا الشركة فيه أمام الله أبيه.
ومن ذا يستطيع أن يقيس عُلُوَّ شَرِكَةِ المُلْكِ مع المسيح فوق كل
الكيانات الإلهية وكل خليقة في السموات؟ فعلى قدر ما عانيناه
من ذلِّ العالم كعبيد والكل يتسيّد علينا وما علينا إلاّ الخضوع
صاغرين، على قدر الحرية التي حرّرنا بها المسيح وجعلنا ملوكاً

^٢ رؤ ١٩: ٦، ٧.

^٣ رؤ ١٩: ١٠.

وكهنة فملك مع المسيح إلى الأبد في مُلكه السماوي، وهذا هو
رجاؤنا الثابت من جهة الملكوت الآتي حيث سنكون عناصر
فاعلة فيه على مستوى المسيح.

٢٦ يونيو ٢٠٠٥



«في وقت مقبول سمعْتُك وفي يوم خلاص أَعْتُك،
هوذا الآن وقت مقبول، هوذا الآن يوم خلاص»

رسالة كورنثوس الثانية ٦ : ٢

كان الله في العهد القديم يظهر في غيمة فوق خيمة الاجتماع
أحياناً قليلة جداً، فكان كل الشعب يقف ويهلل، يُحيي الله
بالهتاف.

ولكن الله كان أحياناً كثيرة ينزل على السحابة ليؤثبهم
ويعاقبهم على تعدّياتهم، فكانوا يبكون ويولولون.

فكان نزول الله وترائيه في السحابة أمراً مُرعباً، وكان الشعب
يرتعب جداً من كلام الله لدرجة أنهم قالوا لموسى: تراءى أنت
وحدك أمام الله واسمع كلماته وأخبرنا بها لأننا لا نحتمل حضور
الله ولا سماع كلماته. وقد استجاب موسى لهم.

أما نحن في العهد الجديد فلم يُعد الله على بُعد منا أو يكلمنا
ويوبخنا، بل في شخص يسوع المسيح الله دائماً معنا، بل وكما

يقول المسيح: «الآب نفسه يحبكم لأنكم قد أحببتموني...»^١.
ولما جاء ميعاد انطلاق المسيح إلى السماء قال لرسله
القديسين: «أنا معكم كل الأيام»^٢، ويقول بولس الرسول
بالوحي: «إنكم هيكल الله وروح الله يسكن فيكم»^٣، وفي
موضع آخر يقول إننا أعضاء جسد المسيح «من لحمه ومن
عظامه»^٤.

فلم يُعد وقت أو زمان يغيب فيه الله عن أولاده المؤمنين.
ولكي يزيد من إيماننا يقول الرب: «أنتم فيَّ وأنا فيكم»^٥، و «من
يأكلني (في سرِّ الإفخارستيا) فهو يحيا بي»^٦، و «من يأكل
جسدي ويشرب دمي يثبت فيَّ وأنا فيه»^٧. وقصارى القول، نحن
نحيا الآن في المسيح كما يقول بولس الرسول: «أحيا لا أنا، بل
المسيح يحيا فيَّ»^٨.

١ يو ١٦: ٢٧.

٢ مت ٢٨: ٢٠.

٣ ١ كو ٣: ١٦.

٤ أف ٥: ٣٠.

٥ يو ١٤: ٢٠.

٦ يو ٦: ٥٧.

٧ يو ٦: ٥٦.

٨ غل ٢: ٢٠.

هنا نلأزم المسيح في حياتنا حقيقة سماوية ثابتة لا تحتاج إلى برهان، فالمسيح صار حياتنا. لذلك حينما يقول الكتاب: «الآن وقت مقبول»، نعم فنحن نعيش هذا الوقت في كل حاضر زماننا، ومن جهة القبول نحن دائماً مقبولون لدى الله في المسيح بل ومختارون بل ومزكون بل وأبرار.

لذلك أصبح وقتنا المقبول يحتاج إلى تهليل وتمجيد، فالرب يسوع نفسه موجود فينا ونحن موجودون فيه. هذه الحقيقة يستشعرها البعض منا فلا يطيق، فيصرخ بالجد ويهلل بصوت عال، لأن وجود يسوع المسيح يلهب قلبه بالروح فلا يعود يعتبر نفسه أنه موجود، ويكاد يطفر ويرتفع عن الأرض كأنه سيظهر. والكل يرى ويسأل ماذا أصابه؟ نعم أصابه الروح في الصميم فلم يعد كأنه من سكان الأرض، وهذا شأن الإنسان الجديد الذي يقوده الروح وهو لا يدري أن الكل يتعجب منه.

فالإنسان الجديد زهرة سماوية حطت على الأرض والكل يتعجب منها. وزهور الإنسان السماوي تحيط بالمسيح والمسيح يحيط بها، وتنبعث رائحتها الذكية لله تعطر الأرض والسماء وأريجها يحتفظ به المحبون كعلامة وجود الرب معنا.

فالوقت المقبول هو قمة عطية الله في المسيح للإنسان الروحي،

لأنه يُحسب أنه ليس من هذا الدهر، بل هو زمان سماوي ووقت استعلان رضا الله ومسرته بيننا.

فنحن، في غفلة من زمان القبول، نطلب مجيء الرب سريعاً: «ماران آثا - أي فليأت الرب»^٩، وهو حيٌّ موجود فينا وجَعَلَ زماننا وقتاً مقبولاً يحتاج إلى هتاف المجد، بل وإلى صراخ ورقص. أما يوم الخلاص فيستحيل أن تغيب شمسُه لأنه أسعد يوم في الوجود، فأعطني يوم الخلاص هذا وخُذ الزمان كله، لأن يوم الخلاص، أقول الحق أمام الله، ليس من هذا الزمان، بل هو يوم الرب المشهود الذي كلُّه بصليبه وألبسه تاج قيامته. فيوم الخلاص هو عيد الأرض كلها وفخر السموات. يوم الخلاص، عروس السماء تجلَّت لنا على الأرض لكي نرفّها بطبول ورقص، كيوم خلاص شعب الله على الشاطئ بعد أن عبروا البحر ورأوا فرعون مصر غارقاً في مياه غزار.

يوم الخلاص هو اليوم الذي أشرق على الإنسان، فرأى الشيطان وكل أعوانه مكبّلين بالقيود بعد أن ظفر بهم المسيح على الصليب.

^٩ ١ كو ١٦: ٢٢؛ رؤ ٢٢: ٢٠.

يوم الخلاص هو يوم رفع راية حرية الإنسان من عبودية الخوف من الموت وانكسار شوكرته إلى الأبد، وانتهاء سيادة الشيطان على الإنسان إلى أبد الأبد.

فأين نحن من يوم الخلاص؟ هل حقاً استطعنا أن نتخلص من العدو وسلطان الموت والحزن والكآبة والتنهد؟ وما مدى استيعابنا من الحرية الموهوبة بدم المسيح؟ هل قبلنا المسيح رباً وإلهاً، أم أعطيناه القفا دون الوجه؟

نقول مع بولس الرسول: «تصالحوا مع الله» (٢ كو ٥: ٢٠)، واقبلوا الخلاص الذي اقتناه المسيح لنا بدمه. مَنْ استهان بيوم الخلاص صار محروماً من المسيح، وبالتالي من الحياة الأبدية.

أيها الإخوة الأعزاء بالرب، المسيح جعل زماننا وقتاً مقبولاً، وهو يترصد دعاءنا وصراخنا، فلا تكلوا من القرع على بابه، فإن أذنيه تسمعان صوت التنهد، وحزننا على ما فات وما أكله الجراد معروف لديه وهو مستعد إلى آخر لحظة أن يأتي بالغفران والمصالحة؛ وكل خطية عند الله مغفورة ولا تحتاج إلا إلى اعتراف صادق من القلب.

أيها الحزاني والباكون الآن، ليس هذا زمان حزن وبكاء بل زمان خلاص وفرح لا يمكن أن يؤول إلى حزن.

أيها المستهترون بوصايا المسيح، هوذا الزمن يجري ويترككم،
وحينما تستفيقون من سيرتكم الباطلة تجدون الرب حزيناً على
حالكم كما يحزن الأب على فساد ابنه.

اليوم يوم خلاص، والدعوة مرسله لجميع السامعين لصوت
الضمير، فاسمعوا واخلصوا!

٢٧ يونيو ٢٠٠٥

«لأن لي الحياة هي المسيح، والموت هو ربح»

رسالة فيليبي ١ : ٢١

كثيرون يرون الحياة فرصة لمتعة الجسد ومسرة العيون ورؤية كل شيء جديد، ورؤية وسماع الأخبار والحوادث، أو التسلية بالصحف والتلفزيون يجلسون أمامه الساعات الطوال بل ربما الليل كله والنهار لو أمكن.

ولكن مجيء المسيح إلى العالم أدخل في العالم حقيقة جديدة ملؤها معرفة جديدة ليست من هذا الدهر ولا تنفع لهذا الدهر، هي معرفة الله خالق الجميع يسوع المسيح خَلَقَ جديدة ليست من الخلقة الأولى في شيء، بل هي خلقة ليست موازية للخلقة الأولى الترايبية؛ بل، في الحقيقة، هي خلقة روحية تسمو على الخلقة الأولى وتخطاها باستعلان كل ما هو سماوي. فالأرض كانت على مستوى الخلقة الأولى، وكان كثير من الناس راضين لاهين بها وكأنها كل شيء أو أنها خلقت للإنسان والإنسان خلق لها.

ولكن الذي كشفه الله فجأة أنه غير راضٍ ولا متصالح مع الإنسان، وأن نهاية الحياة على الأرض هي الموت. فمن محبة الله للعالم الذي خلقه والإنسان الذي نفخ فيه نسمة الحياة فعاش، يتحدث عن مستقبله الذي صار مضاداً لحياته الترايية الأولى. ولكي يُظهر الله منتهى حبه ورحمته للإنسان، أرسل ابنه ليتجسّد وسط الناس حاملاً صلة بنوّة الله. وكانت خطة الله والمسيح أن يفدي الإنسان فداءً ولو استدعى آلاماً وموتاً على الصليب. ومحبة الله لابنه، أقامه من الموت حيّاً ورفعهُ إليه بشدّة قوته، وصار المسيح حيّاً بالله وحيّاً للإنسان، وغلب المسيح الموت والآلام معاً، واقتبل حياة برّ الله لحساب الإنسان إذا آمن به كمخلص وفاد. فصارت الهدية الجديدة للإنسان أن المسيح أصبح هو حياته في الله، من هنا نطق الكتاب بالوحي في رسالة فيليبي: «إلى الحياة هي المسيح، والموت هو ربح». ولكن لماذا يكون الموت ربحاً؟ لأن الموت بالنسبة لمن آمن بالمسيح كان عقبة في حياته الدائمة والهنّية مع الله.

فإن كنتَ أنتَ حيّاً في الله والله حيّاً فيكَ، فإن الموت يصبح غريباً وعدواً مقهوراً، هذه هي غاية الله العظمى التي دبرها لنا في الأزمنة الأزلية قبل تأسيس العالم، أن نحب الرب ونقبله.

والآن عليك أن تلتفت بحكمة إلى ما عمله ونممه الله من أجلك، إذ اختارك في المسيح قبل تأسيس العالم، بل وتبنّاك في شخص ابنه قبل أن تولد لتكون ابناً لله حياً به وفيه، فكيف تستقيم هذه النعمة العظيمة مع إنسان يتجاهل ما عمله الله من أجله منذ الأزمنة الأزلية؟ وإن صحَّ القول، نرى أن ما تم لأولاد الله هو طالعهم الحسن الذي رُسم قبل الأزل، لكي ينعموا به في آخر الدهور. قصارى القول، إن رسم الإنسان مرصود منذ الدهور ليكون الله حياته؛ فإن كان الله حياتنا، وخلقنا الجديدة سماويةً هي، نكون لسنا من هذا العالم، كما قال المسيح، لأنه عارف أننا صرنا خليقة جديدة فيه تنتظر الاستعلان فقط: «ليسوا من العالم كما أنا لست من العالم»^١، وكوننا راضين أن نكون ليس من هذا العالم، فقد ختمنا الروح بختم النبوة السماوية.

فمن ذا يرضى أن يبيع مُلكه الأبدي وميراثه في المسيح بل وحياة المسيح فيه، ليُرضي النفس التي تستهويها ألعاب الصغار؟ وإن كانت الطبيعة الأرضية للإنسان تدفعه نحو شدٍّ مشاغل

^١ يو ١٧: ١٦.

الأرض وأهوائها، فطبيعة الإنسان الروحي أنه مُعَيَّن ومُختار ليكون مع القديسين والمختارين. فالروح القدس يظل يدفع الإنسان نحو نصيبه الإلهي إن كانت له آذان تسمع.

٢٧ يونيو ٢٠٠٥

«فلنتقدّم بثقة إلى عرش النعمة، لكي ننال رحمةً ونجد نعمةً
عوناً في حينه»

رسالة العبرانيين ٤ : ١٦

عرش الله هو مكان حضرته تحفُّ به الملائكة ورؤساء الملائكة والشاروبيم والصاروفيم، جميعهم يقدّم للجالس على العرش فروض الخدمة المنوط بهم أداءها في جلال وهيبة تليق بالجالس على العرش. ومن العرش تخرج أصوات التسبيح، كما يخرج من أمام العرش نهر النعمة والمياه الحية التي يستقي منها المُخلّصون. وصورة المياه الحية عرفناها في المعمودية لأن الروح القدس هو الذي يجعلها مياهاً حية، التي يقول عنها الكتاب إننا جميعاً سقينا معاً من نهر نعمة الله، والتي يصفها المسيح: «إن عطش أحد فليُقبل إلي ويشرب»^٢ لتخرج من بطنه أنهار ماء حية.

والنعمة، في الحقيقة، هي طبيعة الله المعطاة؛ إذ يستحيل أن

١ ١كو ١٢: ١٣.

٢ يو ١٧: ٣٧.

يُرد إليه عطشانٌ إلا ويخرج وهو يلهج بنعمة الله التي شَمَلَتْهُ.
فإزاء الجفاف الذي يصيب الإنسان في العالم، يأتي الارتواء من
قَبْلِ الله لكل نفس حَيَّة تُقْبَل إليه. والمياه الحَيَّة التي تفيض بها نعمة
الله إنما تحمل سخاء طبيعة الله التي تفيض باستمرار.

ومن يتلقَى نعمة الله تظهر عليه في الحال وتصير مقروءة على
وجهه يتحدث عنها الآخرون ويبتهجون، كما نقرأ في سفر
الأعمال كيف كان الشعب يجتمع معاً للصلاة والتسبيح وكسر
الخبز وكانت «لهم نعمة» في أعين الآخرين^٣. فنعمة الله لا
تُخْفَى، وتكون شهادة على حضور الله، كما كان وجه موسى
يشعُّ بالنور لأنه كان دائماً يحظى بالوجود في حضرة الله. فنور
وجه موسى، يُترجم في العهد الجديد بحضور نعمة الله التي تشعُّ
من وجه المنعم عليه.

ونسمع من الملاك المبشِّر للعدراء مريم بحمل الابن الوحيد، قال
لها: «سلامٌ لك أيتها الممتلئة نعمة، الرب معك»^٤. فامتلاء
العدراء بالنعمة كان تعبيراً سماوياً لحضور الله، لأنَّ حَبْلَ العدراء
بابن الله بالروح القدس كان حضوراً فعلياً لله في بطن العدراء،

٣ أنظر أع ٢: ٤٦، ٤٧.

٤ لو ١: ٢٨.

ليشكل في بطنها صورة ابنه على صورة مجده السمائي. وهكذا
وُلد المسيح حاملاً طبيعة الله، كما يقول الكتاب إن في المسيح
حل كل ملء اللاهوت جسدياً، لكي نصير نحن مملوئين فيه.^٥

وهكذا أخذنا نحن أيضاً نعمة الله أي شركة اللاهوت سرّاً
بقوة الله القادر على كل شيء، لذلك يقول المسيح علانية: «أنا
فيهم»^٦، فوجود المسيح فينا هو ملء عمل النعمة مجانياً، وهو
بالتالي ملء اللاهوت الخفي غير المنظور.

وهكذا انتهى فينا عهد الخلقة الأولى الترابية، وأخذنا ملء
المسيح جسدياً، وهو الخلقة الجديدة للإنسان الجديد لنرث بها
ميراث المسيح في الجسد، ونترأى أمام الله أبية كقديسين وبلا لوم
قدّامه في المحبة.^٧

ونعمة المسيح فينا لا تبقى ساكنة، بل تتجدد فينا بقدر قربنا
من المسيح، فعلى قدر ما يَفنى فينا الإنسان العتيق الزماني، بقدر
ما يتجدّد الإنسان الجديد السماوي^٨ ليأخذ شكل المسيح. ويُعبّر

^٥ أنظر كو ٢: ٩، ١٠.

^٦ يو ١٧: ٢٣.

^٧ أنظر أف ١: ٤.

^٨ أنظر ٢ كو ٤: ١٦.

لمسيح عن ذلك بقوله: «أنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني...»
«أنا فيهم»^٩. هكذا نتغير كل يوم وكل ساعة من ساعات
الخلاص بتجديد ذهننا بواسطة الإنجيل كلمة الله الحية والفعالة.
وهكذا تتم غلبتنا على العالم بقوة المسيح ونعمته العاملة فينا
بحسب الإنجيل.

وبولس الرسول ينبِّهنا أن «بالنعمة أنتم مُخلصون»^{١٠} و
«متربرين مجاناً بنعمته»^{١١}. فعمل النعمة فينا يُحسب لنا خلاصاً،
ويؤهلنا لنصيبنا في السماء المحفوظ لنا. وقوله «مجاناً» يعني بدون
جهد تتميم ناموس أو فرائض تُفرض علينا في العالم، لأن هبة
لمسيح لنا سماوية هي، لا تُمتلك بمهارة أو حكمة أو جهد، بل
تنسكب علينا سرّاً، ولكن بوعي منا أننا نمارس الخلاص الذي
نأ، فنتهب التهاباً وننطق بتسبيح القدوس بلا انقطاع مع كل
لحظة من لحظات هذا الزمان فنحيي فينا عهد الله ورضاه ومجده.

٢٨ يونيو ٢٠٠٥

^٩ يو ١٧: ٢٢، ٢٣.

^{١٠} أف ٢: ٨.

^{١١} رو ٣: ٢٤.

«ولكن الذي يُبَتِّنا معكم في المسيح، وقد مَسَحَنَا هو الله،
الذي خَتَمَنَا أيضاً وأعطى عربون الروح في قلوبنا»

رسالة كورنثوس الثانية ١ : ٢١، ٢٢

الإيمان بالمسيح يحتاج إلى ثبات فيه، لأن العالم ورئيس هذا العالم أُعطي أن يجرب المؤمنين ويزعزع إيمانهم قدر قوته. هنا الثبوت في المسيح هو جوهر الإيمان وقوته، فالإنسان الذي يثبت في المسيح يحتاج إلى قوة من الله تعطيه النظر إلى فوق، كما أن قوة الله تُحامي عنه، لأن الشرير أُعطي قوة تفوق قوة الإنسان وإرادته. فالحاجة هي إلى قوة الله للمؤمنين لأنها روح الإيمان وثباته. غير أن تجارب العدو وزعزعته للإيمان لا تدوم، لأن رحمة الله ونعمته تقفان بالمرصاد تجاه العدو. فعندما تزيد تعديّات العدو على الإنسان ويشتد غضبه على المؤمنين، تنبري قوة الله ونعمته لتصدّ عن الإنسان كل هجماته. لذلك أصبحت حياة المؤمن المتمسك بالمسيح والثابت فيه مجالاً لظهور نعمة الله وقوته. فنحن ضعفاء، والله يعلم مقدار ضعفنا إزاء قوة العدو وجبروته، ولكن

يُن الله بالمرصاد، حينما يصرخ الإنسان يجد المعونة في الحال.
أعرف إنساناً كان واقفاً في نصف الليل يتم سجودَه وصلواته
إذا بالشیطان يفاجئه ماداً يديه ليخنقه، فصرخ صرخة مدوِّية
سم يسوع، ففي الحال اقتحم ملاك القلاية من الشباك ووقف
بام الإنسان يدافع عنه، فهرب الشیطان في الحال ورزَع الباب
تلفه، والعجب أن الملاك ظلَّ واقفاً حتى أنهى هذا الإنسان
ملواته، وحينئذ انصرف الملاك من حيث أتى. فصَحَّ قول سفر
عبرانيين إن الملائكة مُعدَّة لخدمة العتيدین أن يرثوا الخلاص.^١
هذه قوة الله وما تفعله من أجل الإنسان الصارخ طالباً النجدة.

والله، إعداداً منه لأولاده المؤمنین لمواجهة هذه الهجمات من
عدو، سبق ومسحهم بالروح القدس في المعمودية، ليؤهلّوا
ناربه العدو بنعمة الله وقوته. فالإنسان المؤمن بالمسيح والذي
بق فمسحه الروح القدس، هو مُعدُّ لدخول حرب العدو
بات.

ومعروف أن الروح القدس منوطٌ به ختم المختارين بختم
خلاص الذي يعدُّهم لساعة التجربة هنا في هذا العالم، وحينما

^١ أنظر عب ١٤ : ١.

ينطلقون بعد الموت ليأخذوا مكافئهم بين المختارين. لذلك نسمع في سفر الرؤيا أن الصوت الموجه للملاك قال له أن أحفظ المختومين الذين «لهم أسم أبيه مكتوباً على جباههم»^٢.

علماً بأن الختم يُعطى للمؤمنين بناءً على الشهادة التي يشهدون بها للمسيح، وهو ختم أسم الآب على وجوههم الذي به يصيرون من خاصته المدعوين «أهل بيت الله»^٣، المحسوبين أهلاً لدخول الحياة الأبدية والتراثي أمام الله كل حين، ولهم من الآن عربون الروح القدس في قلوبهم يرشدهم ويقودهم في طريق الخلاص، كما أن عربون الروح يكون هو المتكلم فيهم بصوت الله ليعرفوا الحق ويشهدوا للحق.

وختم الله القدوس بالروح القدس في المعمودية المقدسة هو المقابل للختان في العهد القديم، وهو قطع الجزء المعتبر لدى العهد القديم نجساً من عضو الذكر في الإنسان في اليوم الثامن للميلاد، وكانت الختانة بمثابة الدخول في عضوية شعب الله إسرائيل، فكان الذي لا يُختن يُحسب نجساً ولا يُعدّ من عداد شعب الله بل يصير منبوذاً ومرفوضاً.

^٢ رؤ ١٤: ١.

^٣ أف ٢: ١٩.

هكذا تماماً في العهد الجديد، فالطفل يؤخذ ويُعمّد بماء المعمودية المقدسة بالتغطيس ثلاث مرات باسم الثالوث الأقدس، ويُدهن بالزيت واسطة حلول الروح القدس. ففي المعمودية يخلع الإنسان جسم خطايا البشرية ويلبس الجديد الذي يتجدد على صورة خالقه في المجد، كما كان يُمسح الملوك قديماً بقرن الدهن ليحلّ عليهم روح الله ليحكموا باسم الله. وبالمعمودية المقدسة يصير الإنسان عضواً في كنيسة الله، تماماً كما كان الختان قديماً يؤهّل الإنسان أن يكون واحداً من شعب الله. وتطوّرت المعمودية، فبعد أن كان الختان يُجرى للأطفال في سن الثمانية الأيام، صارت المعمودية تتم للإنسان في أية مرحلة من حياته. وكان الطقس قديماً له هيئته ووقاره، وكان المعمّد لما يخرج من المعمودية يُقدّم للتناول من جسد الرب ودمه ليكون شريكاً ليسوع المسيح في موته وقيامته. ويصف الكتاب معمودية الروح القدس «ختمتهم بروح الموعد القدوس»^٤، فهي بمثابة عربون الوعد الإلهي المقدس بالحياة الأبدية.

٤ أنظر كو ٢: ١١، ١٢؛ ٣: ١٠.

٥ أف ١: ١٣.

«بالإيمان نفهم أن العالمين أُتقنت بكلمة الله، حتى لم يتكون
ما يُرى مما هو ظاهر» رسالة العبرانيين ١١ : ٣
«الذي هو قبل كل شيء، وفيه يقوم الكل»
رسالة كولوسي ١ : ١٧

هذا دحضٌ لنظرية النشوء والارتقاء للعالم دارون الذي يقول
إن الإنسان تطوّر من قرد، والفيل من الأُمَيَّا، معلومة منقوضة لا
يقبلها العقل ولا التاريخ، ولكن قد نُجيز تطوُّراً طفيفاً في بعض
المخلوقات ولكنها ظَلَّت محافظة على هيأتها.

إنما الذي يهمنا من هذه الحقائق الإنجيلية أن كلمة الله أُتقنت
وثبَّتَ العالم الأرضي والعالم السماوي^١، اللذين ظلّا محفوظين
حتى اليوم بواسطة كلمة الله الذي خلقهما وثبَّتَهما.

ويسترعي اهتمامنا هنا كلمة «أُتقنت». فمن حيث العالم
الأرضي كانت الكلمة تخلق الموجودات بإتقان، وهذا الإتقان
بالمعنى اللاهوتي يشمل أدقّ الدقائق التي تفصل الجنس عن الجنس

١ أنظر مز ٣٣ : ٦.

والأفراد أيضاً يُعطى كل جنس طباعاً وأشكالاً وألواناً وكذلك الأفراد، شيء لا يمكن حصره.

وبالدراسة والفحص الشديد بكل الآلات الحديثة أظهرت الخليقة نوعاً من الإبداع الذي يستحيل أن يجاريه الإنسان أو حتى يستوعبه، فالأفراد في الجنس الواحد لها الأشكال والألوان والأجسام والأوزان، شيئاً يُذهل الإنسان، حيث يقف مُعترِفاً بعظمة الكلمة الإلهية التي خَلَقَتْ هذه الخليقة البديعة.

هذا من حيث العالم الأرضي، أما العالم السماوي فالإبداعات فيه كلها معجزات يستحيل استيعابها بالعقل. فالعالم فَوْقُ يَعِجُّ بألوف الألوف من الملائكة والأجناد السماوية، ولكل فرد فيها اختصاصات تفوق التصوُّر. ولكن الذي علمناه من الكتاب أن بعضها مخصص لخدمة العتيديين لميراث السماء^٢، فالإنسان المؤمن العائش في شركة المسيح مُعانٍ بقوات سماوية من الصعب التكلُّم أو حتى التعرُّف عليها، ولكن يكفي أن نعرف أنه توجد صلوات فائقة ومعونات حاضرة من العالم الآخر للذين قبلوا الإيمان بالمسيح واعترفوا به رباً وإلهاً.

^٢ أنظر عب ١: ١٤.

ويقول الكتاب إن الأشياء التي خُلقت في العالم وأصبحت منظورة لم تتكون مما هو ظاهر، بمعنى أن الخلائق كلها أوجدت من لا شيء (العدم). وهذه كانت معجزة الخلق. فالخليقة كلها لم تكن لها أصول معروفة خُلقت عليها. ولكن المسيح الذي خلق كل شيء، لم يخلق شيئاً من شيء، ولكن كانت الكلمة "كُنْ"، فكان. فالعالم كان في ظلمة دامسة وقال الله: «ليكن نور»^٣، فخلقت الشمس وكل الكواكب والنجوم، كل منها بترتيبه ودرجته. هذه الخليقة التي نراها الآن حيرت ألوف العلماء لكل الأجيال وجاهدوا وصارعوا وجازفوا السنين والأيام وصرفوا الأموال الطائلة، لكي يعرفوا كيف خُلِقَ العالم بأبعاده وصفاته، ولكنهم عجزوا جميعاً.

كل ذلك لكي يتم قول الكتاب: إنَّ «كل ما يُرى لم يتكوَّن مما هو ظاهر»، إنما كانت كلمة الخلق: «ليكن»، فكان. فالعالم مُصَوَّرٌ في ذهن الله منذ الأزل، وليس عالمنا هذا فقط، بل ونحن المؤمنون بالمسيح سبق الله وخلقنا - في علمه السابق - على صورته منذ الأزل، وأعطانا الشركة مع المسيح، وأختارنا فيه،

وأعطانا التبني؛ أي أن نُدعى أولاد الله بصورة ممتازة، واعتبرنا أهل بيته قبل أن نوجد أو نولد.

فخلقة الله لنا كانت مؤسسة على مسرة الله أن نكون أبناءه، وعلى محبته لنا حباً يفوق العقل. أما الذي ظهر في الفداء الذي دبره لنا منذ الدهور ليَعْتَقَنَا من هذا العالم ويرفعنا إليه، رافعاً عنا كل ظل الخطية؛ فهو لنكون بلا لوم قدامه في المحبة، فنقف أمامه مُسَبِّحِينَ وساجدين.

فخلقة العالم التي حيرت العلماء هي من عمل مسرة الله وحبّه الفائق لنا.

٢٨ يونيو ٢٠٠٥

٤ أنظر أف ١: ٤، ٣.

٥ أنظر أف ٢: ١٩.

٦ أنظر أف ١: ٤.

«أجعل نواמיصي في أذهانهم وأكتبها على قلوبهم،
وأنا أكون لهم إلهاً وهم يكونون لي شعباً»

رسالة العبرانيين ٨ : ١٠

إذا أراد إنسان أن يكون متعلماً لَبَقاً في هذا العالم الآن يلزم أن يذهب إلى المدارس ابتدائية وثانوية وجامعة، لكي يقدر أن يكون إنساناً مثقفاً، فهو يقضي عشر سنوات على الأقل من أفضل أيام شبابه، وقد يتخرج في النهاية وهو فاقد القدرة على إظهار علمه. أما الذي آمن بالمسيح وفي أي عمر من الأعمار، فإنه على مدى قصير جداً، ربما في سنة واحدة أو أقل، يمتلئ مرةً واحدةً من معرفة الله والمسيح «المذخر فيه جميع كنوز الحكمة والعلم»^١، فيخرج علينا فجأةً إنساناً كاملاً إلى ملء قامة المسيح في المعرفة والحكمة والفهم دون أن يستخدم كتاباً غير الإنجيل، ويصير الكل في دهشة من أمره لأنه لم يتعلم من أحد. وحينما يقف

^١ كو ٢ : ٣.

ليعظ، فإن كلام الحكمة والمعرفة يخرج من فمه بلا كيل. هذا وعد الله الأكيد لكل من يذهب إليه جالساً أمامه أو واقفاً يستقبل سيل الحكمة والمعرفة سرّاً دون أن يعرف، ولا أحد يعرف من أين تأتيه الحكمة والمعرفة.

يقول الكتاب إن الله يجعل نواമيسه في أذهانهم بفعل الروح القدس الذي وكأنه يكتب على قلوبهم علم معرفة الله وكل ما يتعلّق بالحياة الأبدية في سرّ الحكمة دون جهد. فالتعلّم من الله ينسكب على الإنسان كالمنطق على الأرض العطشانة، فيرتوي الإنسان من نعمة الله، ويفيض على الآخرين نوراً وحكمة وعلماً، يخرج الكلام من فمه كأنه يقرأ من كتاب مع أنه قد يكون مُعَمَّض العينين، ويلهج الإنسان كأن قلبه أصبح سواقي ماء لأن المسيح يملك القلب فيصير القلب كأنه ينبوع ينبع حكمة ومعرفة وفهماً، شيئاً يتعجب منه غير العارفين بحقيقة الأمر.

ويقول الكتاب إن المسيح يصير لهم إلهاً، ويصيرون هم شعبه الخاص المحبوب، هذه الصلة سرّية ولاهوتية هي، وهي سبب الحكمة والمعرفة التي تفيض من أولاد الله بلا كيل.

ومعروف أن المسيح لم يَصِرْ لنا إلهاً فقط، بل امتلأنا امتلاك الأم لجنينها، يُعَبَّرُ عن ذلك المسيح نفسه أنه يكون فينا ونحن

نكون فيه^٢. هذه شركة الحياة الجديدة التي يخرج بها المؤمنون بالمسيح وكأنهم أو لأنهم خليفة جديدة مُعَيَّنة للحياة مع الله منذ الأزل، أكملها لنا المسيح في نهاية الدهور بموته عنا وقيامته فينا، فامتلكنا لنفسه، وامتلكناه نحن لأنفسنا: «فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا في»^٣، فصرنا كأننا تجنَّسنا بجنس جديد في الله.

هذا الانغمار في المسيح يجعلنا لا نعود نحيا لأنفسنا، إذ يكون المسيح هو الذي يُحيينا ويحيا فينا. هذا هو أصل قبول ذهننا لحضور المسيح وامتلاء قلبنا بكل ما له، فيبتدئ الإنسان يتكلم من قِبل المسيح وكأن ذهنه قد صار فماً للمسيح وقلبه ينبض بأفكار المسيح وكأنه أصبح آلة في يد الله.

هذه حقائق لا تُناقش الآن لأنها تملأ الأرض بشهود المسيح الذين انسكبت النعمة على أذهانهم وامتلك المسيح قلوبهم، فصاروا إنجيلاً حياً مفتوحاً ومقروءاً على العالم السادر في غيِّه وكأنه لا يرى ولا يسمع.

من هنا تنصبُّ الدينونة على رؤوس اللاهين عن خلاصهم

٢ أنظر يو ١٤ : ٢٠.

٣ غل ٢ : ٢٠.

السائرين في طريق ظلمة هذا الدهر، لا يرون ولا يسمعون صوت الخلاص الذي ملأ الدنيا حتى أطراف الأرض.

وحقيقة أن الله جعل نواميسه في أذهان مختاريه هي أكبر نعمة سكبها الله على أولاده، لأن نواميس الله ليست من هذا العالم وهي غريبة عن ذهن الإنسان العادي، فكُون الله يسكب حكمته ونعمته سكباً مجانياً دون تعليم أو تعلّم، فهذا أمر مُدهش جداً لأن بني جنسنا ليسوا أكفاء لحكمة الله، لأننا تُرايون حقاً وذهننا ترابٌ هو، فأصبحت كفايتنا من الله، شيءٌ يفوق قدرة الملائكة ورؤساء الملائكة. فعَلِمَ الله وحكمة الله أعظم عطية أعطاهَا لجنسنا مجاناً ودون جهد منا. إن عَرَفْنَا هذا وتحققناه بأنفسنا وفي أنفسنا أصبحت حياتنا تُضمُّ إلى الكيانات السماوية العليا حيث تصبح صنعتنا الوحيدة هي تمجيد نعمة الله.

٢٩ يونيو ٢٠٠٥

«فلا تطرحوا ثقتكم التي لها مجازاة عظيمة، لأنكم تحتاجون إلى الصبر، حتى إذا صنعتم مشيئة الله، تنالون الموعد»

رسالة العبرانيين ١٠ : ٣٥، ٣٦

يتوقف الإيمان بالمسيح على الثقة بكل ما وعد به المسيح. وقد حذرنا الله أن «في العالم سيكون لكم ضيق»^١، ولكن يلغي المسيح هذا الضيق وهذا العالم بقوله: «ثقوا أنا قد غلبتُ العالم»^٢.

ولكن لمن غلب المسيح العالم؟ هل لنفسه وهو الابن الوحيد المحبوب. يلزم أن نعرف بالتأكيد الذي لا يشوبه شك أو استهتار بقول المسيح، أن المسيح غلب العالم لنا. لماذا؟ لكي نعيش بعد ذلك غير مغلوبين من العالم، أو نصاحب هذا العالم في حياة منحلة غير واعية بمدى الخسارة المريعة التي تنتظر الذين عاشوا لهذا العالم بعد أن صلب هذا العالم المسيح، فدفع المسيح ثمن غلبته

١ يو ١٦ : ٣٣.

٢ يو ١٦ : ٣٣.

على العالم دمه على الصليب.

فالصليب يقف شاهداً ضد الذين استهانوا به واستهتروا المصلوب. لذلك يقول الكتاب: لا تطرحوا ثقتكم بالصليب المصلوب، لأن مجرد الثقة بالصليب والتمسك بالمسيح لها مجازاة عظيمة، وأية مجازاة؟

لنعلم تماماً أن مجازاة الذين يثقون بالصليب والمصلوب هي هي غلبة العالم، بل هي شهادة القبض على الشيطان وأعوانه الذين ظفر بهم المسيح على الصليب^٣ حتى لا يُضلوا المؤمنين بالمسيح بعد. فماذا ينتظر المسيح منك بعد أن سفك دمه على الصليب من أجلك، بل ما هي حجتك على خضوعك لحيل العدو بعد أن نفى المسيح على قوته لكي لا يصير أحداً مدينواً له في شيء؟

لماذا، أيها الأخ العزيز، تخضع لألاعيب الشيطان ولهُوّه بعد أن ظفر به المسيح على الصليب وأبطل حيله ومشوراته للإنسان؟ الآن المسيح يُطالبك بالثقة فيه وفي صليبه وآلامه من أجلك، وأعلم تماماً أن ثقتك بالمسيح وصليبه لن تضيع هباءً بل لها المجازاة لعظيمة عند الله في السماء، فالثقة بمثابة تسجيل عهد الخلاص وكتابة اسمك بين مختاري «أهل بيت الله»^٤.

٣ أنظر كور ٢: ١٥.

٤ أف ٢: ١٩.

فأية مجازاة في الدنيا تبلغ هذا المستوى؟ إنها نَقْلَة إلهية من عهد العبودية إلى عهد النعمة والانحياز لله، ليس إلى يوم ولا إلى سنة، بل إلى نهاية الزمن والأبدية، فאלله أمين في دعوته ويجازي، بحق، كل من آنحاز إليه وعاش من أجله.

والنعمة لا تتركنا في هذا العالم كأيتام ليس لنا أهل في السماء. فالنعمة تلاحق المؤمن الواصل بدعوة الله وتؤيده بالصبر في الضيقات، وتَهوِّنُ عليه خسارات العالم التافهة التي تُحسب خسارتها مكسباً فورياً لحساب الله والسماء. بولس الرسول، بعد أن ذاق الدعوة ودخل في زمرة القديسين بعد أن كان يحدِّف ويهين اسم الله ويقتل أولاده، رأى وشهد واعترف أنه خسر خسارات كبيرة وهو فرحان ومستعد أن يخسر كل شيء ويكسب حب المسيح والله^٥.

فكان بولس مثال المتألمين من أجل الإيمان والمسيح، ودفع ثمن إيمانه وثباته نعمة الشيطان الذي كان يُحرِّض اليهود عليه ليضرب ضرباً بلغ إلى حدِّ الموت، ولكن الله أقامه لكي يكمل شهادته حتى نهاية حياته^٦، فقال بولس الرسول مواعيد الله العظمى والتمينة إزاء ثقته بالمسيح والثبات في هذه الثقة حتى

^٥ أنظر في ٣: ٨، ٧.

^٦ أنظر ٢ كو ١١: ٣٢-٢٦.

لنهاية.

وهكذا صار بولس الرسول مثلاً يُحتذى. وقد سار على دَرَبِ بولس آلاف الوعاظ والمبشرين في العالم كله في كل جيل حتى ليوم، فحقَّ لبولس حقاً أن يفتخر في آلامه وضيقاته، مُعتبراً أن شدة نقمة العدو عليه وقسوة المعاملة التي عامله بها اليهود، وآلامه لتي ليس لها حدٌّ؛ هي جزء حيٌّ من آلام المسيح، بل زاد افتخاره بآلامه مُعتبراً إياها تكميل نقائص آلام جسد المسيح أي لكنيسة^٧. وهكذا صار بولس نموذجاً حياً للكارز الذي خسر لدنيا وخسر كل شيء من أجل فضل معرفة المسيح والثبوت فيه.

وقد استعلن لنا المسيح قدرَ الثبوت فيه ومداه إذ قال: «اثبتوا في وأنا فيكم»^٨ (يو ١٥ : ٤)، فهو ثبوت متبادل حقاً إذ يستحيل أن تثبت في المسيح ولا يثبت فينا المسيح.

٢٩ يونيو ٢٠٠٥

^٧ أنظر كو ١ : ٢٤.

^٨ يو ١٥ : ٤.

«فتفكروا في الذي احتمل من الخطاة مقاومة لنفسه مثل هذه، لئلا تكلُّوا وتخوروا في نفوسكم»

رسالة العبرانيين عب ١٢ : ٣

كانت الآلام والقسوة العمياء التي عومل بها المسيح من اليهود أثناء صلبه أمراً مريعاً، فلما صوّروها ورأيناها، لم نَحْتَمِلْ أن يكون هذا من عمل بشر، مع أنهم كلهم كانوا يهوداً وذوي قرابة بعضهم لبعض.

ولكن الذي يريد أن يرى كيف قيّدوا المسيح ولطموه وضربوه على رأسه وتفلوا في وجهه، وحملوه صليباً أثقل من أن يحمله فسقط تحته ثلاث مرات، ثم طرحوه أرضاً ودقوا رجله ويديه في خشبة الصليب، ونزف المسيح كل دمائه حتى مات، رأينا هذا فكرهنا أنفسنا وأظلمت الحياة في أعيننا، وبكينا ما شاء لنا البكاء.

فأصبح عند مجرد التفكير فيما احتمله يسوع من الخطاة، وتساؤلنا لماذا هذا كله، يأتي الرد الحزين المؤلم والجارح للضمير والعاصر للنفس نسمعه في حزن بلا فرح، حتى أنه لم يوجد شيء

العالم يعوّضنا عن الجرح الدامي الذي أصاب ضمائرنا؛ لأن الحقيقة العارية والصارخة هي أن هذا كله حدث من أجلي ومن جلك. فعثرات البشر وبُعْدُهم عن الله حَتَمَتْ بأن ينزل الابن من السماء ويحتمل عارنا واحداً فواحداً، ويلبس الخطية لبساً تحلُّ عليه اللعنة التي اكتسبها الإنسان لإغضابه الله وكَسْرِهِ وصيته. فأصبح المسيح صاحب المجد والذي تُسَبِّحُهُ وتسجد له كل الملائكة، أصبح خطيةً لأجلنا وأصبح عاراً ولعنةً لبسها كلها من أجل الإنسان الخاطئ الذي أسلم حياته للشيطان عِوَضَ لسيح.

ولكن الآن يلزمنا جداً، أيها الإخوة، أن نكون ليس عارفين قط بل شركاء في آلامه وصلبيه، حتى إذا ما صارت آلامه هي لامنا، وكل المهانة التي أهين بها نتقبلها نحن من أضدادنا، معتبرين أن كل ما يُصيبنا قد أصاب المسيح من قبل، الفضيحة العار والشماتة، تصير أكاليل مجد نلبسها بفخر واعتزاز، وفي هذا تكون شركتنا في المسيح حقيقية وليست وهمية. فالإنسان الذي يقع عليه الاضطهاد من أجل يسوع وصليب يسوع يتشدد الإيمان ويمتلئ رضا ومسرة مهما ثقلت عليه الاضطهادات، لأنه حسب مستحقاً فعلاً أن يكون شريكاً في آلام المسيح وعاره بين ناس. هذه الموازنة بين حياة المسيح وبين شركتنا مع المسيح،

تدخلنا في إحساس أننا مُعانون فعلاً، وأن روح الله يحارب عنا مهماً كان جهدنا ضعيفاً، فبولس يضع معياراً جديداً للقوة والضعف بالنسبة للإنسان السائر في الطريق الضيق. يقول بولس الرسول، بحسب ما اجتازه من اختبارات، إنه لما كان الشعب يثور عليه كان يشعر بالضعف، ولكنه بآن واحد كان ينظر إلى الرب يسوع الذي احتمل كل صنوف العذاب والآلام، فيخرج بحقيقة تُثبت الإنسان الضعيف ولا تجعله يئن أو يخور، لأن قوة المسيح الحقيقية تحل فيه، فقال: «حينما أنا ضعيف فحينئذ أنا قوي»^١.

وليعلم كل الناس الذين آمنوا بالمسيح أنه يلزمهم الصبر متيقنين، فيفوزوا بصبر المسيح، ليعبروا التجربة فتكتب لهم وليس عليهم. وملاحقة العدو للإنسان الضعيف تنتهي لزماً بكسرة يقع فيها العدو، وبانتصار يُحسب للإنسان. والله أرسل نعمة الصبر الثمينة حتى يحتفظ الإنسان بهدوئه فلا يخور في المواقف الظالمة.

٢٩ يونيو ٢٠٠٥

«الذي خلّصنا، ودعانا دعوة مقدسة، لا بمقتضى أعمالنا، بل بمقتضى القصد والنعمة التي أُعطيت لنا في المسيح يسوع قبل الأزمنة الأزلية»

رسالة تيموثاوس الثانية ١ : ٩

بعد أن تَمَّ المسيح خلاصنا على الصليب وبالقيامة، كشف علناً أنه اجتاز الموت لحسابنا، وقام قيامة المنتصرين لِيَهَبَهَا لَنَا كأعظم نعمة في الوجود، واعتبر صليبه وقيامته دعوة مقدسة مجانية لنا، إذ كان سفك دم المسيح فِدْيَةً عَظْمَى قُدِّمَتْ مِنْ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ عَنْ جَهْلٍ وَغَضَبٍ وَنَقَمَةٍ، مع أنها محسوبة كذبيحة مقدسة جداً ومقتدرة جداً على رفع خطايا مَنْ قُدِّمَتْ عَنْهُمْ مِنَ الْبَدْءِ حَتَّى نَهَايَةِ الْعَالَمِ، فهي ذبيحة أزلية وأبدية معاً: أزلية، لأنها كانت جاهزة في تدبير الله منذ الأزل، وأبدية، لأنها حيّة لم يأتها الفساد في لحظة، وهي باقية حيّة أمام الله إلى أبد الآبدين، تشفع وتنضح من قداستها وشفاعتها بلا انقطاع أمام الله في جميع الذين

يتمسكون بها، مهما كانوا خطاة ومذنبين^١.

فهنا لا تدخل أعمال الإنسان قط، مهما كانت طاهرة ومقدسة، وإلا تُلغى نعمة مجد المسيح التي تشترط المجانية المطلقة. فنحن مهما كانت خطايانا كثيرة وقبيحة أمام الناس والملائكة فهي لا توجد هكذا أمام المسيح الفادي، لأن الحقيقة العظمى أن سفك دم المسيح كان ثمنا لكل خطايا العالم بلا تفريق. فالإنسان اغتسلت خطاياه غسلاً، وصار أبيض من الثلج لما مُسح بدم المسيح الفادي بحيث لا تظهر في حياته خطية ما، بل عوض الخطية صارت نعمة، وعوض الذنوب والقبايح، صار نوراً ومجداً وهتافاً. هكذا تقبلت البشرية خلقتها الجديدة الطاهرة والمضيئة في دم المسيح؛ أما البشرية الترايبية العتيقة الأولى التي لوّثها الشيطان، فاخفتت إلى الأبد ولن توجد فيما بعد.

هنا يلزمنا أن ننبه ذهن القارئ أن البشرية الجديدة التي خلقها الله من دم المسيح ولحمه وعظامه^٢ كملت قبل الأزمنة الأزلية حسب قصد الله وتدبيره المطلق، لتكون البشرية خليفة سماوية تُقدّم أمام الله في حالة قداسة وبرّ المسيح^٣، يشملها حبّ الآب

١ أنظر عب ٧ : ٢٥ ؛ ١ يو ٢ : ١.

٢ أنظر أف ٥ : ٣٠.

٣ أنظر أف ١ : ٤.

الابن فيغطئها الحب الإلهي لتوجدَ منيرة بنور المسيح أكثر من
ي من الكائنات السماوية الأخرى.

فامتياز الإنسان هو بسبب أنه أخذ كيانه الجديد من لحم
المسيح وعظامه، حتى شَكُلَ الإنسان الجديد صورَه الله ليكون
على صورة المسيح ابنه المحبوب^٤.

وهنا يتعجب الإنسان وينذهل من نحو محبة الله التي جعلته
بكلّف ابنه ليقوم بهذا العمل الإلهي ويعود إلى مجده دون أن تحدش
لخطية وذنوب الإنسان القبيحة أي أثر في طهارة ابنه الوحيد؛
فقد كان ملتحقاً بالمجد ونضح علينا من مجده السماوي، فأدخلنا
نحن البشر في زمرة الكيانات السماوية: «مَنْ هو الإنسان حتى
نذكره وابن آدم حتى تفتقده، وتنقصه قليلاً عن الملائكة (بسبب
الموت)، ومجد وهاء (إلهي) تكلمه»^٥. إلى هذا الحدّ كان صاحب
المزامير في العهد القديم منذهلاً وهو يطّلع هكذا على تدبير
الإنسان، فإلى أي حدّ يبلغ انذهالنا نحن الذين تمّم الله فيهم قصده
وأكمل نعمته، ليس حديثاً، بل منذ الأزمنة الأزلية؟

فنحن مدعوون من الله أن نطالب بحقوقنا عنده، فهي حقوق
منوحة لنا بصفة نعمة، قبل أن نوجد، ودون ثمن.

^٤ أنظر رو ٨ : ٢٩.

^٥ مز ٧ : ٥٤.

لهذا بعد أن عرفنا مجال حب الله الذي مَنَحَنَا الله منذ الأزل،
كيف لا نجري وراء ميراثنا الأزلي المُهْدَى لنا مجاناً.

كيف يوجد إنسان بعد ينحني تحت سُخْرَةِ الشيطان ويبيع
مُلْكَهُ الأبدى؟ لأن الكتاب ينصُّ على أن المسيح «جَعَلَنَا ملوكاً
وكهنة لله أبيه»^٦. من ذا الذي يبيع ميراثه من أجل لذة وقتية
وخداع الشيطان الذي يسلب أولاد الله حقهم وميراثهم في
المسيح؟ ربما العكس يكون صحيحاً أن يبيع الإنسان مُلكه
الأرضي من أجل مُلك السماء.

والكتاب في العهد القديم يُقدِّم لنا مثلاً مُحْزِناً للغاية وهو مثل
عيسو الذي باع بكوريته وميراثه بأكلة عدس، فلما أفاق من
غفلته و «أراد أن يرث البركة رُفُض، إذ لم يجد للتوبة مكاناً، مع
أنه طلبها بدموع»^٧.

٣٠ يونيو ٢٠٠٥

^٦ رؤ ١: ٦.

^٧ عب ١٢: ١٧.

«لأنه قد ظهرت نعمة الله المخلصة لجميع الناس، معلّمة إيانا أن ننكر الفجور والشهوات العالمية، ونعيش بالتعقل والبر والتقوى في العالم الحاضر»

رسالة تيطس ٢ : ١١، ١٢

كان استعلان ربنا يسوع المسيح كمُرسل من الله لأجل خلاصنا وتتميمه الموت والقيامة لنا وفيّنا، بمثابة ظهور نعمة الله علانية، بعد انحجاب الله في العهد القديم كله^١. فظهر العهد القديم أنه كان كمقدمة وكبداية لاقتراب الله من الإنسان. ولكن ظهور ابنه مُرسلاً من قبله ليتحمّل عنا الموت ويكمل لنا القيامة من الموت، صار بمثابة إعلان زمان الخلاص المجاني للإنسان وترائي النعمة في شخص يسوع المسيح لكل العالم؛ أمرٌ أذهشَ السمائيين جميعاً، لأن الإنسان كان قد خرج من لدن الله مرفوضاً وعاش ما عاش مُتغرباً عن الله، لا يدري من نعمة الله شيئاً. وفجأة ظهر نور الله ومجده على الأرض مما أذهل

^١ إيش ٤٥ : ١٥.

السمايين، لأن الأرض كانت قد بيعت للشيطان الذي صار
مُترساً عليها يعطيها لمن يشاء.

ولكن كانت نعمة الله والخلاص الذي ظهر بيسوع المسيح
يتنافى تماماً مع أخلاق الإنسان وأسلوبه في الحياة؛ إذ كان قد
جرفته الخطية فمارسها بفجور وباع نفسه لشهوات الجسد
بتحريض من الشيطان، الذي كان قد تملك الجسد البشري
وجعله بيت إقامة، حتى صار أكثر من شيطان يسكنون بيت
إنسان واحد. إذ لما أمر المسيح مرة الشيطان أن يخرج من جسد
خليقة الله، ردَّ عليه الشيطان أنه "لجئون" أي عدة شياطين لجأوا
إلى السكنى في جسد إنسان^٢. وحوادث أخرى كثيرة أثبتت أن
أكثر من شيطان يسكنون جسد الإنسان^٣، وهكذا انفضحت
خليقة الله أمام الملائكة وأهل السماء.

لذلك لما سمعت الملائكة أن ابن الله نزل من السماء وتجسد في
بطن العذراء بالروح القدس هَلَّلُوا بمجد عظيم، وظهر جند
السماء المنوط بهم التحدث باسم الله، وقالوا: «المجد لله في
الأعالي، وعلى الأرض السلام، وبالناس المسرة»^٤ باختصار

٢ مر ٩: ٥.

٣ مر ٩: ١٦.

٤ لو ٢: ١٤.

شديد، معلنين أن نزول ابن الله إلى الأرض لم يجعله يترك مجده بل لا زال مجده يملأ السماء، ولكن نزوله إلى الأرض كان بمثابة رفع اللعنة الأبدية عنها فصرخوا أن السلام حل على الأرض من بعد لعنة. أما الإنسان الذي كان مخلوقاً دون خلقه الملائكة بسبب حصوله على عقوبة الموت، فاعتبرته الملائكة أن السرور الأبدي حل عليه من قبل الله بعد الغضب والطرده من أمام وجه الله. وهكذا أَوْحَتْ النعمة للإنسان أن يُصْلِح حاله ليكون أهلاً لحصول الخلاص وشركة مجد الابن الوحيد، فحذّرت من العودة إلى أعمال الفجور والإثم، وأوحت له أن ينكر الشهوات التي استبدّت به، حتى يليق للشركة في جسد المسيح وينال مجد السماء.

وأصبح على الإنسان وهو معانٍ بالنعمة، وقد نال الخلاص المجاني، أن يعيش بالتقوى التي تهبها النعمة لكل من التصق بيسوع المسيح وصار معه جسداً واحداً، وبهذه الشركة في جسد المسيح موتاً وقيامة، يكون قد نال برّ الله الذي وهبه للمسيح ولكل من آمن بالمسيح°.

فالبرُّ هو من خصائص المسيح لما قام من بين الأموات غالباً

الخطية والموت، وقد وهبه المسيح للإنسان ليعيش في برّ الله بعد أن كان مغضوباً عليه.

فبعد الفجور والإثم والارتقاء في أحضان الشيطان وكل أصحابه، هكذا دُعِيَ الإنسان ليعيش بالبر والتقوى بنعمة الله ويُحَسَّب من «أهل بيت الله»^٦.

فإن عرفنا هذا، أصبح علينا اللجوء إلى الله الذي يدعونا بنعمة ابنه أن نأتي إليه، حتمية لا مفر منها، فنكون شهوداً لمحبتة، واختياره، وهبته الفائقة علينا في المحبة، وللنعمة الغافرة كل جهالات الإنسان، وهي على استعداد أن تعطينا خلقتنا الجديدة، لنكون على صورة خالقنا في المجد^٧. فيا لَغنى الله الذي لا يُسْتَقْصَى!

٣٠ يونيو ٢٠٠٥

٦ أف ٢: ١٩.

٧ أنظر كو ٣: ١٠ + ٢ كو ٣: ١٨.

«لتسكن فيكم كلمة المسيح بغنى، وأنتم بكل حكمة معلّمون ومُنذرون بعضكم بعضاً بمزامير وتسابيح وأغاني روحية، بنعمة، مترنمين في قلوبكم للرب»

رسالة كولوسي ٣ : ١٦

أن نقرأ الإنجيل شيء، وشيء آخر أن نردّد كلام المسيح مراراً وتكراراً، كما نحفظ جدول الضرب، حتى تصبح كلمات المسيح وكأنها صادرة من القلب. لأن كلمة المسيح حسب قصد الله، وارتفاع قيمتها في حياتنا ليس مكانها في العقل مهما حاولنا حفظها غيباً، بل مكان كلمة المسيح، بحق، هو القلب، تسكن فيه كأعزّ ما نملك في الحياة. ويقول الكتاب إن كلمة المسيح إن دخلت القلب تُغنيه، أي تُصيرُه أعظم من المال والغنى، لأن كلمة المسيح هي كالمسيح، إذا عاشت فينا، لا نعود نعيش لأنفسنا، بل المسيح نفسه يصبح هو الحيّ فينا.

لذلك قول الكتاب إن «كلمة المسيح تسكن بغنى»، تعني فوراً أن الإنسان قد انتقل من صورة البشرية الزائلة إلى صورة المسيح بواسطة الكلمة الحية والحياة.

فإن كان العالم يفرض علينا أن نحفظ الأسماء والأماكن والأعداد، فالله يفرض علينا أن نحفظ كلمة المسيح بحكمة وعمق، ونجتهد لنستعلن ما تخفيه الكلمة من معانٍ واتجاهات تُزيدنا من حكمة المسيح وغناه في المجد.

فكلمة الصليب عند أهل العالم جهالة، أما عندنا نحن الذين آمنا بالمسيح «فهى قوة الله»^٢ و «حكمة الله»، بل وعزاء الله وغنى الله، في المجد. لذلك، وبحسب وصية الكتاب، يلزمنا جداً أن نمتلئ بملاء المسيح كحق مكتسب، لأنه من أجلنا ومن أجلنا فقط، حل في المسيح «كل ملء اللاهوت جسدياً»^٣، وقوله «جسدياً» معناه أنه يصير في الحال من نصيب الإنسان، لأن المسيح - له المجد - إنما تجسد وقبل في جسده ملء اللاهوت ليصير من نصيبنا. لذلك يزيد الكتاب مكملاً الكلام بقوله:

٢ كو ١: ١٨.

٣ كو ٢: ٩.

«وأنتم مملوؤون فيه»؛ يا للمجد! لذلك لزم هنا أن ننبه ذهن القارئ اللبيب أن لا يفوت الفرصة على نفسه فيستصعب هذا الأمر؛ لأنه في الحقيقة أمر يفوق العقول؛ ولكن ما العمل، فإن كان الله قد سبق ومنذ الأزل أن دبر لنا هذا الملء في لاهوت المسيح جسدياً، فما علينا إلا أن نصدق الله لأن الله لا يكذب أبداً، وكل ما قاله تُسجِّلُه السماء وينقشه الزمان على صفحات سنيه لكي يظل يقرأه كل إنسان، لأن الله لا يهدأ حتى يمتلئ كل إنسان بملء المسيح. وما هو الإيمان بالمسيح في الحقيقة؟ أن يؤمن الكل به ليصل كل الناس إلى قامة الإنسان الكامل، ومن هو الإنسان الكامل؟ هو «قامة ملء المسيح»°. فنحن نرحف بالإيمان مترجّين وجه الله أن يُزيد إيماننا، ويؤالف قلوبنا، لنصبح إنساناً كاملاً في المسيح، أو بالحرى قامة ملء المسيح في المجد.

وهذا هو نهاية قصد الله من خلقتنا الجديدة على صورة المسيح، أن نزداد كل يوم بل كل ساعة في قامة المعرفة بالمسيح، متعمّقين كل كلمة قالها، لنصل إلى الاستعلان الحقيقي في الله والمسيح، وهنا نزداد قامة في المسيح وتتجدّد معرفتنا بالله والمسيح لنبلغ في

٤ كرو ٢: ١٠.

٥ أف ٤: ١٣.

النهاية إلى ملء هذه القامة. وهذا سرُّ حياتنا المسيحية في الله، بل ومن أجل ذلك نحن نعيش. فإن كنا لا نزداد في الإيمان ومعرفة ابن الله، كما يقول الكتاب: «لَتَسْكُنْ فيكم كلمة المسيح بغنى»^٦، فلماذا نعيش؟ هل نأكل وننام ونقوم لنأكل وننام؟ يا إخوة، إن حياتنا في المسيح مؤهّلة لهذا المجد من تلقاء نفسها ومن فيض النعمة التي يسكبها الله في قلوبنا كل يوم وكل صباح. فالمطلوب أن نستجيب لطبيعة الله فينا، فهي تريدنا أن نطلب الله، بل تطالبنا أن نعرفه ونعرف مقاصده من أجلنا، لهذا خلّقنا، ولهذا جدّد خلقتنا، ولهذا سكب روحه ونعمته علينا، فإذا لم تسكن كلمة الله بغنى في قلوبنا، فسوف يسكن في قلوبنا العدو بشهوته وتزييفه للحق.

والكتاب يحضّنا أن نجتمع معاً على مزمور وعلى ترّيل، لتزداد فينا الغيرة وحرارة المسيح. ونلاحظ قوله «مترنّمين في قلوبكم للرب»، وهذه صنعة الملهّين بنعمة الله الذين تلهج قلوبهم بتسبيح الرب، لا يسمعه أحد لأنه في القلب، في الداخل، تسمعه الملائكة وأرواح القديسين، وهكذا نشترك مع الأرواح والنفوس

المنتقلة في تسبيح صامت تَغِير منه الملائكة.

أعرف سيدة ممن حاباهم الله بنعمته كانت تجلس بجواري من ناحية وزوجها من الناحية الأخرى؛ فسمعتُ صوت نغمة جميلة للغاية صادرة من باطنها وفمها مقفول. فلما سألتُ زوجها، قال لي إنها حينما تلتهب بالروح تُخطف ولا تعود تشعر بالموجود حولها، ولا إلى كلام الآخرين. وأنا أعلم أن الانخطاف بالروح حالة من حالات الصلاة العميقة، يُختطف فيها الذهن، ويعاين أموراً يكشفها الله للإنسان، وهي ممارسة عالية من ممارسات الصلاة بالروح.

٣٠ يونيو ٢٠٠٥

«وأما من جهتي فحاشا لي أن أفخر إلاً بصليب ربنا يسوع المسيح، الذي به قد صُلب العالم لي وأنا للعالم»

رسالة غلاطية ٦ : ١٤

كان الإنسان قبل المسيح لا يرى في الصليب إلا آلة تعذيب وقتل. وكان ذكرُّه يرعب القلوب، ولكن لما اختار الله أن يُصلَّبَ ابنه مُعلَّقاً على الصليب، لينزف ويموت موت الذبيحة تغيَّرت صورة الصليب في أذهان الناس، لأن موت المسيح على الصليب حُسِبَ ذبيحةً خطية عن العالم، وصار دمه فداءً لكل إنسان، فأصبح الإيمان بالصليب كموت فدية عن كل نفس بشرية موضع تكريم وتمجيد، حتى أصبح الصليب يُعلَّق على الصدور ويوضع في تاج الملوك. والذي زاد من رهبة الصليب جداً هو استخدامه لإخراج الشياطين التي بدت ترتعب من الصليب حتى ولو كان في يد طفل. وهكذا دخل الصليب العالم؛ من ناحية، صار مصدر مجد وفخار على صدور الناس وتيجان الملوك كرمز للنصرة؛ ومن ناحية أخرى، بدأ بعض الناس استخدامه لإخراج الشياطين

سلطان إلهي وقوة غالبة.

وهكذا أصبح الصليب اليوم موضع إعزاز وافتخار، كعلامة
مان وشهادة سيادة المسيح على العالم والشیطان. وبالاختبار
عملي أصبح المؤمنون بالمسيح يستخدمون الصليب في حياتهم
مِزاً للنصرة والغلبة على الشيطان وكل أعماله، وبأن واحد،
ستمدون منه قوة ونصرة على العالم، حاسبين أن بالصليب
نالون الغلبة على العالم فيصبح العالم مغلوباً لهم؛ وبمعنى إلهي سامٍ
يعتبرون أن العالم كله صُلب بالنسبة لهم، بل ويعتبرون أنفسهم
مد صُلبوا للعالم.

فكُون العالم يُصَلَّب، يعني أن تنتهي سَطَوَتُهُ الأولى، وتموت
كل ملاهيه وشهواته في نظر الإنسان، وكأنها صُلبت للنفس.
وأما أن الإنسان يحسب نفسه مصلوباً للعالم، فهذا يعني أنه لم
يُعد مغريات العالم ومسراته وغناه وعظمته ذات أية قيمة في نظر
هذا الإنسان.

هكذا نرى أن كلا المعنيين يحملان قوة كاسحة للعالم في نظر
الإنسان، فهو تعبير مزدوج ذو معنى عميق للغاية، وهو ما كان
طلبه الله للإنسان من جعل ابنه يُصَلَّب ويموت، ثم يقيمه أبوه
قوة سلطانه.

فهنا قد وُفق بولس الرسول أن يصيب المعنى تماماً حسب قصد الآب السماوي. وأعطانا بولس شهادته بل خبرته لتكون آية إيماننا بالصليب بل علة افتخارنا نحن أيضاً، لتتوّج بها حياتنا وقلوبنا، ولتدخل إيماننا وتملك قلوبنا، وهكذا نأخذ سرّ غلبة المسيح على العالم، فنعيش كما عاش المسيح والقديسون غير مباليين بما يسدده لنا الشيطان من تجارب وحيل. وهذا هو الذي قاله المسيح للتوعية: «أنا هو الطريق»^١. فإن كان المسيح هو الطريق، فقد خلا الطريق من أي تدخل من الشيطان، ففسير فيه غير مهتمين بتجارب العدو وتداخلاته ليفصلنا عن قائد مسيرتنا. وهكذا، فالإيمان بالمسيح يحتاج منا أن نمسك بهذه الحقيقة ونجعلها نبراساً لمسيرتنا ونوراً لسبيلنا: "أما أنا فأعيش مصلوباً للعالم والعالم مصلوباً لي"، فيعبر الإنسان كل مضايقة رافعاً صليب حياته في وجه العدو، حتى لا يقترب إليه بحيله ومكره وخداعه، إلى أن يعبر كل صعاب الطريق الطويل الشاق ويؤهل للعبور.

أول يوليو ٢٠٠٥

«لا بأعمال في برِّ عملناها نحن، بل بمقتضى رحمته خلَّصنا
بغسل الميلاد الثاني وتجديد الروح القدس، الذي سَكَبَهُ
بِغَنَى عَلَيْنَا بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ مُخْلِصَنَا، حَتَّى إِذَا تَبَرَّرْنَا بِنِعْمَتِهِ
نُصِيرُ وَرَثَةً حَسَبَ رِجَاءِ الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ»

رسالة تيطس ٣: ٥-٧

بِمَجِيءِ الْمَسِيحِ وَسَكَبِ الرُّوحِ الْقُدُسِ، انْتَهَى الْبِرُّ الَّذِي بِأَعْمَالِ
النَّامُوسِ، وَشَمَلْتُنَا رَحْمَةُ اللَّهِ الْمَجَانِيَّةِ، وَذَلِكَ بِدَعْوَتِنَا لِأَغْتِسَالِنَا فِي
الْمَعْمُودِيَّةِ بِعَمَلِ الرُّوحِ الْقُدُسِ، الَّذِي - بِحَسَبِ الْإِيمَانِ الْمَسِيحِيِّ
- يُحَدِّثُ تَجْدِيداً لِلخَلْقَةِ الْآدَمِيَّةِ الْأُولَى لِنُصِيرَ بِهَا أَبْنَاءَ اللَّهِ
الْمُخْتَارِينَ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ مُخْلِصَنَا. فَالْمَعْمُودِيَّةُ الْمُقَدَّسَةُ وَقَدْ حُلِّ
فِيهَا الرُّوحُ الْقُدُسُ تُحَسِّبُ كَرَحِمِ سَمَاوِي لِلْإِنْسَانِ يُولَدُ فِيهَا
وَلَادَةٌ جَدِيدَةٌ، وَيُمَسَّحُ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ لِيُصِيرَ مَسِيحَ الرَّبِّ أَوْ
بِالْحَرِيِّ ابْنَ اللَّهِ، وَيُحَسِّبُ وَرِثَةً لِلْمَسِيحِ فِي الْمَجْدِ؛ أَيِ مُسْتَحَقًّا
لِدُخُولِ الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ لِيَعِيشَ مَعَ اللَّهِ كَخَلِيقَةٍ رُوحِيَّةٍ أَوْ كِيَانِ
سَمَاوِيٍّ، بَعْدَ أَنْ كَانَ مُجَرَّدَ كِيَانٍ بَشَرِيٍّ. هَذِهِ النَّقْلَةُ الْعَظْمَى الَّتِي
هِيَ اللَّهُ لِلْإِنْسَانِ هِيَ فِي جَمْعِهَا عَمَلُ رَحْمَةٍ مِنَ الدَّرَجَةِ الْأُولَى،

هَيَّاها الله الآب للإنسان بالخلاص الذي أعدّه. بموت ابنه على الصليب كذبيحة فداء لننا فيها التبني لله بالنعمة، التي مُقْتَضَاهَا صرنا ورثة المسيح في المجد. هذا صُلب الإيمان المسيحي الذي وهب لنا رجاءً حيّاً بقيامة المسيح من بين الأموات، فاتحاً لنا الطريق المؤدي إلى الحياة الأبدية، وأخذاً بيدنا لنعبر هوة هذا العالم كأعظم من منتصرين، وذلك بعمل دمه الذي سفكه على الصليب فداءً لنا، وفكّاً لنا من أسر العدو وعبودية الخطية.

فبعد أن كنا أبناء آدم الوارثين لعنة الأرض، صرنا أبناء الله الوارثين ملكوت ابن محبته، لا إلى زمن محدود بل إلى أبد الآبدين. فأَيُّ شكر نستطيع أن نقدمه إلى الله والمسيح الذي عَتَقَنَا من لعنة آدم وأورثنا مجد ابنه الوحيد في ملكوته، محلّدين أمام الله إلى الأبد؟

هكذا انتهى برُّ الناموس الذي ورثنا العقوبة والموت، فحصلنا على برِّ المسيح الذي أهَّلَنَا للتبني لله ووراثته مُلكه الأبدي، وهكذا حلّت علينا رحمة الله، وأُعتِقْنَا من عبودية هذا الدهر وذُلَّة الخطية وألم الموت، وعبرنا برحمته هوة هذا العالم، مفتخرين بعمل الله المجاني الذي حبانا به بسبب حبه للمسيح الذي احتمل آلام صليب الفداء من أجلنا.

فهل، يا تُرى، نحن نستطيع أن نقدم لله ما يستحقه من الشكر

الحمد والتسبيح؟ هذا أمر مستحيل، لأن عمل الله فينا بالروح
لقدس والتجديد، هما عمل مجاني لا يكفي أن يُقابله الشكر
نحسب. ولكن الذي يستحقه الله وابنه يسوع المسيح حقاً هو
أن نقبل هذه الرحمة وهذا الفداء، ونرفع إيماننا بالمسيح والله إلى
ما يساويه ويساويها من أمانة العبادة، ومحبة الآخرين، والعطف
على إخوة الرب، وتقديم حياتنا لتكون تحت قيادة الروح القدس
ونعمة الله، مُضَحِّين بكل ما في العالم من أهواء وشهوات وأجناد
كاذبة من أموال وغنى مُزَيَّف، لنربح رضا الله ونعيش في شركة
حب المسيح، حيث يكون فخرنا الوحيد في هذا الدهر هو إيماننا
بالمسيح وصدق حبنا له، ليتم قول بطرس الرسول عن حب
المسيح: «الَّذِي وَإِنْ لَمْ تَرَوْهُ تَحْبُونَهُ»^١. ولكننا لابد سنراه يوم أن
ننطلق لنكون معه إلى الأبد كرعية صالحة لراع صالح.

لهذا خَلَقَنَا الله خَلَقْتَنَا الجديدة في المسيح، لنكون شهوداً لعمل
مجد الله، إذ أقامه بشدة قوته من الموت، لِيُحْيِنَا معه، ولنكون
مُعَدِّين جميعاً لاستعراض عمل الله في المسيح للقوات السمائية
المُخْفَى عنها حقيقة موت الابن.

أول يوليو ٢٠٠٥

«الذين هم للمسيح قد صلبوا الجسد مع الأهواء
والشهوات»

رسالة غلاطية ٥ : ٢٤

عندما نتسب للمسيح، أي نقول نحن مسيحيون، فهذا يتضمن في الحال أننا قَبَلْنَا الصليب كنصيب لنا. وجوهر الإيمان بالمسيح هو قبول الصليب كمعيار حياة، أي أن الإنسان المسيحي هو إنسان يحيا مصلوباً بإرادته. وإرادة الصليب هي نموذج حياة ليست من هذه الحياة التي نعيشها في العالم، فالحياة حسب الصليب تستمد كيانها من الصليب، أو بالحرى تستمد حياتها من موت المسيح على الصليب. ومعروف أن المسيح مات مُسْتَضْعَفاً، أي من ضعف كلي^١، إذ سَلَّمَ يديه للصالبين دون أي احتجاج، ولما حكموا عليه بالصلب لم يعترض، وقَبِلَ كل الاتهامات التي وُجِّهَتْ إليه إلى الدرجة التي أدهشت القاضي. ولَمَّا هَدَّدَهُ القاضي أن يحامي عن نفسه وإلاَّ سيعرَّض نفسه للموت، لم يُجِبْه بشيء،

^١ أنظر ٢ كور ١٣ : ٤.

كإنسان رَضِيَ أن يُصَلَّب دون أن يدافع عن نفسه قط، إلا عندما
 نبَّح القاضي جداً وقال له: ألا تعلم أن لي سلطاناً أن أحكم
 عليك بالقتل، تكلم عن نفسك. هنا قال المسيح قَوْلته: إنك لا
 تقدر أن تحكم عليّ بالموت «لو لم تكن قد أُعْطِيتَ من فوق»^٢،
 مشيراً إلى أن الذي يتمُّ هو قضاء الله لا قضاء الناس. لهذا يُحَسَّب
 أن الذي حَكَم على المسيح بالصَّلب ليس بيلاطس بل الله. لهذا
 حُسِبَتْ عقوبة الموت صلباً لأنها في الحقيقة إرادة الآب السماوي،
 التي رَدَّ عليها المسيح بقوله: «إلهي إلهي لماذا تركتني»^٣، ولكنه في
 نفس الوقت رَضِيَ بأن يتركه الآب ليُكَمِّل موت الصليب
 الكفاري عن العالم كله، لأنه لم يكن يستحق الموت. لذلك يقول
 بولس الرسول عن المسيح إنه «أطاع حتى الموت، موت
 الصليب»^٤. فحقيقة الصليب خَفِيتَ عن الناس جميعاً، إذ حسبوا
 - حسب ظاهر الكلام - أن رؤساء الكهنة هم الذي قدَّموه
 للمحاكمة والذي حَكَم عليه هم الرومان، ولكن الحقيقة أن
 الآب ترك الابن ليُصَلَّب عن إرادة ومعرفة الله أبيه، قاصداً أن

^٢ يو ١٩: ١١.

^٣ مت ٢٧: ٤٦.

^٤ في ٢: ٨.

يكون موت المسيح ذبيحة كفارية عن العالم الذي صلبه وعن كل إنسان يؤمن أن المسيح صلب بإرادته ليكفر عن خطايا كل البشر. ولكن إرادة الآب في صلب ابنه هي جوهر الصليب، لأن هذه الإرادة غفرت فعلاً كل خطايا الإنسان.

لذلك نحن الذين نؤمن بالفداء الذي تم على الصليب تُغفر خطايانا على أساس أننا شركاء موت الصليب، لأن جسد المسيح الذي تحمّل الصليب وقام من الموت، اعتُبر جسد البشرية كلها لأنه كان جسداً فريداً، وحقيقته أنه جسد ابن الله الذي لبسه عن جميع البشرية، ولبسه خصيصاً ليموت به موت الفداء عن الجميع كل من يؤمن بموته وقيامته.

فلأن جسد المسيح حُسب جسد البشرية كلها أفراداً، اعتُبر صلب المسيح أنه تم في كل جسد للإنسان بلا تفريق، كل من يؤمن. هذه الحقيقة ليست كلامية ولا مجرد إيمان بالفهم، فإن هذه الحقيقة تُلزم كل إنسان في المسيح يسوع أن يعيش مصلوباً عن العالم، عيشة منفصلة حقاً عن كل شهوات الجسد. بمعنى أن الإنسان المسيحي، كمؤمن حقيقي، يصلب جسده بإرادته، ليس على خشبة ومسمار، بل يصلبه عن كل خطية وشبه خطية وعن كل الشهوات التي يتمتع بها أولاد العالم، بمعنى أن ينفصل عن

الخطاة والمستهزئين وكل أولاد العالم الذين يعيشون في انحلال وإباحية، ومعنى سرِّي آخر يُصومَّ الجسد عن كل ملذات العالم وشهوة العيون ومسرات الجسد وتعظم المعيشة. وإن كان قليلون هم الذين يصلبون الجسد مع الشهوات، ولكن هؤلاء يُسرُّ الله ويفرح المسيح، ويُعفي العالم من الكوارث والضربات وتطول أيامه وسنيه.

فالذين يعيشون صالبين الجسد والشهوات هم بمثابة روح جديدة تنعش العالم وتشهد لله والمسيح، وبغير هؤلاء ينقضي هذا العالم وينتهي مصيره.

أول يوليو ٢٠٠٥



«أما تعلمون أنكم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم»

رسالة كورنثوس الأولى ٣ : ١٦

نعم يلزمنا أن نعرف هذا أن المسيح أعطانا جسده المقدس الذي يسكن فيه الروح القدس ليكون جسداً لنا، لما تجسد في جسد الإنسان، وملاءه بلاهوته وحل عليه الروح القدس للسكنى الدائمة، يوم أن حل بلاهوته في أحشاء العذراء القديسة مريم واتخذ منها جسده بواسطة الروح القدس. فكان تجسّد المسيح هبة الله العظمى للإنسان، إذ اعتُبر الإنسان أنه وُلد جديداً بميلاد المسيح، ونال الروح القدس مع الجسد، فأصبح جسد الإنسان المؤمن بالمسيح هيكلًا جديداً للروح القدس. لأن كل ما كان للمسيح كان لأجلنا، فهو تجسد لأجلنا، وحل عليه الروح القدس لأجلنا، ووُلد لأجلنا. وهذا هو سرُّ المسيحية الرهيب أننا أخذنا لأنفسنا جسد المسيح بلاهوته وملئه من الروح القدس، لأن ابن الله أزلي هو، وهو غير محتاج لا لتجسّد ولا لموت ولا لقيامة، ولكن الله الآب لما رَضِيَ على خليقة الإنسان التي خَلَقَ،

سَمَّ أَنْ يورَثَها لاهوته ويَهَبَها روحه القدوس، فأرسل ابنه لوحيد ليتمم مشيئة الله فينا.

وهكذا ينجلي الإنجيل، وتُستعلن إرادة الله العظمى، وينال إنسان هذه الموهبة السماوية منقطعة النظير، التي لم يشاركه فيها ملاك ولا أي كيان إلهي سماوي، بل صيرنا نحن بميلادنا من لروح القدس والماء في شركة مع يسوع المسيح جسدياً، وأكملنا وفينا موته على الصليب لفداء يُقَتِّى قَنِيَّةً كأنه موت حياة أبدية، وقام لنا وبنا ليقَدِّمنا لأبيه كأحياء سماوية لها الميراث الذي له، فصرنا شركاء المسيح في التجسد، والموت، والقيامة، والميراث. وهكذا أكمل الله لنا في المسيح كل مقاصده الأزلية.

فالآن يتحتم علينا أن نبلغ هذه الغاية بالإيمان والرجاء الحي، لأن هذه هي المسيحية الحقّة، أن نستجيب لمشيئة الله فينا. لأنّه ليس مجاناً أخذنا الصليب والقيامة وملء الروح القدس، بل بثمن أغلى مما في الوجود كله، روحي وجسدي معاً. وهذا الثمن دُفِعَ مرة واحدة واشترانا به المسيح لله أبيه، وهو سفك دمه على الصليب، دمه الأقدس، دم ابن الله الذي ترتعب منه السماء والأرض كلها، سفكه بيد رؤساء الكهنة وأعوانهم وجند الرومان، وعلى مشهد من العالم، بعد تعذيب وضرب بالسياط

وبالعصيَّ على رأسه، وتفلوا في وجهه، هذا هو الثمن الثمين الذي دفعه ابن الله برضا أبيه، وأمام كل الخليقة السماوية.

إذن، فليس مجاناً قبلنا الخلاص والفداء وشركة جسد المسيح، ولكن بثمان باهظ لا تُدرّكه عقليُّتنا الأرضية.

إن عَلَّمْنَا ذلك، يقول الكتاب، فعلينا أن نعتبر أجسادنا التي يسكنها الروح القدس وهي في شركة حقيقية عليا مع جسد المسيح القائم الآن في المجد، أنها أيضاً مقدّسة هي، ومُثَمَّنة بثمان أغلى من الذهب الفاني، نحترمها كجسد المسيح ونحفظها طاهرة كرامة لجسد المسيح، وننأى بها عن العبث والفساد الذي في العالم، لا نخالط المتحلّين، ولا نقيم شركة مع غير المؤمنين، ولا نسمح لأي أحد أن يمسها بسوء، كرامة للروح القدس الذي يملأها، حتى إذا ما وقفنا نصلي ونرفع أصواتنا بالمجد لله، ينتعش روح الله الذي فينا، ويفرح بنا ويُسرُّ.

وإن كانت الملائكة المعيّنة لحفظنا ورعايتنا تقف أمامنا وتسندنا في مواقف الحياة الصعبة، فذلك كرامة للمسيح الذي فينا، وتكريماً للروح القدس الذي يملأ هياكل أجسادنا. وهكذا نحن نمضي أيام غُرَبَتنا على الأرض مُعانين مكرّمين من الملائكة بسبب شركتنا في جسد المسيح ودمه وموته وقيامته وجلوسه عن يمين

الآب.

فنحن كخليقة جديدة، مُكرّمة في عين الله القدوس ومقبولة أمامه في المجد، لذلك ينبغي أن نكون دائماً في حالة صلاة، وقلوبنا مرفوعة أمام الله، وعيوننا ناظرة إلى مخلصنا الذي ينتظر نُصرتنا وغلبتنا على العالم، لكي يقدمنا إلى أبيه، مخلوقين جُدداً في المسيح يسوع.

٢ يوليو ٢٠٠٥

«وليملاًكم إله الرجاء كل سرور وسلام في الإيمان،
لتزدادوا في الرجاء بقوة الروح القدس»

رسالة رومية ١٥ : ١٣

إذا كان الإيمان بالمسيح هو الثقة بما يُرجى، والإيقان بأمر لا تُرى^١، لعرفنا تَوْأً أن المسيح نفسه هو الرجاء^٢، لأنه بدون الرجاء لن نستطيع أن نعمل أي شيء. لذلك كان الإيمان بالمسيح هو الإيمان بالرجاء، والرجاء يختص بما أعدّه الله لنا في شخص يسوع المسيح، الذي لم تَرَهُ عين ولم تسمع به أذن ولم يخطر على قلب بشر، بمعنى أن الرجاء هو رجاء خاص بالروح وللمجد الله. فالمسيح أكمل لنا حظاً ونصيباً مع الله، وصالحنا بموته، فلم يَعُدْ علينا دَيْنٌ للخطية، لأن المسيح سَحَقَهَا على الصليب لما سحق الشيطان وألغى قوته التي كان يستعبدنا بها.

فرجاؤنا في المسيح هو مسرَّتُنَا الوحيدة في العالم. عَلِمَ هذا

١ عب ١١ : ١.

٢ ١ تي ١ : ١؛ ١ كو ١ : ٢٧.

جندُ السماء لما وُلد المسيح في بيت لحم، لمَّا ظهرُوا للرعاة وأنشدوهم: «المجد لله في الأعالي، وعلي الأرض السلام، وفي الناس المسرة»^٣، لأن مسرة بني آدم توقفت وامتنعت عليهم، لما لعن الله الأرض بسبب آدم وطرده من الفردوس، فظل آدم يروح تحت اللعنة مُستعبداً للشيطان ويعمل إرادته، وهو ممتلئ حزناً على نفسه. ولكن لما هتف الملائكة بالسرور بين الناس، كان ذلك بدء دخول الإنسان في مسرة الروح بسبب ميلاد المخلص، الذي صار وسيط سلام لكل المؤمنين به، بعد أن تصالحوا مع الله بموت ابنه على الصليب.

فالسُرور بين الناس حلم حَقَّقه الله بموت ابنه، حتى يتسنى للإنسان أن يعبد الله بفرح وسرور لا يحجبه شيء عن قلب الله بعد. حتى الأرض التي قَبِلَت اللعنة بسببه، حلَّ عليها السلام الإلهي بميلاد المسيح، لأنها صارت موطئاً لقدميه، بل وراحة لجنبه في مذود البهائم، فباركت فيه حتى بهائم الحقل. وباختصار، عادت للإنسان هيئته على الخليقة، وكأنه دخل الفردوس الجديد بعد أن طُرد منه، والذي سوف يُستعلن بظهور المسيح، فتعود

الخليقة كلها طائعة للمسيح وبني الله.

إن عرفنا ذلك وتأكدنا من أن الله دعانا في ابنه لميراث الحياة الأبدية، يزداد رجاؤنا جداً منتظرين مجيء الرب بفارغ الصبر، لأنه سيعطينا كل أجماده التي استردّها بصعوده إلى السماء بعد أن أكمل مشيئة الله: «متى أظهر المسيح حياتنا، فحينئذ تُظهرون أنتم أيضاً معه في المجد»^٤، لأننا «نكون مثله، لأننا سنراه كما هو (أي في كامل مجده الإلهي)»^٥.

أي رجاء يكون رجاؤنا بعد أن نسمع هذا كله؟ وقوله «نكون مثله» يعني أننا سنُظهر فيه كأعضاء جسده الإلهي الممجّد، شيء لا يطيقه العقل الآن، لأننا لازلنا رازحين تحت جيروت هذا العالم وثقل الجسد!!!

ولكن الرجاء بالمنظور ليس رجاءً، فرجاؤنا حيٌّ مخفيٌّ في المسيح، لا نراه إلا في الإيمان، والإيمان في المسيح أقوى من كل العالم. فالعالم سينحل ويتلاشى، ولكن المسيح سيُستعلن في مجده مع ملائكته القديسين وأرواح الأبرار المكملين في المجد.

٤ كو ٣: ٤.

٥ ١ يو ٣: ٢.

فإن كنا الآن نعيش في الهوان وتبدو السموات وكأنها أعلى من
ستوانا، كما تبدو شركتنا في مجد المسيح وكأنها مجرد أمل
ضعفه ثقل الجسد، وتزاحم الاضطهادات، وغضب الطبيعة
لإزالتها وبراكينها وفيضاناتها التي زادت عن الحد، فنحن نحتمل
لك عالين وموقنين بقرب مجيء الرب.

٢ يوليو ٢٠٠٥

«ولكن شكراً لله الذي يعطينا الغلبة بربنا يسوع المسيح،
إذاً يا إخوتي الأحباء كونوا راسخين، غير متزعزعين،
مُكثِّرين في عمل الرب كل حين، عالين أن تعبكم ليس
باطلاً في الرب»

رسالة كورنثوس الأولى ١٥ : ٥٧، ٥٨

قول المسيح «ثقوا أنا قد غلبتُ العالم»^١ لا يحكي عن نفسه
ولا يفتخر بعمله، وإنما يريدنا أن نعلم أن العالم الذي غلب
الإنسان في آدم وبنيه قد صار تحت أقدام المسيح، وأن رئيس هذا
العالم وطأته أقدام المسيح على الصليب، فالمسيح غلب لنا العالم،
وسلّمه لنا مغلوباً، ووطئ الخطية تحت رجله، وسلّمنا الخطية
مهزومة ومُداسة.

فماذا نقدم لله الذي أعطانا هذه الغلبة بيسوع المسيح؟ بولس
الرسول يذكر في بداية الآية الشكر لله، ونحن نرى (كما في بقية

^١ يو ١٦ : ٣٣.

(الآية) أن الشكر وحده لا يوازي صليب المسيح وموته عليه،
 ولكن نرى أنه لا شيء قط يوازي عطية الله هذه بالغلبة على
 العالم إلا الغلبة على العالم. إذ ما الفائدة، يا إخوتي، إن كنا
 نشكر الله على هذه الغلبة ونحن مغلوبون تحت العالم؟ اعلم تماماً
 أن تسليم المسيح لنا العالم مغلوباً لا يعني إلا أن نعيش هذه الغلبة
 لكي نفتخر بها ونقدمها شكراً حقيقياً لله. فذبيحة فدية المسيح
 على الصليب لا يوازيها إلا جسدنا مغلوباً بإرادتنا. وما هي غلبة
 العالم؟ هي أن نخرج من وسط الذين يعيشون للعالم ولا نمسُ
 نجساً فيقبلنا الله^٢، ليس خروجاً بالجسد وإلا يلزم أن نموت، وإنما
 خروجاً بالفكر والنية والقلب والمشئمة والفعل أيضاً. فالعالم يحتاج
 إلى مَنْ يعمل فيه ويكُدُّ ويكُدِّح من أجل لقمة العيش، وإطعام
 مَنْ لا يقدر على العمل في هذا العالم عن عجز أو ضعف أو
 مرض أو فاقة، لكن أولاد الله يكُدُّون ويكُدِّحون إنما لا
 يستخدمون هذا العالم لأنفسهم أو مُتعتهم، إنما يعملون وَيَشْقَوْنَ
 حباً في المسيح وخدمة لأولاده وإخوته الفقراء. وهكذا يَقْوَى
 إيمانهم، وتزداد عزيمتهم، ويصيرون "راسخين" في الإيمان، "غير

متزعزعين“ سواء عن اضطهاد أو ظلم أو استبداد، عالمين أن الله لا يمكن أن ينسى عمل محبتهم وسخاء عطيتهم على اسم المسيح وحباً فيه، متيقنين أن عمل الرب لا يذهب هباءً أو باطلاً، لأن عين الله على مختاريه الذين يكذبون ويتعبون من أجل الله ومحبة في المسيح.

بل وعلى قدر ما يزداد الاضطهاد والظلم وجور الحكام، تزداد العزيمة ويقوى العمل وتُشحذ النية، وكأن الله واقف يرصد بنفسه ما يعانیه أولاده، فعلى قدر الأنين تكون النعمة، وعلى قدر عرق الجبين يكون العزاء، إذ يستحيل أن ينسى الله عمل المحبة وتعبد الخدمة. فخدام المسيح هم بمثابة رسل وأعوان، عيّن الله عليهم من أول النهار إلى آخر الليل، فلا يمكن أن خادماً الرب يشعر بأنه يصارع في الهواء، فكل حركة محسوبة، وكل خطوة معدودة، وكل دمة مرصودة، لأن ولينا حيّ، وقبل أن نصرخ يستجيب، وقبل أن تنتهّد يسمع^٣، ويكتب سفرَ تذكّرة^٤، تُزاد على نصيبه في السماء.

فغلبة العالم هي كسبُ السماء، وخدمة المساكين والفقراء

^٣ أنظر إش ٦٥ : ٢٤.

^٤ أنظر ملا ٣ : ١٦.

المرضى هي بمثابة تضميد جسد الرب، فالمرأة التي دهنت رجلي
لرب بعطر الناردين الخالص الثمين، قال المسيح إنها «فعلت ذلك
أجل تكفيني»°. فآين الآن هذه المرأة وآين الناردين الكثير
لثمن؟ هي موجودة في كل امرأة تمسح أجساد المرضى والفقراء
المجوعين، وآين يوسف الرامي للذي كفّن الجسد؟ هو موجود
في كل من يلبس الفقير والعريان من أمواله وتعب يديه، هؤلاء
هم "المكثرون في عمل الرب"، الذين لن تُنسى أعمالُ محبتهم في
لمسيح، فالعالم سيزول بأرضه وسمائه، أما عمل المحبة في المسيح
فيثبت إلى الأبد.

فإن كان العالم الآن في خير وثناء، فهو بسبب الذين يعملون
جادّين في عمل المحبة وخدمة إخوة الرب.

٢ يوليو ٢٠٠٥

«لأنه هكذا يُقدِّم لكم بسعة دخولٍ إلى ملكوت ربِّنا
ومخلصنا يسوع المسيح الأبدي»

رسالة بطرس الثانية ١ : ١١

الدخول إلى ملكوت ربنا يسوع المسيح هو بناءً على حصولنا
على برِّ يسوع المسيح، الذي اكتسبه لنا بموته وقيامته اللتين كنا
شركاءَ فيهما، لأن الجسد الذي مات على الصليب ودُفِن وقام
من الموت كان هو جسد البشرية الحديد الذي وهبنا المسيح إياه
مصلوباً وقائماً من الموت. ولكن قول بطرس الرسول أنه قدَّم لنا
الدخول إلى ملكوت الرب يسوع المسيح عن سعة، يُعني أنه كان
دخولاً ظاهراً للمسيح بعد أن غلبَ العالم و «أبطلَ الموت، وأنار
الحياة والخلود»^١. فقلوه "عن سعة" أي بدون عائق من جهة
شكوى العدو علينا، أو تدخلٍ من جهة أعمالنا، فهو دخولٌ لا
يشوبه سؤال أو تفتيش، تحفُّ به الملائكة وأرواح القديسين في
تهليل ومجد لا يوصف. واستعلان بطرس الرسول لهذا الدخول

١ ٢١ : ١.

كان استعلاناً فريداً من نوعه لم يسبقه إليه أحد، فكأنه رأى
وابات الملكوت مفتوحة على آخرها وملائكة تُحيي القادمين
التهليل والفرح.

وعلى قدر ضيق الأيام ومرارة العبور في هذا العالم، على قدر
ما أعدّ لنا الله سعةً في دخولنا إلى ملكوت ابن محبته. وعوضَ محنة
هذا الدهر وأحزانه وبكائنا ودموعنا، «بمسح الله كل دَمْعَةٍ»^٢ من
عيوننا. وعوضَ أحزان هذا الدهر، يصير بهجة وفرحٍ وتهليل
القوات السمائية جميعاً، وكأننا داخلون إلى عُرْسِ سمائي، حيث
ستكون الكنيسة، وهي جماعة المؤمنين، مُزَيَّنَةٌ كعروسٍ تُقدِّم
لعريسها، وكلُّ المؤمنين فيها أعضاءٌ مُكْرَّمَةٌ في جسد المسيح
المُسْتَعْلَن في مجده، ونحن فيه مَخْفِيْنَ، والكل ينطق بضم واحد
بالمجد لله.

ولا يعود لنا حزن ولا بكاء ولا تنهّد، بل ننعم بنور المسيح
والقديسين في ابتهاجٍ دائم وفرح لا ينقطع، لهذا كان استعلان
القديس بطرس تعبيراً عن مدى السعادة التي ستَعْمُرنا هناك عوضَ
ضيق هذا الزمان وآلام هذا الدهر وأيامه القليلة والردية.

ونحن لا نسعى من جهتنا أن ندخل ملكوت ربنا^٣، بل إنه من فضل الله وغناه في المجد، سيقدم لنا الدخول، وكأن الآب يقدم لنا بيته، كمن هو يحيينا، ماسحاً عن أعيننا كل دَمْعَة، ويلبسنا أكاليل باعتبارنا أننا كهنة وملوك لله الحي. أمور لا يليق أن نتكلم عنها ونحن في ذلة هذا الزمان، مُتسرِّلين بجسدنا العتيق، ونستحي أن ننظر إلى فوق، من صغر أنفسنا بسبب خطايانا السالفة التي صنعناها في جهلنا وعدم معرفتنا، ولكن نشكر الله أننا اغتسلنا وتقدسنا، وتبررنا بدم المسيح وبروح إلهنا، فأصبحنا مُعَدِّين للدخول إلى الأقداس العليا وعلينا دم المسيح، وتأهلنا للحياة الأبدية عن سِعة.

وفي هذا يقدم لنا بطرس الرسول آيته الذهبية العظمى: «لذلك بالأكثر اجتهدوا أيها الإخوة أن تجعلوا دعوتكم واختياركم ثابتين، لأنكم إذا فعلتم ذلك لن تزلوا أبداً»^٥.

٢ يوليو ٢٠٠٥

^٣ انظر رو ٩: ١٦، ٣٠.

^٤ انظر ١ كور ٦: ١١.

^٥ بط ١: ١٠.

«لا تخرج كلمة رديّة من أفواهكم، بل كلّ ما كان صالحاً
للبنيان، حسب الحاجة، كي يعطي نعمة للسامعين، ولا
تُخزنوا روح الله القدوس الذي به خُتِمتم ليوم الفداء»

رسالة أفسس ٤ : ٢٩، ٣٠

هنا مراجعة من الله لأولاده في الإيمان، لأن الإنسان العتيق لا
يزال يعمل بالرغم من أنه تقيّد. فهنا رجّة قوية من الله على
الذين اختارهم وصاروا من المؤمنين به. فهو يُعيد عليهم منهجهم
الجديد الموضوع لهم بحكمة الروح القدس، لأن ما يتكلم به
الإنسان إما يُحسب له أو يُحسب عليه. فالذي لم يُلجم لسانه،
بعد، من أن ينطق كلمة رديّة، هذا لا يزال تحت الملاحظة. وهنا
يتقدم بولس الرسول، كمُرَبّي الأجيال، ويأخذ على كل إنسان
إن هو تفوّه بكلمة تخرج عن منهج القداسة وأمانة الصليب،
فُيردّع في الحال.

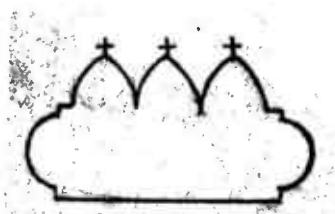
إذ المتوقّع أنه إذا اجتمع الإخوة معاً، تبدأ في الحال العشرات.
لأن الذي لم يُكَمّل بعد شريكته في المسيح، يعود دون أن يدري

إلى أزمئة الجهل ويتكلم كلاماً غير منضبط بالروح القدس. ومعلوم أن الروح القدس حسّاس جداً، يحاسب الإنسان المخلص على كل جنوح ناحية الانحلال والكلام الباطل. وهنا القديس بولس يقطع في الأمر قطعاً كمُعَلِّمٍ مُحَنِّكٍ، فأعطى الأمر الواجب التنفيذ في الحال: أن لا تخرج كلمة ردية من فم إنسان مؤمن بالمسيح مدعو للخلاص. ويفترض بولس الرسول أن الأمر هنا خطير، إذ يَلَزَمُ للمتكلم أن يكون قد تعلّم الصلاح وتكلّم به، وهكذا يتكلم كما يعطيه الروح أن يَنْطِقَ به، في نظام وترتيب يليق ببنيان النفس، وفي ذات الوقت فحين يسمعه المؤمنون يروّون أن كلامه فعلاً نافعٌ لبنائهم.

والأمر الخطير هنا هو أن الروح القدس موجود، فإذا رأى أن الكلام يُطابق طَلَبَاتِ الروح القدس، يَخْتِمُ ختم الخلاص باستحقاق؛ أما إذا كان كلامٌ هَزَلٍ وانحلال، فإن الروح القدس يحزن ولا يعود يعمل. وهكذا فنحن مسؤولون عن إحزان الروح القدس أو تلهيله. والأمر واضح غاية الوضوح، فإذا شعر المؤمن بأن الروح انطفأ فعلاً وما عاد يعطي المشورة والنعمة، فعلى الإنسان أن يحاسب نفسه، ويقدّم الاعتذار الشديد، لأن الروح ليس بسهولة يمكنه أن يعمل، إلّا إذا تأكد أن الوَسْطَ صار مُطابِقاً

٥٠٠
أما انتظار يوم الفداء الذي يُستعلن فيه الروح القدس، فهو يوم
لمهور الرب، حيث سيظهر المختومون أيضاً معه في المجد^١.
فالمطلوب في كنيسة الله التي وُهبَت عمل الروح القدس،
دخول المخلصون فيها عن سعة، أن يكون الروح ساهراً على
كل نفس ألا تظهرَ وألاً تتكلمَ إلا بإرشاد الروح، كخليقة
حديدة، حتى لا تخرج قط عن منهج الروح المُعطى لها كخليقة
حديدة؛ وهكذا يصير البنيان: واحدٌ يتدبّر، والآخر يُكمل.

٣ يوليو ٢٠٠٥



^١ انظر كو ٣: ٤.

«خلعتم الإنسان العتيق مع أعماله،
ولبستم الجديد الذي يتجدد للمعرفة حسب صورة خالقه»

رسالة كولوسي ٣ : ٩، ١٠

هنا إشارة واضحة لما يتم في المعمودية المقدسة بواسطة الروح القدس. والأمر هنا يتعلّق بالإنسان العتيق مع أعماله، بمعنى الحياة قبل معرفة ربنا يسوع المسيح حينما كان الإنسان يتصرف في العالم بلا وعي ولا خوف من عقاب الله، وكأنه ليس يوجد دينونة، الأمر الذي يمارسه كثرة من الناس الآن بلا حياء ولا اعتبار أنهم يتحدثون الله والكنيسة.

ومعروف أن أعمال الإنسان محسوبة عليه، وسوف يعطي حساباً عنها يوماً ما^١. من هنا تنبهي أعمال المبشرين والرعاة وخدام الكلمة الذين يرسلهم الروح القدس، مؤيدين بنعمة الله، حتى يردّوا الكثيرين من أعمال الظلمة غير المثمرة إلى نور معرفة

^١ انظر رو ١٤ : ١٠-١٢

المسيح القادر أن يخلصهم إلى التمام، إن هم أطاعوا الحق وقدموا الندم والتوبة إلى الله.

وفي المعمودية المقدسة، وبعد أن يعتمد الإنسان المؤمن والمطيع للحق، يخرج مؤيداً من الروح القدس لمباشرة أعمال الخلاص والعودة إلى طريق الحق. وهذا هو الإنسان الجديد الذي تجدد بروح الله «لأعمال صالحة قد سبق الله وأعدّها (لنا نحن مختاريه) لكي نسلك فيها»^٢.

وخَلَعَ الإنسان العتيق ولبس الإنسان الجديد هو تصوير روحي لما يتم حقاً في الخفاء؛ حينما يحتضن الملاك المعين الإنسان الجديد ليرشده ويُعرِّفه طريق الحق والخلاص، إن كان مُطيعاً وواعياً لخلاصه. والإنسان الجديد الذي يتلمذ لروح الحق ينير ذهنه بالمعرفة، ليرتقي بهذه المعرفة من درجة إلى درجة في السلوك المؤدي للحياة الأبدية.

كما يرتقي ذهن الإنسان الجديد في وعي الحق، واستعلان المعرفة بالله والمسيح، لينال الاستنارة التي تحفظه من العالم وشهواته وغروره، وتمسك بيده روحياً، وترتقي به درجة درجة

في المعرفة المؤدية إلى الحياة الأبدية، التي يقدمها روح الله للإنسان المتجدد ذهنياً، حيث تسلمه كلمة الله الحية في الإنجيل، لتكشف له أسرار الله في الإنجيل، ليمتلئ بها ملئاً إلهياً واعياً؛ فيصير مقرباً من الله، تُعينه الملائكة في طريق الحق حتى لا يزل، بل يصير مُعاناً بروح الله القدوس ليرتقي في طريق الخلاص من مجد إلى مجد، يرشده نور الحق لكل ما هو طاهر وقدس^٣.

وهكذا حينما يسلم الإنسان الجديد نفسه لإرشاد روح الله، لا يعود شيء مما في العالم يُغيره للعودة إلى القديم. وهكذا يصبح الإنسان الجديد المتجدد بالمعرفة، حسب نور الحق واستعلان مجد المسيح المعدّ لمختاريه، مُهيئاً للدخول في شركة القديسين في النور والمُعَدِّين لميراث الابن الوحيد في المجد، عن حق المسيح واستحقاق عمل النعمة، كما يقدم الله له الدخول إلى ملكوته الأبدي عن سعة.

وهكذا نرى أن إجراء المعمودية بحسب الشكل بالتغطيس ودهن الزيت، يحوي في مضمونه واستلانه الإلهي خطوات انتقال حياة الإنسان من القديم إلى الجديد، وتهية النفس لقبول

شركة المسيح بالتناول من الأسرار الإلهية، فتكون المعمودية
المقدسة هي الإجراء العملي لشرح سرّ الإنسان الجديد وسرّ
الحياة الأبدية.

٣ يوليو ٢٠٠٥



«منتظرين وطالين سرعة مجيء يوم الرب»

رسالة بطرس الثانية ٣: ١٢

حينما نستبطن هذه الآية ونتعمَّقها لاهوتياً على مستوى خلاصنا، نجد أن هذه الآية ليست مصوِّبة نحو المسيح بل مصوِّبة ناحية الإنسان الذي يعيش حياته في شركة المسيح الحقيقية.

فالذي ينتظر الرب حقاً ويطلب مجيئه سريعاً، إنما هو الإنسان الذي هو في حال انتظار حقيقي وحال الاستعداد لمجيئه. لذلك نرى أن هذه الآية مصوِّبة ناحية الإنسان الذي يعيش حقاً طالباً الرب، ويجد في هذه الآية الحماس الكافي ليكون على استعداد حقيقي لمجيء الرب. ولو حصرنّا عدد الذين هم على استعداد لانتظار الرب وسرعة مجيئه، لوجدنا أنها نسبة ضئيلة جداً، والكل يتمنى في ضميره يا حبذا لو تأخر المسيح قليلاً حتى يُصلح من حاله ويكون على مستوى مجيئه!

إذن، نخلص من هذه الآية أنها تخصُّنا نحن لنكون الآن على مستوى انتظاره، فنستعد في ضمائرنا وقلوبنا أن نواجهه. لأن

تظار الرب مهولٌ هو، ومجيئه يحتاج جداً إلى قلوب مستعدة،
ذلك يقول الكتاب إنه يلزمنا السهر والصلاة الدائمة، حتى إذا
مهرنا أو نمنا نكون في حال استعداد لمجيء الرب^١.

والحقيقة أن هذه الآية كاشفة لحال الإنسان وليس لحال
لسيح، لأن المسيح هو على استعداد دائم أن يأتي ويكمل أعماله
فدائية. فنحن نتظر، كما يقول الكتاب، يوم الفداء العظيم
الذي سيُحرَّر أجسادنا نهائياً من رِبْقَة هذا العالم، ويُسيَّج حولنا
سياج مجده، لنكونَ دائماً معه، نسير معه أينما سار، لأننا
سنكون فيه بحال ما، وهو سيكون فينا أيضاً، فالشركة التي
سنالها فوق هي شركة حضور دائم أمام الله في المجد، لأننا، كما
قول الكتاب، «نحن عَمَلُهُ»^٢. فسنبقى دائماً شهوداً لعمله الإلهي
الذي أكمله على الأرض، ونكون منظرًا وآية للملائكة وكل
قوات السمائية، التي كان مُخْفَى عنها أعمال الفداء التي أكملها
لسيح على الأرض، وبالأخص عملية الفداء بالصليب والقبر
القيامة، وهي الأمور المخفية عن الملائكة لعدم اختبار طبيعتهم
لموت والقيامة.

١ أنظر مت ٢٥ : ١٣؛ لو ١٢ : ٣٦-٣٨

٢ أف ٢ : ١٠

لذلك كانت سرعة مجيء المسيح، وصدّق طلبنا أن يجيء إلينا مُستعلنًا ذاته؛ هي من نصيبنا العملي، كما أنها ستكون موضع معرفة لكل الكيانات السماوية التي لا تعرف الموت، وبالتالي لا تعرف الفداء.

علمًا بأن سرعة مجيء الرب مرتبطة بانتهاء الشهادة للمسيح، وقبول الناس ابن الله في موته وقيامته، لينتهي العالم ويَطْلُ الزمان، وتُلغى الخطية من قلوب الناس، وينتهي عهد الشيطان وكل أعوانه، وحينئذ تظهر السماء الجديدة والأرض الجديدة التي سيسكن فيها البر.

فعلينا، أيها الإخوة، أن نمدَّ صلواتنا وسهراتنا، ونُركِّز على أنفسنا أن نكون باستعداد ظهور الرب وسرعة مجيئه، لنجد راحتنا العليا التي من أجلها نثنُّ بسبب طول الزمان الذي أمضيناه في العالم مترجّين يوم الفكّك باستعلان الرب يسوع في السماء مع ملائكته القديسين، وأرواح الأبرار المكملين في المجد.

٣ يوليو ٢٠٠٥

«وتعرفوا محبة المسيح الفائقة المعرفة لكي تمتثلوا إلى كل
ملء الله»

رسالة أفسس ٣ : ١٩

محبة المسيح محبتان: الأولى، محبة الآب له، محبته للآب. وهذه هي المحبة الإلهية العظمى. وهي ليست فقط فائقة المعرفة، ولكن يستحيل سَبْرُ غَوْرَها. فاللاهوت يخرج عن دائرة فهم الإنسان وحتى عن استعلانِه. والمحبة الثانية، وهي محبة المسيح للخطاة، هي أيضاً تفوق المعرفة جداً، لأنه أن يحب المسيح الإنسان كبشر شيء، ولكن أن يحب الخطاة والمرذولين من البشر فهذا يفوق كل عقل. لأنه، كما قال المسيح، أن يُحَبَّ الإنسان البار أمر معقول، ولكن أن يُحَبَّ الخاطئ والزاني والمجذَّب والمستبيح فهذا أمر يفوق العقول، لأن طبيعة الحب المعروفة لدينا أنه يُرَدُّ عليه بالحب، وإلا توقف واستحال.

١ أنظر مت ٤٦:٥-٤٧؛ رو ٧:٥.

ولكن الذي عمله المسيح شيء لم يحدث قط، بل ولا يمكن أن يُعرف، فهو فائق المعرفة. ولكن هذا حدث بالفعل. ولكي يتصور القارئ العزيز علوّ وعمق واستحالة حبّ الخطاة، فلينظر ما فعله المسيح في جثسيماني إذ صُلّي كثيراً بسجود ودموع وأثات وتضرعات، بل وبصراخ إلى الآب أن يجيز عنه هذه الكأس. وهذه الكأس ليست كما يتصور بعض الآباء أنها كأس ألم الموت، فهذا يخالف عملية التجسّد جملة وتفصيلاً، إذ أن المسيح تجسّد لكي يموت، فهو لا يمكن أن يستعفي من الموت، بل إنه احتمل الصّلب من أجل السرور الموضوع أمامه، أي خلاص الإنسان من رُعب الموت وسيادة الخطية والشیطان.

ولكن الذي أرعبَ المسيح ساعة قُرب الصليب، هو أنه سيُحسب أنه مخالفٌ للآب ومجذّف على الله وأنه زان وشرير وفاعل خطية، بينما هو في واقع الحال قدوسٌ، وبلا عيب ولا شر، ولا وُجد في فمه غش^٢، وقد أحبّ الآب، ويستحيل أن يتراجع عن حب الآب ويُحسب عدواً له، كما صورّه رؤساء الكهنة وقُدّم للموت صليلاً بناءً على أنه رجل خاطئ وشرير

مُجَدِّفٌ وطالِبُ الْمُلْكِ. لهذا ولهذا فقط طلب من أبيه بلجاجة
 وانحصار شديد وملامة ضمير أن يعفيه من أن يكون مجدِّفاً على
 الآب ومعتبراً عدواً لله، وكرر الطلب بدموع وسجود متواصل
 أن يعبر عنه الآب هذه الكأس. ولكن الذي أراح ضميره أنه
 عرف أن هذه هي إرادة الآب، وأنه هو - أي الآب - يعلم تماماً
 ما هو الصليب، وما هو عاره، وموقف المسيح كابن، وموقف
 لله كآب. فقال قولته المشهورة «ولكن لتكن لا إرادتي بل
 إرادتك»!!^٣

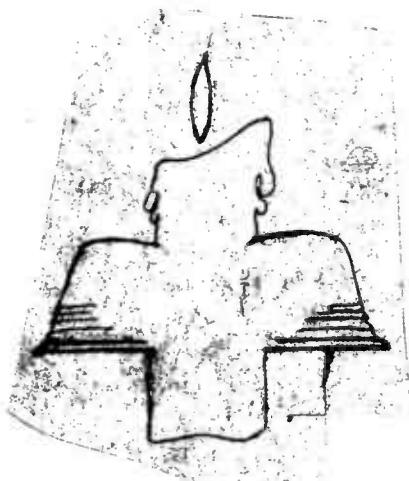
وهنا في رسالة بولس الرسول إلى أفسس، يُطالبنا بولس
 الرسول أن نعرف محبة المسيح الفائقة المعرفة، حتى إذا عرفنا محبة
 المسيح للآب بالرغم من أنه صُلب كمجدِّف، حينئذ وحينئذ
 فقط نبلغ إلى قامته ملء الله.

وما هي قامته ملء الله؟ هي معرفة حدود الآب والابن في الله،
 لأن ملء الله هو الآب والابن في أقصى وأعظم حدودهما لأنهما
 واحد.

وقول بولس الرسول أن نمتلئ نحن أيضاً بملء الله يعني أن

ندرك كل عمل الآب الذي تجلّى في العهد القديم وكل عمل الابن الذي تجلّى في العهد الجديد. أي أن كل ملء الله هو الإنجيل والتوراه معاً، لا كاختصاص لكل من الآب والابن، بل هو استعلان عمل الآب والابن في الله، هذا يفيد أن الكتاب المقدس بعهديه هو استعلان الله!

٤ يوليو ٢٠٠٥



الفصل الثاني

«لأني لست أستحي بإنجيل المسيح، لأنه قوة الله للخلاص لكل من يؤمن»

رسالة رومية ١ : ١٦

الإنجيل للكارز هو كلمة الله التي، في قوتها، يكون فعلها في العالم كالسيف ذي الحدّين، أي أنها تحترق قوة المعاند والرافض كما يحترق السيف الجسم فيفصل بين لحمه وعظامه. ولكن سيف الكلمة حيٌّ قادرٌ أن يفصل بين النفس والجسد، بمعنى أنها - أي كلمة الله - تميّز بين ما هو للجسد وبين ما هو للروح^١. وهكذا يكون فعلها هو التمييز بين ما هو للحق وبين ما هو للباطل، أو بين ما هو لله وبين ما هو للأرض. لذلك يُحسب إنجيل المسيح قوة جديدة دخلت عالم الإنسان لحساب الله الذي لم يكن معروفاً سابقاً، حيث المعرفة هنا ليست معرفة فكرية ترابية، بل معرفة الاستعلان، حيث يُفصل حق الله من بين أباطيل العالم. وهنا يدخل المسيح عالم الإنسان الروحي ليقوده إلى الخلاص الذي أعدّه الله لمختاريه الذين يؤمنون بالمسيح، وهكذا

١ أنظر عب ٤ : ١٢.

يقدم الله للإنسان حياة جديدة بالروح ترفعه من عالم الأباطيل إلى قمة المجد في السماء بواسطة يسوع المسيح الذي غلب لنا العالم^٢ وسَلَّمه للإنسان الجديد عالماً مغلوباً. وهكذا فتح المسيح لنا طريق الحياة الأبدية بواسطة صليبه، الذي بموته عليه حُسِب للإنسان أنه بَلَغ به أيضاً الموت عن العالم، وبالقيامة من الموت أنه دخولٌ إلى الحياة الأبدية. وكأن الجسد، جسد المسيح، هو الطريق الحيُّ الحديث الذي عَبرَه الإنسان فدخل الأقداس العليا^٣. هذا هو مُجْمَل الخلاص الذي دخل عالم الإنسان، لِيُعْطِي الإنسان ميلاداً جديداً بالروح، إن هو آمَن بالمسيح، وبالموت الذي قَبِلَه على الصليب، وبالقيامة التي أقامتنا معه للحياة الأبدية. أما الموت الذي وُهب لنا بموت المسيح فهو موتٌ عن العالم ونُصرة فوق الشيطان الذي ظَفَرَ به المسيح على الصليب مع كل أعوانه، كما أنه حُسِب بالدرجة الأولى أنه موت عن الخطية، فالمسيح أبطل الخطية وسلطانها وأُناَر الحياة الجديدة والخلوده،

٢ أنظر يو ١٦ : ٣٣.

٣ أنظر عب ١٠ : ٢٠.

٤ أنظر كو ٢ : ١٤، ١٥.

٥ أنظر ٢ تي ١ : ١٠.

كفي لا نعود نُستعبد لها بعد، إن أسلمنا المشيئة والإرادة للمسيح.
 بَأْن الكتاب يقول: «لأن الله هو العامل فيكم أن تريدوا وأن
 تعملوا»^٦. بمعنى أن استعداد المسيح لمعونة الخاطئ، هو لكفي
 يرجع عن الخطيئة ويتمسك بالحياة مع الله. وهنا يقدم بولس
 لرسول لابنه تيموثاوس النصيحة الذهبية: «أمسك بالحياة
 لأبدية»^٧، بمعنى أن يتمسك بالتقوى والطهارة والعفة، رافضاً
 كل شهوات الجسد والعالم؛ وفي المقابل يسعى للجهاد الروحي
 وإبطال شهوات الجسد والعالم، فيعطينا الله الدخول إلى ملكوت
 ابن محبته عن سعة^٨! الذي يُترجّم لنا الآن بالمساهلة وبالنعمة التي
 يفيضها المسيح على الذين يتمسكون بالتقوى وطهارة الجسد
 والسعي بالروح برجاء حيٍّ في برّ المسيح.

فنحن الآن، وفي المسيح، لا نجاهد وحدنا، بل عينُ الله مفتوحة
 على أولاده السائرين في طريق الحياة الأبدية المملوء بالمعائر
 ومقاومة الشيطان، ولكن في هذا كله نحن أعظم من مُتصرين

^٦ في ٢: ١٣.

^٧ ١ تي ٦: ١٢.

^٨ أنظر كرو ١: ١٣؛ ٢ بط ١: ١١.

بالذي أحببنا وأسلم ذاته من أجلنا^٩. فذبيحة المسيح حيّة بدمها أمام الله أبيه تتشفّع في الخاطئ الذي مات المسيح ليفتديه. فالصليب هو دعوة صارخة في أذن الخاطئ: أن تَمُنَ الخطيئة باهظ جداً، وقد دفعه المسيح بدمه، ولا يوجد من يُعيق سبيلنا إليه.

صلاة

يا رب، أنت فخري، وإنجيلك هو مجدي ورافع رأسي،
إلى مَنْ نذهب وكلام الحياة الأبدية هو كلامك،
أحببتك، يا ربي، لأنك خلاصي وقوتي،
وكلماتك الحيّة تُحييني وتسند حياتي،
إنجيلك حلّو هو، أشهى من أطيب هذا العالم الزائلة،
أقنيتيه كأعظم قنيّة، وأحفظه في قلبي كأعظم هدية.

٦ يوليو ٢٠٠٥

^٩ أنظر رو ٨ : ٣٧؛ غل ٢ : ٢٠.

«متبرّرين مجاناً بنعمته، بالفداء الذي بيسوع المسيح، الذي قدّمه الله كفّارة بالإيمان بدمه، لإظهار برّه من أجل الصفح عن الخطايا السالفة بامهال الله»

رسالة رومية ٣ : ٢٤، ٢٥

كان البرُّ بالناموس يتوقف على مقدار العمل الذي يجاهد به الإنسان بالجسد، وبدون العمل بالناموس كان لا يمكن أن يُحسب الإنسان أنه يؤمن بالله. وكما يقول القديس يعقوب الرسول، إنَّ كلَّ مَنْ أخطأ في واحدة من أعمال الناموس، يُحسب أنه أخطأ في كل الناموس^١. لذلك كان ثقل العمل بالناموس يفوق قدرة الإنسان، فكان يُحسب أنه لم يكن يوجد بارٌّ في العهد القديم: «ليس بار ولا واحد»^٢، وكما يقول بولس الرسول: «لأن الله أغلق على الجميع معاً في العصيان»^٣. وهكذا

١ أنظر يوحنا ٢ : ١٠.

٢ روم ٣ : ١٠.

٣ روم ١١ : ٣٢.

كان باب الخلاص مُقْفَلًا في وجه الإنسان.

لذلك كان مجيء المسيح وقيامه بعملية الفداء بدمه على الصليب بمثابة فتح باب الخلاص مجاناً، وهكذا تَوَقَّفَ العمل بالناموس بل وأُلْغِيَ إلغاءً. وَعَوِضَ أعمال الناموس حُلَّتْ على كل إنسان يؤمن بموت المسيح وقيامته، نعمة الله.

ذلك لأن الكفارة بدم المسيح رَفَعَتْ عن الإنسان كلَّ خطاياه مرة واحدة، فلم يَعُدْ يُحَسَبُ على الإنسان أنه مُطَالَبٌ بالجهد ضد الخطية، لأن دم ذبيحة المسيح الكفارية شَمَلَتْ الإنسان؛ وبهذا الدم اعتُبرَ الذي يؤمن به أنه بارٌّ وذلك بدون جهد أو عمل، لأنه لم يَصِرْ باراً بنفسه بل باراً بالمسيح وفي المسيح، وبعد أن كان البارُّ بالناموس يبلغ ذلك بعد جهد جهيد ويعمل كل الناموس، صار الإنسان الذي يؤمن بالمسيح حاصلاً على برِّ المسيح محسوباً أمام الله أنه قديس وبلا ملامة وقد مُسَحَتْ كل خطاياه السالفة التي صنعها بجهل وعدم معرفة. وهكذا يظهر الله كمنعم، طويل الروح، متمهلاً على الخاطئ حتى ينال خلاصه ببرِّ ابنه الوحيد يسوع المسيح، وذلك بالإيمان بدمه الذي يؤهِّله، حسب فعل نعمة الله، أن يكون شريكاً في موت المسيح وقيامته. لأن شركة المسيح بالإيمان تؤهِّلنا لميراثه في المجد.

هذه النعمة الفائقة مطلوب منا أن نقبلها بالإيمان حينما ترتفع قلوبنا لاستعلان غنى المسيح. وغنى المسيح ليس غريباً عنا بعد، بل هو ممنوح للقلوب المفتوحة لعمل المسيح. ويلزم أن نذكر القارئ بقول المسيح نفسه: «هانذا واقف على الباب وأقرع، إن سمع أحد صوتي وفتح الباب، أدخل إليه وأتعشى معه وهو معي»^٤. إذن، أصبح الهمُّ الأكبر هو هُنا أن نسمع صوت المسيح وهو يقرع قلوبنا، فلم تُعدْ حجة للإنسان اللاهي عن خلاصه، فالمسيح مستعد دائماً أن يسمع ويستجيب كما يقول الوحي في العهد القديم: «الرب معكم ما كنتم معه، وإن طلبتموه يوجد لكم، وإن تركتموه يترككم»^٥. وكما يقول الوحي أيضاً في العهد الجديد: «هوذا الآن وقت مقبول. هوذا الآن يوم خلاص»^٦. فلعله يكون أيضاً وقتك، يا عزيزي القارئ، ويوم خلاصك. فلا تجعل الوقت يُحسبُ عليك بدل أن يُحسب لك، ويفرُّ الخلاص من تحت رجلك، فالرب يناديك: «تعالوا إلي يا

٤ رؤ ٣: ٢٠.

٥ أي ٢: ١٥.

٦ ٢ كو ٦: ٢.

جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أُرِيحُكُمْ»^٧.

صلاة

ليس لي برِّي، يا رب، فأنت برِّي وفخر حياتي،
تنضح عليّ بدمك فأطهر، وتختفي عنك ذنوبي،
كفرتَ عن خطيئتي بدمك، وفديتني بصليبك،
فماذا أعطيك، يا ربي، فها نفسي خذها وقدّسها لحسابك،
وروحى أضعها بين يديك تنتظر يوم ظهورك لأظهر معك،
آمنتُ بك يا ربي، فاجعلني أسيرَ حُبِّك،
ليس لي في العالم ما أشتهيه، فأنت شهوة قلبي.

٦ يوليو ٢٠٠٥

«فإذ قد تبرّرنا بالإيمان لنا سلام مع الله بربنا يسوع المسيح،
الذي به أيضاً قد صار لنا الدخول بالإيمان إلى هذه النعمة
التي نحن فيها مقيمون، ونفتخر على رجاء مجد الله»

رسالة رومية ٥ : ١، ٢

كان آدم وبنوه قد فقدوا السلام مع الله، وطُرد آدم من
لفردوس، وورث أولاده أجمعين لعنة الأرض؛ حتى وُلد المسيح
في بيت لحم، حيث ظهرت جنود الملائكة في السماء تبشّر
لرعاة، وبالبحري بني آدم أجمعين، بأنه صار بميلاد المسيح سلامٌ
مع الله، هاتفين: «المجد لله في الأعالي، وعلى الأرض السلام،
بالناس المسرة»^١.

وهكذا دخل الإنسان بميلاد المسيح إلى السلام مع الله، بل
بميلاده، أي دخول المسيح إلى العالم، انفتحت لنا أبواب
لسماء، وانسكبت النعمة على المؤمنين بالمسيح؛ فصار المؤمنون

^١ الرو ٢ : ١٤.

بالمسيح يعيشون بل ويقىمون إقامة دائمة روحية في هذه النعمة، إلى درجة أن الإنسان الذي كان في عداوة مع الله صار أهلاً لرجاء حيٍّ في الله، صارخاً مع الملائكة: «المجد لله في الأعالي». بل وبسبب دخول المسيح إلى العالم انفتح لنا باب الرجاء الحيّ بالدخول إلى الأبعاد السماوية، فصار هذا فخراً للمؤمنين بالمسيح. وبهذه الآية الفريدة في غزارتها نجد أربعة أبعاد سماوية حلّت على الإنسان: البر بالإيمان، والسلام مع الله، ودخول مُقيم في النعمة، وافتخار على رجاء المجد!!!

ونحن نتعجب على عمق الاستعلان الذي دخل فيه بولس الرسول وهو يتكلم بعمق لا يُجَارَى عن الأمور التي صارت لنا بميلاد ابن الله حسب قصد وتدبير الله منذ الأزل، فما يراه بولس كأنه حاضر أمامه هو من تدبير الله في الأزلية الذي أُخفي عن كل الكيانات السماوية وعن كل الأنبياء والآباء.

ونحن مُطالبون أن ننتبه لاستعلان بولس الرسول لمدى الإيمان، والخلاص، والتبرير، والسلام الدائم مع الله، والدخول في نعمة الله ودوام الإقامة فيها، وكأنها النور الجديد الذي انبثق من المسيح ليغطي المسكونة كلها، حتى يتهلل الإنسان الذي كان أسيراً للعدو فصار يفتخر بمجد الله على الحرية التي حرّرنا بها المسيح.

وهكذا صيرنا خليقة جديدة تنتمي إلى السماء، بعد أن كنا من تراب الأرض مُذَلِّين تحت رئيس هذا العالم الشرير.

وهكذا نعود ونُوعِّي القارئ أن لا يأخذ هذا الكلام مأخذ الخفة كأنه مجرد كلام، فيكفي أن نقول إن ميلاد المسيح هزَّ السماء هزّاً، وظهرت أجناد السماء علانية لأول مرة في الوجود لتعطي المجد لله بسبب ميلاد الابن القدوس، ولتَهَبَ الأرض سلام السماء الذي انحجب عن الإنسان منذ الدهر، ولتعطي الإنسان ملء السرور بعد حُزنه منذ الدهر.

هكذا أعطت السماء وجند السماء نُوبَتهم الإلهية، مفتحين سفر العهد الجديد بأبواق الهتاف والتهليل، فصارت قصة الإنسان تابعة للسماء بعد أن كانت تابعة لتراب الأرض.

بَقِيَ لنا أن ننصت لتوعية بولس الرسول، أننا الآن نحن نقيم في نعمة الله المنسكبة على المسيح!

فيا أولاد النعمة، اعتبروا كثيراً ما صار إليكم مجاناً بإيمان مخلصنا يسوع المسيح، لتنسكب هكذا النعمة بصورة دائمة، حتى أننا نُحَسِّب أننا فيها مقيمون، كما يقيم الملك في قصره، فلو رفعنا القصر عن الملك لصار كواحد من الرعية. نعم يلزمنا، أيها القارئ، أن نتأمل ونتحسس ونستند على هذه النعمة الموهوبة لنا

كرداء. فنحن كما لبسنا المسيح، ارتدينا النعمة، وهكذا صار
الإنسان مخلوقاً جديداً سماوياً يطلب وطنه السمائي.

صلاة

لنا ثقة بالدخول إلى الأقداس بدم يسوع،
وقد انفتح لنا طريق الحياة بتقديم جسد المسيح إلى الموت ثم
القيامة،

ووهبنا المسيح ما عمله على الصليب ليحسب لنا،
فأصبح الصليب رمز المصالحة العظمى التي قدّمها المسيح
لحسابنا،

فدخل الإنسان السماء مبرراً بفداء الدم الذي سيُستعلن يوم
الفداء،

فنحن نعيش الآن، يا رب، برجائنا الحيّ فيك،
وإن ضعف إيماننا، فرجاؤنا حيّ أن تُكَمِّلَ فينا عمل صليبك،
لأننا حتماً بالصليب سننال التبني، لنكَمِّلَ فداء الجسد.

٧ يوليو ٢٠٠٥

«قَدِّمُوا ذَوَاتِكُمْ لِلَّهِ كَأَحْيَاءٍ مِنَ الْأَمْوَاتِ، وَأَعْضَاءَ كَمِ آلَاتِ
بِرِّ اللَّهِ، فَإِنَّ الْخَطِيئَةَ لَنْ تَسُودَ كُمْ، لِأَنَّكُمْ لَسْتُمْ تَحْتَ النَّامُوسِ
بَلْ تَحْتَ النِّعْمَةِ»

رسالة رومية ٦: ١٣، ١٤

نحن شركاء موت وقيامة مع المسيح، لذلك نُعتبر كأحياء قاموا
من الموت. وبالتالي، فإن أعضاءنا التي هي أعضاء جسد المسيح
وقد شملها ببرّه، صارت أعضاءً لله تصنع مشيئة الله وتخدمه. فمن
العار كل العار أن نأخذ أعضاء المسيح ونُخضعها للخطية، مع أن
الخطية حُسبت أنها ماتت مع الجسد العتيق، وأصبحنا نعيش في
عهد النعمة وليس عهد الناموس، فالخطية أُخضعتُ بالصليب،
وصارت غريبة على الإنسان الذي قام من الموت وصار حيًّا
بالمسيح.

لذلك ونحن أحياء بالمسيح وأعضاؤنا حُسبت أعضاءً للمسيح،
صرنا مطالبين من الله أن نقَدِّم أعضاءنا التي صارت هي نفسها
أعضاء المسيح مُهيأة أن تخدم بِرَّ الله.

بمعنى أن يعيش الإنسان بالتقوى، حاسباً نفسه أنه لا يعيش لنفسه بعد، بل يعيش لله شاهداً لنعمته وفاعلاً لإرادته، حاسباً أنه مات عن الخطية وصار يحيا لرب الله. فالخطية أخضعت تحت رجلي المسيح، وهكذا وطأتهما أقدامنا، وتلاشى الناموس الذي أوجدَ الخطية، وحلت النعمة عوضَ الخطية. فنحن أولاد نعمة الله، وصار الله هو العامل فينا إن شئنا وإن عملنا. وهكذا حوِّطَ الله أولاده بالكلمة الحية المحيية أي الإنجيل، وبالنعمة التي يسكبها علينا من فوق. وأصبح السلوك في طريق الخلاص هو نفسه السلوك في طريق المسيح المؤدي إلى السماء والمجد العتيد.

فأصبح حال الخاطئ كمثل مُتغَرَّب عن بيته الحقيقي وليس له في الدنيا مكان راحة. وصار حاله كحال الابن الضال الذي لما ضيِّقَت عليه الغربة قال: «أقوم وأذهب إلى أبي»^٢.

فالمسيح قال قصة الابن الضال، مُوجِّهاً الكلام لكل إنسان ترك طريق الحق والخلاص وذهب مع زمرة الخطاة يلهو مع اللاهين، في حين أن عين الآب السماوي لن تفارقه حتى يتوب ويقوم

١ أنظر في ٢: ١٣.

٢ لو ١٥: ١٨.

ويذهب إلى بيت أبيه.

والحقيقة أن المسيح لا يزال من فوق صليبه يدعو الخطاة إلى التوبة، فهو مات من أجل الخاطئ، أي أن الخطاة هم موضوع عمل المسيح الأساسي، ومَقْصِد الصليب الوحيد. فلا يستهنُ الخاطئ بحياته، لأن المسيح ثَمَّنَ حياة الخاطئ بدمه، ومن أجل الخاطئ فرَّط الآب بانه لكي يتجسد، ليموت ويُصلب لينقذ حياة الخاطئ من براثن العدو ومن ظلمة الموت. والرب يدعو كل المتعبين في هذه الحياة الذين ثقلت عليهم الدنيا لكي يأتوا إليه ليريحهم من جذب هذا العالم وهمومه^٣.

فالآب يدعو من السماء، والابن يدعو من على الصليب، حتى يتنبه الإنسان من غرور الدنيا وخداع الحيَّة ويأتي إلى الله معترفاً بخطاياها، ليفرِّح قلب الآب ويُلبسه ثوب الخلاص، ويضمّه إلى زمرة القديسين، فينتقل من الظلمة إلى النور، فيصير واحداً من المختارين بعد أن كان محسوباً من المرفوضين.

فالوقت، أيها الحبيب، هو وقت مقبول واليوم يوم خلاص^٤.

٣ أنظر مت ١١ : ٢٨، ٢٩.

٤ أنظر ٢ كو ٦ : ٢.

فلا تَوَجَّلْ الدعوة لئلا يفوتك القطار ويكون الندم، قُمْ عاجلاً
واذهب إلى أبيك لأنه في انتظارك وقد أعدَّ لك ثوب البر وخاتم
الخلاص.

صلاة

جئتُ إليك، يا ربي، من تيه أيامي، فأقبلني عندك،
أضَعْتُ أيامي في اللهو والعَبَث، وازدادت همومي،
فيا رجاء حياتي، لا تتغاضَ عني، فإني أُحِبُّكَ وقد أتيتُ إليك،
ليس لي عمل أقدمه أو صلاة أو تقدمة،
فليت دموعي تُقبَلُ عندك، فهي ذبيحتي،
همومي ثقلت عليَّ، ولكنني أنتظر خلاصك.

٧ يوليو ٢٠٠٥



«والرجاء لا يخزي، لأن محبة الله قد انسكبت في قلوبنا
بالروح القدس المُعْطَى لنا»

رسالة رومية ٥ : ٥

إن كان الإيمان المسيحي هو «الثقة بما يُرجى والإيقان بأمر لا تُرى»^١، فشكراً لله إن كان رجائنا لا يخزى أمامك، لأننا لا غلك إلا أن نرجوك، فرجائنا حيٌّ فيك، ننتظر نصيبنا الذي أعددتَه لنا عندك الذي سيُستعلن يوم ظهورك حين نُظهر معك في مجدك^٢ الذي يفوق عقولنا. ولكن هذا وَعْدُكَ، ووَعْدُكَ حيٌّ فينا يُحيينا كل يوم، برجاء أننا سنراك ونكون معك نتقبّل محبتك التي تسكبها في قلوبنا بالروح القدس الذي أعطيتَه لنا، فنعيش كل يوم على رجاء لُقيَاكَ. سَتُعِيننا، فنشبع ونرتوي من هَر نعمتك. رجائنا فيك لا يخزى، هذا وَعْدُ حُبِّكَ مؤيِّداً بروحك القدوس، نستقبله جديداً كل صباح فيُنْعِش قلوبنا، ويجدّد حياتنا،

١ عب ١١ : ١.

٢ أنظر كور ٣ : ٤.

ويعطينا قوةً تغلب بها العالم لحسابك، فنُحسب لك.

وروحك القدوس يُلهمنا الحياة المقدسة التي تُرضيك، فهو الذي يُلهمنا كلماتك المحيية، ويتكلم فينا فيعلمنا مقاصدك التي سبق وأن دبرها لنا الآب منذ الأزل وقبل تأسيس هذا العالم «لنكون قديسين وبلا لوم قدامه في المحبة»^٣، وأعطانا التبني بعد أن كنا غرباءً وأعداءً. وهكذا في المسيح حَسَبْنَا الآب من «أهل بيت الله»؛ كوارثين مع الابن كأبناء، بعد أن كنا في آدم غرباءً ومرفوضين.

يا لَغْنَى الله وسخاءه في المجد! فالذي عمله لنا ولأجلنا أصبحنا به محسوبين كأحدى الكائنات السماوية مع صفوف قديسيه وملائكته، وهكذا سُنْظَهَر بظهور المسيح كشركاء مجد بعد أن كنا خطاةً مرفوضين.

فإنَّ عَجَبَ التجسُّد أن صار ابن الله كواحد منا، فصرنا نحن بقيامته الظاهرة بعدونا والموت والخطية، واحداً فيه أبناءً لأبيه السماوي. وهكذا صار، أن ابن الله تجسَّد، لنصير نحن جسده

٣ أف ١: ٤.

٤ أف ٢: ١٩.

وَشُرْكَاءَ مَلئِهِ الإلهي.

فيا لَغْنَى الله وسخاءَه في المجد! رفع التراب من المزبلة وأجلسنا مع السمائيين في المجد، مَسَحَ الخطية بدم ابنه وأعطانا حياة جديدة بحياته، غَيَّرنا من خَلِيقَة ساقطة إلى خَلِيقَة جديدة بِجِدَّة الروح وَحَبَّ الآبِ وَبَذَلَ الابن.

وبعد ذلك لا يُطالَبُنا بِشُكْرٍ أو مَدِيحٍ، ولكن عَيْنُهُ على الخاطيء فقط، لأن البارَّ غير محسوبٍ عنده، فالخاطيء عند الآبِ أَغْلَى ثَمَنًا من كل البشر، افتداه بِذَبْحِ ابْنِهِ على الصليب ليَكُونَ ذَبِيحَةً خَطِيئَةٍ، وَتَلْقَى الابن لعنة الأرض لما رُفِعَ على الخَشَبَةِ، وَكَانَ كُلُّ هَذَا مِنْ أَجْلِ أَنْ يَتُوبَ الخاطيءُ وَيَرْجِعَ إِلَيْهِ.

كل هذا علمناه يوم تَقَبَّلْنَا الإيمانَ المَسِيحِي الثَمِين، فَأَصْبَحَ رَجُوعُ الخاطيءِ إِلَى الله هَمًّا أَوَّلًا والأخير. وَهَذَا نَحْنُ نُنَادِي أَنْ يُقْبَلَ الخَطَاةُ إِلَى التَّوْبَةِ، وَيُقْبَلَ الأَبْرَارُ إِلَى الخِدْمَةِ، لِأَنَّ رَجُوعَ الخَطَاةُ إِلَى الله وَنِوَالِ البرِّ بِالمَسِيحِ هِيَ رِسَالَتُنَا نَحْنُ إِلَى الْعَالَمِ، لِنَفْرَحَ بِالخاطيءِ وَهُوَ مُقْبِلٌ إِلَى المَسِيحِ، وَبِالْبَارِّ وَهُوَ يَقْدَمُ وَثِيقَةً الخِدْمَةِ لِلَّهِ.

صلاة

أنا الخاطئ جئتُ إليك يا الله، فأقبلني عندك،
ضيعتُ أيامي في اللهو، وسرَقَ العدو شهادتي،
لم يعد لي سرور في العالم، فأنت وحدك غايتي ونهايتي،
الحياة القديمة غرّتني بلوئمها، وسرقتُ مني بكوريَّتي،
كيتيم وسط أيتام صار حالي، والكل هجرني فأقبلني،
أيامي جرت كالوشيعه^٥ وانفرط مني حبل خلاصي،
أين أذهب، يا رب، وأنت وحدك راحمي،
أعترف بخطيئتي، وذنبني أنت وحدك تعلمه.

٧ يوليو ٢٠٠٥

٥ عن صلاة أيوب: سفر أيوب ٧: ٦. والوشيعه هي مكوك الحائك (الترزي) والمشهور بسرعة دورانه.

«إن كنا ونحن أعداء قد صولحنا مع الله بموت ابنه،
فبالأولى كثيراً ونحن مُصالحون نخلص بحياته»

رسالة رومية ٥ : ١٠

قد ورثنا أبونا آدم عداوة الله بعصيانهِ وخرجنا من أمامهِ
مطرودين بلا شفيع، وعَتَقَتِ البشرية وشاخت في العداوة ولم
يُسعِفها لا نبي ولا قديس، فالكل أَغْضَبَ الله، واستُحْكمت
العداوة على مرِّ الأجيال. حتى تحنن الله، ومن أجل محبته الكثيرة
التي كان يحفظها في قلبهِ، أرسل في أواخر الأيام المُصالح الأعظم
ابنه الوحيد القدوس، ليفتدي البشرية بذبيحة نفسه على
الصليب، وقَبِلَ اللعنة الأولى في جسده على الخشبة من أجلنا.^١
فمات الابن على الصليب وتَزَفَّ كل دمائه، فحُسِبَت ذبيحته
ذبيحة فدية لرفع الخطية من على آدم، وأكمل لنا الصلح لدى
الآب بالفداء. فكان موت المسيح هو الوسيط الوحيد بين الله

١ أنظر غل ١٣: ٣؛ ١ بط ٢: ٢٤.

والإنسان، كخاطي، وفَكَّ على الصليب كل صكوك العبودية التي أخذها الشيطان وكل أعوانه على الخطاة، كأسرَى وعبيد لسلطانه المستبدّ^٢، وخرجنا بالقيامة من بين الأموات من هاوية اللعنة، منتصرين مع المسيح. والشيطان والخطية تحت أقدامنا بقيامة يسوع المسيح من بين الأموات؛ وهكذا تمت المصالحة العظمى مع الله حيث قَبَلْنَا إليه كأولاد، بل كأحباء بعد العداوة واللعنة^٣، وأورَثْنَا مع ابنه القائم من بين الأموات حَامِلًا إيانا معه إلى ملكوته الأبدي.

فإن كنا ونحن أعداء قد صالحنا المسيح بموته على الصليب، فكم يكون حالنا مع الله أبيه وهو جالسٌ عن يمين أبيه في المجد يتشفع فينا بدمه. يقول بولس الرسول فم العطر إنه لا بد أن يكون المسيح قد أكمل لنا الخلاص بحياته، إذ دخل الأقداس العليا حاملاً دمه فوجد لنا، كرئيس كهنة الله السماويين، فداءً أبدياً وحياة هنيئة مع الله أبيه، حاملاً على صُدْرَتِهِ الذهبية أسماءنا اسماً بعد اسم.

٢ أنظر كو ٢: ١٤، ١٥.

٣ أنظر ٢ كو ٥: ١٨، ١٩.

٤ أنظر عب ٩: ١٢.

نعم، إن كان موت المسيح على الصليب أَوْرَثَنَا المصالحة مع الله، فحياته التي يحياها في المجد مع أبيه يُقَدِّمُنا جميعاً لله كذبائح، رائحةً زَكِيَّةً لله، تشهد لغناه في المجد، كخليقة جديدة سماوية، بعد أن كنا خليقة ترابية مُدَاسَة بالأقدام. فإن كان موت المسيح على الصليب يُحَسِّبُ لنا فداءً ومصالحةً، فجلوس الابن بعد الصعود عن يمين أبيه كَمَنْ يَحْجِزُ لنا مقعداً سماوياً عن يمين الآب عندما يُكَمِّلُ لنا فداءً أجسادنا، حيث نصير خليقة روحانية مؤتمنة على الجلوس عن يمين الآب في المسيح يسوع^٥. وهكذا فموته يكون قد خَلَّصَنَا، وبقِيامته ودخوله الأقداس السماوية أعطانا حياتنا الجديدة في شركة مجد المسيح. فالمسيح بموته وحياته صار رئيسَ جنسنا الجديد فيه.

ولكن لا بد أن نعود ونوعِّي أن نصيبَ الخاطئ في موت المسيح وقيامته هو نصيب الأسد، أي الجُعَالَة (الجزاء) الكبرى المذخرة في المجد، لتكون آيةً وشهادةً لأبوة الآب الحانية ولفدية الابن الغالية. فالخاطئ هو المُستَقْبِلُ الأول لموكب الخلاص والمصالحة والمجد، لكي يظهر فيه مقدار غنى الله في المجد، ومقدار عمق محبة المسيح

في الموت.

فالحاطي، بعد أن لبسَ المسيح الخطية وتوشح بها على الصليب، صار هو عريس السماء الذي لبسَ مجد المسيح، ووضع الآبُ في إصبعه خاتمَ العرس.

صلاة

أنا الحاطي جئتُ إليك اليومَ، يا إلهي، أطلبُ الثوبَ الأولَ،
وأطلبُ خاتمَ الخلاص الذي أعدَدته لي بِجُذِّكَ،
تركتُ أجمادَ الدنيا، واخترتُ أن أصبحَ عبداً ليسوع المسيح
ابنك،

خلعتُ عني عبودية الخطية، فألبسني حرية المجد لأولادك،
خضعتُ للحياة القديمة التي أُوْرَثَني العداوة، وسحقْتُها اليومَ
بقدمي،

فأنا أعظم من مُنْتَصِرٍ، لأني حملتُ صليبك وورثتُ
شهادتك،

اليومَ ضُمّني إلى مُختَارِكَ، لأني اخترتك ولم أَسْتَعْبِدْ لأحدٍ
غيرك،

أنا اليوم من أهل بيتك، حسب وَعْدِكَ، وواحد من
خاصَّتِكَ.

٧ يوليو ٢٠٠٥



«لأنه إن كان بخطية الواحد (آدم) قد مَلَكَ الموت بالواحد،
فبالأولى كثيراً الذين ينالون فَيْضَ النعمة، وعطية البر،
سيملكون في الحياة بالواحد يسوع المسيح»

رسالة رومية ٥ : ١٧

حقيقة مذهلة يضعها بولس الرسول أمام أعيننا، لكي يكون لنا عزاءٌ أبديٌّ بنصينا الذي صار بدخول الابن إلى عالمنا، ليُصلح ما أفسده آدم وورثته لبنيه جميعاً، ملوكاً وكهنة ورؤساء وأنبياء. كيف أسقطَ آدم العالم كله تحت برائن الموت بخيانته لله وعدم طاعته بل عقوقه لدى الله؟ بولس الرسول يعقد مقارنة بين ما عمله آدم وبين ما عمله المسيح: فالأول (آدم) أَدْخَلَ الخطية والموت؛ بينما المسيح جاء ومعه فَيْضُ النعمة وعطية البر المجاني؛ حتى كما مَلَكَ الموت بآدم، يملك الإنسان في الحياة الأبدية. آدم الأول بعدم طاعته لله، وآدم الثاني بطاعته لله أبيه حتى الموت، موت الخطية بالصليب.

وسرُّ الحياة الجديدة التي أَدْخَلَهَا المسيح إلى عالم الإنسان هو

إصلاح ما أفسدَه آدم في علاقته بالله. فآدم سقط في عصيان الله وقبول مشورة الشيطان؛ والمسيح قدَّم الطاعة لله طاعة كاملة وقَبِلَ مشورة الله الأزلية لخلاص الإنسان، بأن قدَّم نفسه ذبيحة حياة مقبولة لدى الله على الصليب وتقبَّل الموت كخاطئ ومجدَّف ومجرم وزان، وهي الخطايا التي صنَّفها رؤساء الكهنة وحكَّم بها الرومان، وقبَّلها المسيح بعد جهاد في الصلاة والدموع والسجود أن يعفيه الله من هذه الكأس، أي أن يقف أمام أبيه كمجدَّف عليه، الأمر الذي استحال عليه قبوله إلاَّ بعد أن تأكد أن أباه هو صاحب المشيئة، فسَلَّم نفسه طائعاً لموت الصليب. وهكذا نجح أن البَوْن شاسع جداً بين سلوك آدم الذي ورَّثنا الموت وبين المسيح الذي أعطانا الحياة. وهكذا صار الإيمان بالمسيح مُكرِّماً جداً لدى الآب؛ حتى أن كُلَّ مَنْ آمَنَ بالمسيح، سَكَبَ عليه الآبَ فَيُضِ النعمة من قِبَلِهِ، وعطية البرِّ المجاني الذي هو من اختصاص الابن بسبب قبوله الموت عن الخطاة.

فأصبح موقف الخاطئ بعد أن كان موقف قبول دينونة مُخيف وعقاب الموت الأبدي، صار قبول نعمة الله كَفَيْضٍ سُمَاوي

يشمل الحياة كلها، وعطية برّ الله التي لم يَنَلْها قط لا نبي ولا كاهن ولا رؤساء، لأن عطية البر هي برّ الله الذي هو من خصائص طبيعته الفائقة على قامة أي كائن سماوي إلا الابن وحده، أخذها من الله أبيه ليعطيها للمؤمنين به وأخصائه بالروح. وهكذا نرى أن الذي قدّمه الابن على الصليب بموته وبقيامته من الموت، حنّ قلب الآب حتى سكب هذا البر وهذه النعمة على كل مَنْ آمن بالمسيح، حتى يصير ميراث الابن للخطاة التائبين والمؤمنين حقاً إلهياً عن استحقاق برّ الله المجاني.

فالذي عمله المسيح على الصليب، والذي ردّ الآب عليه، ورثنا هذا الغنى الإلهي في مجد المسيح لنكون شركاء مجده بعد أن كنا مجرد شركاء موته وآلامه، فهنا الرّفعة التي رفعها المسيح لبني جنسنا التائبين إليه والطلابين رحمته ونعمته، شيء يفوق تصوّر الملائكة ورؤساء الملائكة وكل كيان سماوي. وهكذا رفع المسيح طبيعتنا الجديدة فيه فوق كل كيان سمائي مهما كان.

«لأنه لمن من الملائكة قال (الله) قط: أجلسُ عن يميني»^٢
كمساواة في المجد، الأمر الذي أعطاه لنا المسيح لنجلس فيه عن

بين الله في المجد.

صلاة

يا ابن الله المحبوب يسوع المسيح رأس جنسنا الجديد وإله
حبنا لله،

نقدم لك خضوعنا الكلّي لتملك على قلوبنا،
قبلنا منك خلاصنا على الصليب كذبيحة حبٍّ، وأعتقنا من
الموت وورثتنا الحياة الأبدية معك،
عرفتنا طريق الحياة، وأدخلتنا إلى مقدس العليّ بدمك،
اليومَ آقبلُ منّا حياتنا مع حبنا، لتصير أنت حياتنا.

٧ يوليو ٢٠٠٥

«عالمين هذا أن جسدنا العتيق قد صُلب معه، لِيُطَلَّ جسدُ الخطية، كي لا نعود نُستَعَبَد أيضاً للخطية»

رسالة رومية ٦ : ٦

علينا أن ندرك أن المسيح مات بجسدنا العتيق، لأنه مات كخطيئ ومجذّف. كذلك نحن نحسب أن جسدنا العتيق هو الذي انصُلب مع المسيح بسبب الخطايا التي فيه، بل وأيضاً قد مات جسدنا العتيق على الصليب، والخطية ماتت به فيه، وهذا يعني أن الخطية أبطلت بالموت، أي ماتت.

فلما قام المسيح، قام بالجسد الجديد المنزّه عن الخطية، وقمنا نحن بقيامته، لأن جسده المُقام هو جسدنا الجديد، وهو خال من الخطية وغريب عنها. وبذلك، وبذلك فقط أصبح جسدنا الجديد لم يعد ممكناً أن يُستَعَبَد للخطية، لأنه يُعتبر أنه جسد مبرّر في جسد المسيح. وهكذا أنقذنا الله بموت أبنه وقيامته ونحن فيه، أنقذنا من جسد الخطية جُملة وتفصيلاً، وعوض الخطية سكن فينا برُّ المسيح ونعمته. فإن مات الخطيئ بعد أن يكون قد اعترف

خطاياه واغتسل من الخطية بالروح القدس، لا يعود يُحسب خاطئاً، لأنه محسوبٌ أنه عائش في المسيح الذي آمن به، بل المسيح هو الذي يعيش فيه بالضرورة^١.

وهكذا وهب المسيح الجسد العتيق أن يكون ميتاً بسبب الخطية التي فيه والتي حُكم عليها بالموت، وجعله جسداً جديداً حياً بالروح لا يستطيع أن يخطئ^٢ بعد، لأن المسيح نفسه محسوب أنه يحيا فيه.

كل هذا الشرح يضمُّه معاً الإيمان المسيحي الذي نحيا به في نور الله الدائم الذي لا ينطفئ، فهو نور يضئ خفيَّات الضمائر والقلوب.

وهذا هو باختصار معنى أننا شركاء موت المسيح وقيامته، فشركاء موت المسيح وُهبوا أن يكون جسدهم العتيق محكوماً عليه بالموت، وُهبوا جسداً جديداً حياً لخليقة جديدة محسوبة أنها لا تستطيع أن تخطئ^٣، لأن هذه الخليقة الجديدة في حقيقتها هي جسد المسيح في ملء لاهوته، وقد وُهب لنا أن نكون

١ أنظر غل ٢: ٢٠.

٢ ١ يو ٣: ٩.

٣ ١ يو ٣: ٩.

شركاء فيها، وميراثها هو ميراث مجد الابن، ونحن أيضاً شركاء في ميراثه.

بهذا يتضح أماننا الإيمان المسيحي في أقصى حدوده، وحدوده هي في الأسفل جسداً عتيقاً ميتاً عن الخطيئة ورثناه من فوق الصليب ودُفِنَ القبر، وعليه جسداً روحاني جديد كخليفة روحية جديدة موطنها السماء وميراثها هو ميراث المسيح المجيد.

أما استعلان الإيمان المسيحي للعالم، فسيظهر عندما يظهر المسيح في المجد ونُظْهَر معه نحن أيضاً، حيث يراه العالم كله في ملء مجده ونحن فيه، لأننا سنكون مثله. أمور مخفية عنا الآن، ولكن حاضرة بالاستعلان، يراها أولاد الله المختارون لأنها حياتهم ومجدهم وفخرهم.

وهكذا حررنا المسيح من ماضي آدم وذريته، ووهبنا أن نتجنس بجنس المسيح ونشارك في مجده.

٤ أنظر كور ٣: ٤.

٥ أنظر ١ يوح ٣: ٢.

صلاة

نشكر الله الذي أهّلنا أن نكون أهل بيته في المسيح، الذي هو ابنه المحبوب،
كما حرّرنا من ماضيّنّا المظلم، ووهبنا نور الحياة والخلود،
وإن كان قد مات إنساننا العتيق، فلنا خليقتنا الجديدة الحيّة
بالله ومعه،

وها نحن نتقدم إليك، يا ربنا يسوع المسيح،
أن تلاحظ فينا حقيقة موت الإنسان العتيق بخطايّاه لئلا
تُحييه الحيّة بسحرها، ويقوم ليلوِّث حياتنا،
وها نحن نسلّم حُبّك حياتنا الجديدة فيك،
لنحظى بوجودك، وتغمرنا ببرّك ونعمتك التي تُقدّمنا إلى الله
أبيك.

٧ يوليو ٢٠٠٥

«إِذَا لَا شَيْءَ مِنَ الدِّينُونَةِ الْآنَ عَلَى الَّذِينَ هُمْ فِي الْمَسِيحِ
يَسُوعَ»

رسالة رومية ٨ : ١

آية فرح وتلهيل واعتراف بفضل المسيح والله، فالذين يؤمنون
بالمسيح إيماناً ثابتاً راسخاً يُحَسَّبُونَ أَنَّهُمْ مَاتُوا مَعَ الْمَسِيحِ عَلَى
الصَّليبِ وَدُفِنُوا مَعَهُ، ثُمَّ قَامُوا مَعَهُ. وهذا يعني أن جسدَهم العتيق
قد مات كما ماتت الخطيئة فيه، وهو لا يُحَسَّبُ أَنَّهُ تَحْتَ
مَسْئُولِيَةِ الْإِنْسَانِ، فَالْإِنْسَانُ كَانَ عَبْدًا لِلْخَطِيئَةِ، وَلَكِنْ الْمَسِيحُ
حَرَّرَهُ بِأَن مَاتَ عَنْهُ عَلَى الصَّليبِ فَمَاتَ الْجَسَدُ الْعَتِيقُ مَعَ أَعْمَالِهِ
وَكُلِّ شَهَوَاتِهِ، وَهَذَا يُحْتَمُّ أَنَّهُ لَا بَدَّ أَنَّهُ انْعَتَقَ مِنَ الدِّينُونَةِ الْمَزْمَعَةِ
أَن تَكُونَ عَلَى غَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ.

بهذا يهتف بولس الرسول هتاف النصر والاعتراف بالفضل لله
والمسيح، أَنَّهُ «لَا دِينُونَةُ الْآنَ عَلَى الَّذِينَ هُمْ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ»
الذين أصبحوا في شركة موت المسيح، وهم مهَيَّأُونَ لِلْخَلَاصِ
الْآنَ، وَالْمَعْدُونُ لِفِدَاءِ الْجَسَدِ يَوْمَ ظَهُورِ الْمَسِيحِ، لِيُظْهَرُوا مَعَهُ فِي

فالؤمنون بالمسيح الآن هم شركاء موت وقيامة المسيح، أي لغوا الفداء الكامل وُغُفرت خطاياهم، لذلك يهتف بولس هتافاً لنصرة والمجد أنه «لا دينونة الآن على الذين هم في المسيح» الذين كفر المسيح عن خطاياهم بذبيحة صليبه وأقامهم معه خليفة جديدة، سكب الله عليها برّه ونعيمه الأبدي؛ هنا استحالة أن يدخلوا الدينونة لأنهم أتموها في جسد المسيح الذي أدين عوضاً جميع الخطاة.

هذه الآية السعيدة المفرحة بالخلاص من الدينونة بالنسبة للذين آمنوا بالمسيح وصاروا فيه بالإيمان، أضعف معناها مقطعٌ أخير هو "الساكنون ليس حسب الجسد بل حسب الروح" وَرَدَ في الطبعة العربية البيروتية القديمة للكتاب المقدس إذ أضافته على هذه الآية وهي غير موجودة في الأصل اليوناني، مما قد يُفهم على أنه رَجْعَةٌ إلى أعمال الناموس بالجسد العتيق، وهذه الإضافة لم تكن في محلها*.

* أنظر كو ٣: ٤.

* الترجمة العربية الجديدة للكتاب المقدس التي اشتركت فيها جميع الكنائس (سنة ١٩٩٣) أوردت هذه الآية صحيحة بدون هذا المقطع الأخير الذي كان موجوداً في طبعة بيروت العربية القديمة (سنة ١٨٦٥) والذي أحلّ بمعنى المقطع الأول. وهذا المقطع الثاني لم

ويلزم أن نفهم مرة أخرى أن المسيح لما صُلب، صُلب بالجسد العتيق الذي لنا، محتملاً ثَقْلَ الخطية واللعنة، ولما دُفِنَ في الأرض دُفِنَ الخطية واللعنة وأبادها إبادةً. وهكذا حُسِبَ لنا أننا مُتْنَا عن الخطية، ومات الجسد الذي كان مسئولاً عن الخطية، وأصبحنا خليقة جديدة روحية لا تخطئ^٢ وليس عليها خطية، بل محسوبة أنها حاملة برِّ المسيح ونعيمه الأبدي. والتصق الإنسان الجديد بالله وصار محسوباً أنه من «أهل بيت الله»^٣ ينتظر استعلان المسيح ليُظهر معه في المجد، هذا الإنسان الجديد أُعطي أن يَعِشِيَ الْقُدْسَ الأبدي في الأقداس السماوية مع المسيح^٤ بصورة استثنائية جداً لا يشاركه في هذا أي خليقة أخرى.

وقصارى القول، أنه ليس على المؤمنين بالمسيح الآن أية دينونة بأي شكل لأن الصليب كان هو الدينونة العظمى للإنسان، والذي مات عليه موت فداء أبدي عن جنس الإنسان هو المسيح يسوع، فقد دين دينونة ظالمة عن كل خطايا الإنسان التي حملها

يرد في الأصل اليوناني المعتمد ولا في الترجمة القبطية القديمة.

^٢ أنظر ١ يو ٣ : ٦.

^٣ أف ٢ : ١٩.

^٤ أنظر كو ٣ : ٤.

^٥ أنظر عب ١٠ : ١٩.

في جسده على الصليب وقَبِلَ اللعنة أيضاً التي وضعها الناموس على الخطاة المصلوبين القائلة: «ملعون كل من عُلِقَ على خشبة»^٦، هذه قَبَلَهَا يسوع المسيح في جسده على الصليب ليُكَمِّلَ فداء الإنسان فداءً كلياً كاملاً شاملاً وأبدياً.

صلاة

أيها المصلوب عني، قَبَلْتَ صليبك فانفكت دينونتي، وهكذا، لما قَبَلْتَ الموت، نجوتُ من الموت الذي كان يترصّدني،

الموت والعار واللعنة ميراث آدم، أَلْغَيْتَ الكل بميراثك، وبعد أن كان الموت والظلمة يترصّداًني، أَشْرَقَ نورُك وغمرتني،

أَبَدَلْتَ الموت بالحياة، والظلمة بالنور، والحزن بالفرح، هكذا زالت السماء الأولى والأرض الأولى، ليظهرَ الجديد الذي أَعَدَدْتَهُ.

٨ يوليو ٢٠٠٥

«لأن كل الذين ينقادون بروح الله، أولئك هم أبناء الله، إذ لم تأخذوا روح العبودية أيضاً للخوف، بل أخذتم روح التبني الذي به نصرخ يا أباً الآب، الروح نفسه أيضاً يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله»

رسالة رومية ٨: ١٤-١٦

حينما كان المسيح بعد قيامته من بين الأموات يتكلم مع تلاميذه عن الفراق الذي سيتم بسبب صعوده الوشيك، أوصاهم أن لا يرحلوا أورشليم حتى ينالوا قوة من الأعالي، وأن يسوع المسيح سيرسل لهم الروح القدس من عند الآب^١.

هكذا اجتمع التلاميذ معاً مع مريم أم يسوع في العلية في أورشليم، وظلوا يصلون معاً بانتظار حلول الروح القدس. وفجأة حلَّ الروح القدس من السماء بهيأة ألسنة نار. وفي

^١ أنظر لوقا ٢٤: ٤٩؛ أع ١: ٨، ٦.

الحال ابتدأ التلاميذ الخدمة باسم المسيح^٢. وهذه كانت بداية الخدمة المسيحية في العالم. وتشديد المسيح على التلاميذ أن لا يرحلوا أورشليم للخدمة إلا بعد أن يمتلئوا من الروح القدس وتحلّ عليهم قوة من السماء، كان هذا هو سرّ الخدمة على مدى العصور كلها. وكانت وظيفة الروح القدس هي أن يأخذ من المسيح القوة والمشورة والمعرفة والحكمة ويلقنها للذين يحلّ عليهم^٣. بمعنى أن المسيح نفسه كان مدبّرًا للخدمة بواسطة تلاميذه. والكتاب سبق وأن اعترف أن يسوع المسيح هو كنز الحكمة والمعرفة^٤. فإنه، على كل حال، هو "الكلمة" بكل أفقها الإلهي السماوي والحكمة الفائقة والعلم. وهكذا انتقل التلاميذ من مجرد صحابة حول الرب يسوع إلى كارزين بالكلمة الإلهية بنعمة الروح القدس بكل ملء. وبذلك، كما يقول بولس الرسول، إن التلاميذ صاروا يُقتادون بالروح القدس في كل ما يقولون ويعملون، وبالتالي كان المسيح يشرف على الخدمة والخدام من عليّ.

٢ أعمال ٢.

٣ أنظر يو ١٦: ١٤، ١٣.

٤ أنظر كو ٢: ٣.

وكان الروح الذي حلَّ على التلاميذ، ليس هو الروح قديماً الذي كان يوبَّخ ويعاقب وكان مخيفاً، خاصة للذين يعادون الله. ولكن الروح الذي حلَّ على التلاميذ كان تابِعاً للمسيح، يأخذ من المسيح ويعطيهم فهماً وعِلْماً ومعرفة وحكمة من عند الله. لذلك اعتُبر الروح الذي حلَّ على التلاميذ هو روح التَّبَنِّي، وكان مستعداً دائماً أن يشهد للتلاميذ أنهم أولاد الله، بل ويصرخ في قلوبهم عندما يتقدمون إلى الله بالقول «يا أبا الآب»، وهكذا دخلوا في مَعِيَّة الله كأهل بيته ينعمون بأبوة الله.

وكلمة "يا أبا الآب" تعبير جاء بالآرامية، كلغة الأطفال عندما كانوا ينادون أباهم بالقول "يا أبا" بنوع من الدالة والطفولة السعيدة مع الله.

وهكذا دخل الروح القدس للخدمة مع المسيح والآب كميلاد عصر جديد للكنيسة لتعيش في ملء الله: آب وابن وروح قُدُس، تركز بصليب الخلاص وبرُّ الله، الذي ناله يسوع المسيح وسلَّمه وديعة مقدسة للتلاميذ، لينتشر برُّ الله في الكنيسة كلها كذخيرة قوة إلهية لإنعاش التقوى والحياة الفضلى في كنيسة الله، والسّي

كانت مُعْتَبَرَةً في العصور الأولى «عمود الحق وقاعدته»^٦.

صلاة

إليك يا روح الله، حياتي، وإيماني، ورجائي، وحيي،
فأنا إنسان انتقلتُ من عبودية العالم إلى حرية أولاد الله،
أحتاجُ إلى قيادةٍ حسب نصيحة المسيح لتلاميذه حتى أسير
مَعكَ،

لستُ أعلم أين أذهب في هذا العالم الذي ضاق بي،
فأنت تهديني إلى المسيح حياتي، الذي فداني ليملك حياتي،
وتُعرِّفني حنوّ الآب وطول أناته، حتى يحتملني بجهلي،
إن علّمتني سأتعلم، وإن لم تعلّمني فأين أذهب؟
أنت نورٌ لسبيلي، ويدك تهديني، فعرفني نهايتي.

٨ يوليو ٢٠٠٥

«وكذلك الروح أيضاً يُعين ضعفاتنا، لأننا لسنا نعلم ما نُصلي لأجله كما ينبغي، ولكن الروح نفسه يشفع فينا بأَنات لا يُنطق بها»

رسالة رومية ٨ : ٢٦

هذه هي هدية الله لنا نحن الضعفاء، إذ الآن نعرف متأكدين أن الله يدري بضعفنا، ولا بد أنه صمَّم منذ الدهر أن يعين ضعفنا لأننا محسوبون له. فكيف يتركنا في العالم الآن وحدنا والكل ينظر إلينا ويطلب شهادتنا؟ وأكثر إحراج يقابله إنسان الله حينما يُدعى للصلاة فيقف ولا يعرف ما يُصلي من أجله.

فهنا نحن نتوسل لروح الله أن يتكلم فينا حينما نفتح فمنا لنشهد ليسوع المسيح، ونشهد لقوة موته وقوة قيامته وقوة فدائه التي أدخلها إلى عالم الإنسان، لكي يصير لا ضعيفاً، بل قوياً بالنعمة وإرشاد الروح القدس. أما من جهة ما يخصُّنا، فبدالة البنوة لله نحن نطالب الروح القدس أن يُعين ضعفنا، لكي نسلِّك في هذه الحياة كشهودٍ لِمَا عمله المسيح من أجلنا، ولكي نصلي

كما يحق بأولاد الله مختارين ومُبرَّرين. إِنَّ غِنَى الله في المجد قد ورثه الابن الوحيد وسلَّمه إلينا نحن المؤمنين به، حتى نردّه بعُمِّقِه وزَخْمِه* أمام الله. وهذا يتوقف على مدى شفاعة الروح القدس فينا، حتى لا نظهر أمام الله فارغين أو لاهين، بل من ملء الروح نقدّم الصلاة اللائقة بالآب والابن، لأن الخليقة السماوية كلها تقدّم الخدمة لله كاملة، فكم بالحري نحن الذين أفاض الله علينا من برّه الخاص ومن فيضِ نعمته.

وحينما أوصى المسيح تلاميذه أن لا يبرحوا من أورشليم حتى ينالوا قوة من الأعالي كوعد إلهي^١، بهذا انتبهت قلوبنا إلى عطية الله التي يعطيها في وقتها، حتى نستطيع أن نشهد الشهادة الحسنة أمام الناس مهما كلفنا ذلك من عناء أو خسارة، لأن خسارة العالم من أجل المسيح هي ربح^٢. فنحن تواقون إلى هذه القوة التي تحلُّ علينا من السماء، وإلى فيض النعمة التي يمنحها الآب لأولاده ليشهدوا الشهادة الحسنة أمام الناس.

ولحظنا السعيد نسمع هنا أن الروح القدس يشفع فينا بأناات لا

* زخمه أي قوة دفعه الشديدة.

١ أنظر لو ٢٤: ٤٩.

٢ أنظر في ٣: ٨٠٧.

يُنطق بها. إذن، فمع المسيح الذي يتشفّع فينا بدمه^٢، نرى أن الروح أيضاً يتشفّع فينا بأنّات لا يُنطق بها، أي بلغة يفهمها الله. وكلمة ”أنّات“ تعبّر عن شدة التوجّه بالشفاعة لله الآب، ويا لسعدنا، إن كان الروح القدس نفسه يتشفّع فينا بأنّات صادقة. هذا كله يكشف عن مدى ضعف خليقتنا التي تحتاج هكذا إلى شفاعة دائمة حتى تقف أمام الله بلا لوم في المحبة. ولكن شكراً لله الذي دبرّ لنا هذه النعمة التي نحن فيها مقيمون منذ الأزل وقبل تأسيس العالم «لنكون قديسين وبلا لوم قدامه في المحبة»^٣، بالفداء الذي أكمله المسيح، وبالتبني الذي سكبّه الله علينا بروحه القدوس مع فيض النعمة.

صلاة

إليك يا روح الله صلاتي، متوسلاً أن تُسندني في صلاتي، لأنك أنت روح الصلاة العظمى، أما نحن فلا نعرف أن نصلي،
فإن كانت تشملنا شفاعة المسيح بالدم، فشفاعتك هي

^٢ أنظر رو ٨: ٣٤؛ عب ٧: ٢٥.

^٤ أف ١: ٤.

بالروح،

المسيح يَفْدي وأنت تُقَوِّي، فقَوِّنا في ضعفنا،
أنت مُنْبِثٌ من الله الآب لتحلَّ فينا بحب الآب،
ونحن نحبُّك يا روح الله، فهل أنت تحبنا؟ نحن نرجو.

٨ يوليو ٢٠٠٥



«وأما الآن إذ أعتقتم من الخطية وصرتم عبيداً لله، فلكم
شكركم للقداسة، والنهاية حياة أبدية»

رسالة رومية ٦ : ٢٢

كان الإنسان قبل مجيء ابن الله وتجسّده، عبداً للخطية، وكان
ثم الخطية هو الموت. ولكن بمجيء ابن الله وإكماله الفداء على
الصليب، أعتقنا من الخطية وعبوديتها، فصرنا أحراراً من الخطية
وعبيداً لله الذي أنقذنا من الخطية والموت.

وكعبيد لله، بل بالحقيقة أبناء لله، أصبح الله لنا هو مصدر
الإلهام لكل عمل صالح. وكل عمل صالح أصبح يقدمنا إلى الله
الذي يقبل أعمالنا الصالحة ويقدّسها، لأنها إنما تستمدُّ من طبيعة
الله قداستها، لأنها تُعمل به وله، فأصبح هو صاحب أعمالنا
ومُقَدِّسها. ونهاية القُربى من الله وتقديم العبادة اللائقة به، هي أن
نبلغ في النهاية حقّ الدخول إلى الحياة الأبدية، بمعنى أن نحيا مع
الله وأهل بيت الله المحبوبين والقديسين منذ الدهر.

فعوضَ العبودية للخطية، أصبحنا عبيداً لله، وعوضَ الشقاء في

هذا العالم، تُدعى إلى ملكوت الله لنحيا معه حياتنا الأبدية.
من أجل هذا المصير المفرح دبر الله لنا منذ الأزل حلقة جديدة
روحية، أي أن نقلنا من حلقة التراب إلى الدخول في حلقة
جديدة روحية، تؤهلنا في النهاية للدخول في ملكوت الله لنحيا
معه، في ابنه يسوع المسيح، حياتنا الأبدية.

وهذا هو العهد الجديد الذي افتتحه المسيح للإنسان بإهراق
دمه على الصليب، مكفراً عن خطايانا وساكباً علينا برّه وفيض
نعمته، حتى نبدأ عهد الله الجديد بمسحة الدم وعمل الروح
القدس، فنتقدم إلى الله كخليقة جديدة في البرّ وقداسة الحق،
لننال التبني بيسوع المسيح، الذي وهبنا بنوته لله وبرّه الذي ناله
من الله، بل ووهبنا مجده كما قال المسيح نفسه: «أنا قد أعطيتهم
المجد الذي أعطيتني»^١. ووقف المسيح في نهاية إنجيل يوحنا يتشفّع
فينا عند أبيه، طالباً أن يهبنا الحب الذي أحبه الله به: «ليكون
فيهم الحب الذي أحببتني به، وأكون أنا فيهم»^٢.

وهكذا تمّ الإنسان الجديد لأنّ يقدر لله ثراً جديداً من عمل

١ يو ١٧: ٢٢.

٢ يو ١٧: ٢٦.

النعمة والروح القدس، ثم قداسة وثمر برّ الله الذي سكب عليه. وهكذا أصبحت خليفة الإنسان الجديد شريكة لله في قداسته وبرّه، بفضل وساطة المسيح الذي قدّمنا إلى أبيه مغفوري الخطايا ولابسي برّ المسيح مجاناً.

وتمّ قول المسيح الفائق للعقل وهو يخاطب أباه: «أنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني، ليكونوا واحداً كما أننا نحن واحد. أنا فيهم وأنت فيّ، ليكونوا مكملين إلى واحد»^٣.

وهكذا انتقلت حلقة الإنسان من وضعها القديم على الأرض بعد أن هيأها المسيح لتشاركه مجده، وتحيا فيه وهو يحيا فيها؛ لتكون خليفة جديدة سماوية، موطنها هو الله، وأهل بيته ورأسها هو المسيح له المجد.

صلاة

إليك، يا ابن الله، أتقدّم واثقاً من فعل دمك،
أن تؤهّلني بشفاعتك عن ضعفي، لتورثني هبة الحياة فيك،
كنتُ ضعيفاً مُستضعفاً، فأسكُبُ عليّ قوتك،
اشتقتُ إلى خدمة الفقراء إخوتك، فأهّلني لخدمتك،

لا أملك من الدنيا شيئاً، لأني ملكتُ حبك وكفاني،
حُبُّكَ حُبَّان: حبٌّ لأبيك، وحبٌّ لفقرائك؛ فهَبْنِي
حُبَّيْكَ.

٨ يوليو ٢٠٠٥



«فإني أحسبُ أن آلام الزمان الحاضر لا تُقاس بالمجد العتيد
أن يُستعلنَ فينا»

رسالة رومية ٨ : ١٨

إن كنا في العالم نُقاسي من آلام كثيرة ومتنوعة، ويتفنن
الشیطان ويكيل لأولاد الله الاضطهادات والعثرات والمقاومات
من الأعداء والأصدقاء، إلا أننا نعيش في رجاء حيٍّ بالله الذي
سيعوّض مُحْتارِهِ عن آلام هذا الزمان وعثرات الأصدقاء
والأعداء، براحة سماوية سبق وأعدّها لتكون آية حُبِّهِ وعطفهِ
علينا، كما توكّد لنا أن عَيْنَ الله على أولاده لا يمكن أن يتركهم
يتألمون بأكثر من احتمالهم، فهو من حين لآخر يكشف قليلاً من
خُطَّتِهِ المرسومة منذ الأزل: أن راحتنا وإن كانت منقوصة على
الأرض، ولكن نتنظرُنا في السماء الراحة العليا التي أعدّها بنفسه
لمُحْتارِهِ، ليُجازيهم عن تعبهم وشقائهم في العالم بالراحة التي
تشبهها ملائكة الله، لأن الله سيمسح بيده كلَّ دَمْعَةٍ من عيونهم
ويضمُّهم إلى صدره، كما يضمُّ أبٌ حنون ابنه الصَّغير إلى

واضحٌ أن الإنسان تلقَّى وعدَ الآباء والأنبياء براحة، ولكن أثبتت الأيام أن الإنسان في كل العصور والأزمان، تحت ملوك وأنبياء، لم يَلَقَ راحة قط، لا في مصر ولا في سيناء ولا في أرض الموعد التي كانت كلها حروب وغزوات، حتى الناموس وَعَدَ براحة السبت، فما استراحها الإنسان.

حتى جاء ابن الله، وغزا السماء بقيامته بعد موت، ودخل كسابق من أجلنا، وتراءى أمام الله أبيه ودمه عليه، فوجد عند الآب السماوي راحته العليا إذ جلس عن يمين الله^١. وقول الوحي «جلس» تُعني الراحة الحقيقية والأبدية التي لم تَسْعَد بها أية خليفة أخرى مما في السماء وما على الأرض.

وقوله «عن يمين» تفيد المساواة المطلقة في المجد. لذلك يسبق المسيح هذه الأيام ويُعطينا مجده الذي أَخَذَهُ من أبيه إزاء ما عَمَلَهُ من فداء وخلّاص. وهكذا نرى أنه عَوَضَ آلام هذا الزمان وأوجاع هذا الدهر واضطهاد العدو والأصدقاء، سبقَ وأَعَدَّ الله لنا دخولاً إلى مجده وإلى شركةٍ في مجده، وحياة أبدية في مُلكه

فلو عملنا موازنة بين آلام هذا الدهر ومُعَاداة الشيطان لنا وبين
المجد العتيد أن يُستعلن فينا ونحن في حضن الآب والابن، ليس إلى
زمان بل إلى أبد الآبدين؛ ولو خَيْرْنَا بين الاثنين، لاختَرْنَا نصيبنا
في الله، وَلَيَعْمَلُ العالم ما يعملُه وحتى إلى الموت. فالموت ونحن في
أحضان الله أفضل لنا ألف مرة من حياة على الأرض ونحن
فاقدون حبَّ الآب وفداء الابن.

لذلك، فإن الإيمان بالمسيح الذي يقرَّبنا إلى محبة الآب هو عزاء
ما بعده عزاء، مهما كانت الضيقات والآلام، كما أن الأُمجاد
السماوية التي هي إرثُ الابن يسوع المسيح كُتبت لنا بأسمائنا منذ
الآن ونحن نعيشها بالرجاء والإيمان، لأن كل ما يقوله الله لا بد أن
يكون. فإن كان الله ومنذ الأزل دَبَّر أن يُرَقِّي الإنسان إلى
مستوى الابن ليفوز بالحب الذي أحب به الله ابنه، فلا بد أن
ذلك يكون.

صلاة

إن كان قد دَبَّر العدوُّ لنا مصايدَ وشباكاً لِيُوقِعَنَا فيها،
فقد حَطَّمَهَا كُلُّهَا، يا ابن الله، على الصليب!
لقد ظفرتَ بالعدو رأس الحية القديمة مع كل أعوانه،

وأوردته موارد الهلاك تمهيداً لبحيرة النار،
وهكذا أفلت الإنسان من شباكه وانطلق،
وانتقل بذلك حظنا ونصيئنا من حدود الأرض الضيقة،
إلى سعة السموات والأبعاد المعدّة،
فإن كنا نتألم قليلاً، فلأننا سنتمجد كثيراً.

٨ يوليو ٢٠٠٥



«مَنْ سيفصلُنَا عن محبة المسيح؟ أشدَّة أم ضيقٌ أم اضطهادٌ
أم جوعٌ أم عُريٌّ أم خطرٌ أم سيفٌ، كما هو مكتوب: إننا
من أجلك نُمات كل النهار، قد حُسبنا مثل غَنَمٍ للذبح،
ولكننا في هذه جميعها يعظُم انتصارُنَا بالذي أَحَبَّنَا»

رسالة رومية ٨: ٣٥-٣٧

حُبُّنا للمسيح صار إيماناً، يملأ عقلنا ووجداننا ويملك على
روحنا، فلا يعود شيء في الوجود يفصلنا عن محبة المسيح. فمهما
جَرَّب العدو أسلحته كلها، واتحد مع العدو أعداؤنا الطبيعيون مع
كل كوارث الدنيا، فهذه كلها تسقط مغلوبةً تحت أرجلنا.
كيف؟

لأننا مُتُّنا بالجسد مع المسيح على الصليب، وجُزْنَا معه كلَّ
صنوف الآلام والتعذيب والتعير والضرب على الرأس والجُلْد
على الظهر وكل الجسم والبُصاق في الوجه، مع كل الخزي
والعار والفضيحة أمام العالم كله، وفي آخر هذه السلسلة من
الآلام قَبَلْنَا الموت، ومُتُّنا فعلاً مع المسيح!!! ولكن لم تؤثر فينا

كل هذه الصنوف من الآلام ولم يَزِدْ الموت عن كونه موت
الجسد العتيق الذي صُلب مع المسيح ومات بكل خطاياه، فماذا
بعد؟

بعد هذا، وبالرغم من كل هذا، أقام الله الآب ابنه المحبوب
يسوع المسيح بشدة قوته^١، وأقامنا معه كخليقة جديدة لا تجوز
فيها خطية ولا موت!

وهكذا انتهى عصر غلبة الشيطان وكل أعوانه، لأن المسيح
ظفر به مع كل أعوانه على الصليب^٢ وأورده مَوْرِد الفضيحة
والعار، وأسقطه من سلطانه في السماء إلى أسافل الأرض مقيّداً
ومذلواً بانتظار بحيرة النار، فممن نخاف بعد، ولمن نُستعبد بعد
أن حرّرنا المسيح من كل قيود الشيطان والخطية والموت، لذلك
صرنا خليقة جديدة غير قابلة لا لخطية ولا لموت الخطية بعد.

فكل صنوف الآلام والأوجاع والاضطهادات والظلم التي
ذكرها بولس الرسول في برنامج الإنسان العتيق، كلها نسقطت
عن الإنسان الجديد بدون جهد أو عمل أو قوة من قِبَل الإنسان!

١ أنظر أف ١: ١٩، ٢٠.

٢ أنظر كو ٢: ١٥.

فهذه نُصرة المسيح على الشيطان وكل أعماله وغلبته على الدنيا بكل أهوالها وتهديداتها، سَلَّمها لنا كعمل فداء بالدم، مَسَحْنَا به، فَقُمْنَا بقيامته لعالم الله الجديد، مدعوِّين من الله كأبناء وأعضاء أهل بيته^٢، المقدَّسين في الحق والمدعوِّين مع المسيح لميراث مُلك الله للحياة الأبدية التي لا يشملها زمان بعد ولا حزن ولا كآبة ولا تنهَّد، بل رحمة فائقة بعمل نعمة مجاني وتبرير إلهي لا يُنزع منا.

فمهما تضافرت قوة العدو مع غضب الطبيعة وقيام كل كوارث الدنيا في وجهنا، فنحن لا زلنا أعظم من منتصرين بالذي أَحَبَّنَا وفدانًا ونقلنا إلى ملكوته.

فهذا الإنسان الفقير والمُسْتَضْعَف، قد ارتفعت قامته في المسيح ليصير أعلى من كل قوة العدو وهياج الطبيعة وغضب هذا العالم الظالم.

وإن كنا قد حُسِبْنَا مثل غَنَمٍ مُعَدَّةٍ للذبح ، فالعَنَمَةُ تحوَّلت إلى أسد في المسيح، وصارت تُرْعِب ذابِحَهَا، وارتفع رأسُها حتى صار أعلى من السموات.

^٢ أنظر أف ٢: ١٩.

صلاة

أيها المصلوب المُقام والجالس عن يمين العظمة، رفعتَ رأسنا،
فلم نُعدْ فريسة للعدو، أو ذبيحة مُعدّة للذبح، بل قوة تُناطح
السماء،

رفعتنا من تراب المذبلة، لُتُجلسنا مع الرؤساء السماويين،
قد انتهى عصر الحزن والكآبة والتهجد، وشعّ علينا نور
القديسين،

لا زلنا غرباء على الأرض ننُ، منتظرين التبنّي فداءً
أجسادنا،

فأسرع وتعال، لأن نفوسنا ضاقت، وتنتظر الانطلاق،
لا تتأخر كثيراً، فقد نضج العنب، وصار إلى حصاد،
أيها الكرام الأعلى، كرّمك عطشان فأوردنا إلى ينبوعك،
وأسقنا من ماء حبك، فترتوي، ولا نعود نُن، فتعال.

٩ يوليو ٢٠٠٥

«الذي لم يُشفق على ابنه، بل بذّله لأجلنا أجمعين، كيف لا يَهْبُنَا أيضاً معه كل شيء»

رسالة رومية ٨ : ٣٢

يتكلم هنا بولس الرسول عن موضوع هو الأكثر حساسية في كل الإنجيل. فهو يصوّر الله الآب وهو يقدّم ابنه للذبح على الصليب دون أن تأخذه شفقة الأبوة على ابنه الوحيد المحبوب. والعقل هنا يقف مشدوهاً، فالمنظر فوق أن يُتصوّر؛ لأنه ليس غَنَمَةٌ تُساق إلى الذبح، بل ابن محبته الوحيد والمحبوب. ويا ليتَه ذَبَحَ بسكين، بل صَلَبُ الجسد على صليب العار والفضيحة، ودقَّ يديه ورجليه بالمسامير، فهي أصعب ميتة يموتها الإنسان، وهو ليس صَلَباً إلى ساعة بل إلى موت بنزيف الدم حتى آخر قطرة. ولكن تصوّراتنا محدودة، فهل يمكن أن نبلغ إلى إحساس الابن على الصليب؟ كيف تَرَكَه أبوه ينزف ويتألم وحده ويتحمّل في جسده الغضّ كل أعمال خطية الإنسان، كل إنسان؟ بل ويتحمّل لعنة العار التي تُلحَق بالمصلوب أمام كل الناس؟

ويا ليتها خطيةٌ واحدٌ فُتَحَتَمَلْ، بل خطيةٌ جميعُ الناسِ قاطبةً.
وهنا يقف بولس الرسولُ برهةً أمامَ هَؤُلَ هذه الكارثة، فإن كان
يَحْتَمِلُهَا الابنُ من أجلِ الطاعةِ حتَّى الموتِ، فما هو المقابلُ الذي
يوازن هذه التضحية التي تفوق الوصفَ؟

هنا ينبري القديس بولس ويطلب عن المسيح أقصى مطالبَ
ممكنة! كيف لا يَهْبُنَا معه كل شيء، وهذا حقٌ مُكْتَسَبٌ في
مقابلِ هذا الدمِ المسفوكِ مع الآلامِ الفظيعة التي تَحْمَلُهَا. ولكن
القديس بولس تَحَيَّرَ ولم يحدد مطالبه، فقال نحن نطالب بالخلاص
من كل شيء مقابل الصليب، وما هو كل شيء؟

هل من الخطية المحسوبة أنها الشوكة المسمومة التي إن أصابت
الإنسان أَرَدَتْهُ قَتِيلًا؟

أم من الموت المرعب الذي بسبب الخوف منه استُعبد الإنسان
لسلطان الموت؟!

أم من الدينونة المزمعة أن تحصد بني الإنسان عن كل ما فعلوا؟

أم من غضب الله الذي اكتسبه الإنسان بسبب عدم طاعته؟

أم من الانتماء إلى الشيطان عدو الله المبغوض؟

أم من مشورة الحية القديمة التي وقع الإنسان في مَكْرِهَا؟

أم من العداوة التي سكنت قلب الإنسان من جهة إخوته؟
كل هذه كانت تملأ قلب بولس الرسول فجمعها معاً وقال:
”كل شيء“.

ونحن لا نستطيع أن نختصر أعمال الابن على الصليب فهي
تفوق العقل والتصور، لأن ما عمله الشيطان في الإنسان العتيق
شوهه للغاية، فبعد أن كان على صورة الله، تشوّهت الصورة
جداً؛ فأصبحت استعادة صورة الله تحتاج إلى خلقة جديدة
يتصور فيها المسيح مع أعماله. وهكذا يستعيد الإنسان، بالتغير
المستمر، صورة خالقه في المجد.

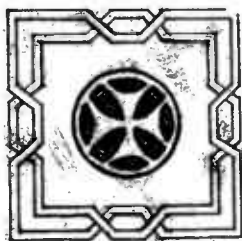
صلاة

لولا صليب ابنك، يا رب، ما أستطعنا أن نقف أمامك،
فصليب ابنك ألبسنا ثوب المختارين عندك،
فالآن نحن نتوسل من أجل صليب ابنك، أن تجعلنا مقبولين
عندك،

ونحن لا نعرف أن نصلي كما ينبغي، ولكن روحك القدوس
يشفع فينا،
كنا نثن في أنفسنا أن نخلع جسدنا القديم، وها أنت ألبستنا
الجديد بنعمتك،

فعهدُ الحزن والأين قد مضى، لأننا نحيا في بهجة قيامة
المسيح،
لقد تعهدَ ابْنُكَ الحبيب أن يعطينا كلَّ شيء، فلم يعد لنا
شيء نطلبه،
فإن كنا مدعوّين عندك، فيكفينا حُبُّكَ.

٩ يوليو ٢٠٠٥



«لأن الذين سبق فعرفهم، سبق فعينهم ليكونوا مشاهين
صورة ابنه، ليكون هو بكرًا بين إخوة كثيرين»

رسالة رومية ٨ : ٢٩

نعم نحن معروفون عند الله منذ الأزل، ولكن العَجَب أنه دبر
حسب مسرة مشيئته أن يسبق فيُعَيِّننا لنكون مشاهين صورة ابنه،
ليس في الشكل أو الصورة، ولكن في حمل صليب الآلام بشبه
المسيح لنكون شركاء صليبه وآلامه، وهكذا دبر الله منذ الأزل
أن تكون الخليقة البشرية مشابهة تماماً لصورة ابنه في الصليب
والآلام، والقيامة والمجد.

وهذا اعتُبر المسيح منذ الأزل أنه بكرُ الخليقة الجديدة، معتبراً
أن المؤمنين بالمسيح سيصيرون إخوة كثيرين والمسيح الرأس يكون
بكرُ الخليقة الجديدة.

هذا التعيين للمؤمنين أن يكونوا إخوة كثيرين حاملين صورة
المسيح في آلامه وصليبه، أعتُبر منذ الأزل أنه الاختيار المبارك من
الله للإنسان الجديد: «مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذي

باركنا بكل بركة روحية في السماويات في المسيح، كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم لنكون قديسين وبلا لوم قدامه في المحبة»^١.

بهذا اعتبر بولس الرسول أننا مُعَيَّنُونَ منذ البدء لنكون مُشابهين صورة ابنه، طبعاً في آلام الصليب ومجد القيامة. فعن حق وحقيقة، صار ربنا يسوع المسيح بالنسبة للبشرية التي خلقها في جسده هو البكر لها، بكر الموت والقيامة والمجد العتيدي، كما اعتُبرت البشرية الجديدة إخوة فيه وهو رأسها.

والذي نركّز عليه من أجل توضيح نصيبنا في المسيح، أن الله منذ الأزل سبق وعرفنا. ومعرفة الآب لنا هي استعلان حقيقة الإنسان بكل ماضيه وحاضره ومستقبله.

أما قوله أنه «سبق وعيّننا»، فقد ضاقت دائرة الاختيار حتى أن الله عيّن منذ الأزل الذين له والذين أحبهم وضحّى بابنه ليكون فدية لهم.

أما أنه جعلنا «مُشابهين لصورة ابنه»، فهذه هي شركة الآلام وشركة الصليب والقيامة وشركة المجد والحياة الأبدية.

هكذا يقول الكتاب: «معلومة عند الرب منذ الأزل جميع

أعماله»^٢، فلا يمكن أن يكون شيءٌ جديدٌ على الله. لأنه سبق ودبر كل شيء، وهذا يعطينا إحساساً عميقاً جداً ومرتفعاً جداً عن علاقة الله بنا. فيقول العهد القديم إنه نَقَشْنَا على كَفِّهِ^٣، والوحي يقول على لسان الله: «هل تَنْسى المرأة رضيعها فلا ترحم ابن بطنها، حتى هؤلاء يَنْسِينَ، وأنا لا أنساك»^٤، و «مَنْ يَمْسُكُمْ بِحَدَقَةِ عَيْنِهِ»^٥. فَعَيْنُ الله على مُخْتَارِيهِ اليومَ كله. ونحن نتحرك ونوجد في دائرة محسوبة من الله لا يمكن أن نتعدّاها.

هذا يجعلنا، كما يقول المسيح: «رعيةً واحدة لراعٍ واحد»^٦. كما يقول: «أنا هو الطريق والحق والحياة»^٧، بل هو الباب الذي يستحيل على أحد أن يدخل إلى الله إلاَّ به^٨.

٢ أع ١٥: ١٨.

٣ أنظر إش ٤٩: ١٦.

٤ إش ٤٩: ١٥.

٥ زك ٢: ٨.

٦ يو ١٠: ١٦.

٧ يو ١٤: ٦.

٨ أنظر يو ١٠: ١٤: ١٤: ٦.

صلاة

حياتي كلها مكشوفة عندك يا الله، فاسترني بسترك،
منذ الأزل نحن معروفون عندك، وقد باركتنا ببركة نعمتك،
عرفتنا طريق خلاصنا، وقُدَّتنا إلى شركة ابنك،
فصارت علينا بركة السماء، وأكَمَلنا المسيرة بصليب ابنك،
وأكملت علينا نعمتك، وفاض برُّ محبتك لنا،
قُدنا يا رب في دَرَبِ صليبك، وأكَمَل لنا قيادتك،
لنبلغ القصد، وتُكَمِل مشورة أبيك في المجد.

٩ يوليو ٢٠٠٥



«مُبَارَكُ اللَّهِ أَبُو رَبَّنَا يَسُوعُ الْمَسِيحُ الَّذِي بَارَكَنَا بِكُلِّ بَرَكَةٍ
رُوحِيَّةٍ فِي السَّمَاوِيَّاتِ فِي الْمَسِيحِ، كَمَا اخْتَارَنَا فِيهِ قَبْلَ
تَأْسِيسِ الْعَالَمِ، لِنَكُونَ قُدِّيسِينَ وَبَلَاءَ لَوْمٍ قُدَّامَهُ فِي الْمَحَبَّةِ»

رسالة أفسس ١ : ٣، ٤

حينما يُحَلَّقُ بولس الرسول في السموات، يُسْمِعُنَا سيمفونية
روحية صادرة من فوق من قلب الله.

لأنه لم يستطع رسول آخر ولا قديس أن يُسْمِعَنَا مثل هذه
السيمفونية البديعة.

فلأول مرة في حياتنا نسمع أن الله باركنا عنده في السماء بكل
بركة روحية، شيء لم يَنْلَهُ قديس ولا ملاك.

معروف أن «بركة الرب هي تُغْنِي ولا يزيد معها تعباً»^١، فهي
هبات غير منظورة رسمها الله ودبرها في الزمن الأزلي، قبل
تأسيس العالم. وهذه البركات ليست جسدية بسل «روحية»،

خاصّةً، لا تزول ولا يُنقصُها حاسد ولا باغض ولا خصم ولا
عدو ولا رئيس، فهي مُسجّلة في السماء بأسمائنا، وليست عن
أعمال ولا استحقاق بل هباتٌ فائقة من نعمة الله وغناه في المجد
بجاناً وبلا مقابل، دبرها الله لنا من خَيْرَيْتِهِ المطلقة. نحن لا نعلم
أصناف هذه البركات فهي شيء يفوق العقل، كلها روحية
مُطلقة، نابغة من أعماق محبة الله التي بلا حدود، معظمها تتوق
الملائكة أن تطلع عليها فهي بركات سماوية ولكن محفوظة لجنس
الإنسان الجديد، كلها تقرّبنا إلى الله وتُزيل كل العوائق التي تعوق
تسامي الإنسان في المجد.

كلها في المسيح يسوع الذي جمع الله فيه كل كنوز الحكمة
والعلم والفهم، ورفع الله ليكون جليسه المحبوب، وأخضع تحت
رجليه كل قُوَى الشر الحاسدة للإنسان والناقمة عليه، رفعه
ليكون شريكه في كل شيء.

وأعطاه مهمة خلاص الإنسان ليُبعد عنه قوة العدو التي كانت
سيطرت عليه وبثت فيه سمّ الخطية، الذي أوْدَى به إلى الموت.
أما الاختيار الذي تم في المسيح فهو الاختيار المتكامل، حيث
أخذ المسيح الجسد العتيق منا وصُلب به ليُحرّرنا منه.
وكانت مسرّة المسيح في تكميل مشيئة أبيه، إذ لما أُدخل

المسيح إلى العالم قال: «ذبيحةً وقرباناً لم تُرد، ولكن هيأت لي جسداً»^٢، «أن أفعل مشيئتكَ يا إلهي سررتُ، وشريعتُكَ في وسط أحشائي»^٣.

ولما تقدم للصليب قيل عنه: «الذي من أجل السرور الموضوع أمامه احتمل الصليب، مستهيناً بالحزي»^٤.

وتقدسينا في المسيح تمَّ كذلك حسب التدبير قبل تأسيس العالم، كل ذلك حتى نترأى أمام الله كقديسين وبلا لوم في المحبة.

وهكذا أكمل الله كل ما يختص بخلاصنا، وتبريرنا، وتقدسينا في المسيح كالتدبير، كل ذلك كسرَّ أزلي، لم يَبُحْ به الله بل ظل مكتوماً منذ الأزل، لم يُخَبَّر به لا ملاك ولا نبي ولا قديس، ولكن أظهره الله أخيراً لرُسُلِهِ وأنبياءِهِ بالروح^٥، وأطلع بولس الرسول على السرِّ المكتوم وبشَّر الأمم الذين اختصَّهم الله بهذا السرِّ، وهو يختصُّ بدخول الأمم في رحمة الله ورضاه، وجعلهم

٢ عب ١٠: ٥.

٣ مز ٤٠: ٨.

٤ عب ١٢: ٢.

٥ أف ٣: ٥.

شركاء في الميراث وتبرير الله.

صلاة

كما ظَهَرَتْ عنايةك بنا، يا رب، منذ الأزل، أَسْكُبُ رحمتك علينا الآن،

قبل تأسيس العالم كنا معروفين ومختارين عندك، كَمَّلْ لنا مشيئتك،

اخترنا في المسيح، فصار اختيارك لنا الآن واقعاً نُحْسُهُ،

واختيارك وتدبيرك من أجلنا، أَلْبَسْنَا رحمتك،

أما وقوفنا أمامك كقديسين وبلا لوم، فهو حديث الملائكة

والشاروبيم،

لأنك أَوْقَفْتَنَا أمامك، وسكبت حُبك علينا،

صرنا خليفة جديدة تتحدث بنعمتك، وتتعجب من رحمتك.

١٠ يوليو ٢٠٠٥

«إذ سبق فعَيْنَا للتَّبَنِّي يسوع المسيح لنفسه حسب مَسْرَّة
مشيئته»

رسالة أفسس ١ : ٥

نتعجَّب كلَّ العَجَب كيف نصير على مستوى مشيئة الله ونحن
خليقة مُسْتَضْعَفَة، سبق أن أذلَّنَا الشيطان وجعلنا عبيداً له وأسْرَى
مشيئته في كل صنوف الخطايا. هو يأمر ونحن نطيع. كيف أنقذنا
الله من براثن هذا العدو الجبار العاتي؟ وأيضاً رَفَعْنَا إلى مستوى
مَسْرَّة مشيئته، وهو يعرف أننا أبناء آدم العُصاة المتمرّدون؟

إن طول أناة الله التي أظهرها نحو خليقتنا البشرية شيء يفوق
العقل، فهو ليس فقط أَحْتَمَلْنَا، بل وأيضاً أَحَبَّنَا، وسَكَبَ رَحْمَتَهُ
علينا بغير حساب. وأخيراً أَدَخَلْنَا في دائرة مَسْرَّة مشيئته تمهيداً
لما سِيَهَبَهُ لنا في ابنه يسوع المسيح.

فأول وأعظم عطية وهبها الله لنا هي إدخالنا في عهد بُنُوَّة له
في شخص ابنه الوحيد المحبوب يسوع المسيح، فنقلنا نُقْلَةً عَظْمَى
من الأرض إلى السماء، ومن مستوى العبيد الخطاة إلى أبناء برٍّ

الله في المسيح! أليس هذا يُذهل الملائكة ورؤساء الملائكة والشاروبيم والساووفيم المخلوقة لتسبيح الله كخوارج منضبطة لا تعمل إلا للسجود لله وتسبيح مجده. ثم يجعلنا نحن في درجة البنين لله على صورة ومستوى ابنه في المجد؟

كل الخليقة السمائية أرواحٌ مُعدّة للخدمة، وأما نحن فيرفعنا الله من مستوى العبيد على الأرض إلى مستوى البنين الذين يقفون أمام وجه الله، محبوبين كقديسين وأبرار في المجد، وعلى مستوى مسرة مشيئته.

ولكن يستحيل أن نعيش في هذا المستوى الفريد للبنوة والمحبة ومسرة مشيئة الله وننسى أن رأس جنسنا الجديد وصاحب الفضل علينا هو يسوع المسيح ابن الله الوحيد، الذي اشترانا من تحت يد القاسي والشرير، وعَتَقَنَا من براثن غلّه وحقدّه ونكده، ودفع ثمن خلاصنا دمه الذي سفكه على الصليب حتى آخر قطرة، فاشترانا شراءً بَصَكُ خَتَمَهُ بدمه، فأصبحت حُرِّيتَنَا في المسيح وبنوتنا لله رُعباً على الشيطان وشوْماً لمستقبله الذي لا بد أن يصير في بحيرة النار إلى أبد الأبد.

ولكن بنوتنا لله أيضاً صارت منظرًا أمام كل الناس، فأصبحنا مُطالِبِينَ أن يكون كلامنا وسلوكنا وعملنا ومشيتنا على مستوى

بني الله المختومين بختم صليب ربنا يسوع المسيح، حتى نكون في كل كلام وكل مشيئة وكل عمل شهوداً ناطقة بعظْمَةِ أَيْبِنَا السماوي، وعلى مستوى دم المسيح الذي خَتَمَنَا به ليوم الفداء.

فإن كانت السموات تفتخر على الأرض لأن فيها شهوداً لله وللمسيح ناطقين بالمجد ومُسَبِّحِينَ على الدوام، فالضرورة قد وُضِعَتْ عَلَيْنَا ونحن حاملون عهد بُنُوَّةِ الله وختم دم صليب يسوع المسيح أن نكون شهوداً بالأعمال والإيمان الناطق بفضل الله والمسيح، وإلاَّ نكون محسوبين مع غير المؤمنين المرفوع عنهم عهد البنوة، الذين ازدروا بالنعمة، وداسوا صليب ابن الله، وظنُّوا أَنَّهُمْ سَيُعْتَقُونَ مِنَ الدِّينُونَةِ الْآتِيَةِ الرَّهِيْبَةِ^١.

صلاة

احسبني يا الله ضمن أولادك، الذين اخترقهم حسب مسرة مشيئتك،

وها عهدي ووفائي، أن أخدم بيعة أجدادي،
أحملُ صليبَ ابنك، كراية نُصرة فوق العالم،
وأصون دمَ المسيح، في أقوالي وأعمالي،

١ أنظر عب ١٠ : ٢٩.

ومسحة الروح القدس تكون قوتي ونشيدي،
أُعْني لِحَبِّكَ وَأُرْتَمِ لاسمِكَ، وأسجد لك بالقلب والروح،
بنوِّي لك أَعْلَى ما اذْخَرْتُهُ في حَيَاتِي، فاحفظها لي.

١٠ يوليو ٢٠٠٥



(أعطانا البنوة) «لمدح مجد نعمته التي أنعم بها علينا في
المحجوب»

رسالة أفسس ١ : ٦

الآية السابقة: «إذ سبق فعيننا للتبني يسوع المسيح لنفسه،
حسب مسرة مشيئته»^١ التي سبق أن شرحناها في المقال السابق،
فيها يذكر بولس الرسول، بروح الوحي الذي فيه، أن الله سبق
فعيننا للتبني يسوع المسيح لقصد سام جداً ونييل، فضّلنا أن
نُجعله في شرح قائم بذاته لعلّو معناه جداً.

فالله وهبنا أن نكون أبناء له حسب مسرة مشيئته لمُدح مجد
نعمته، والآن ما معنى «مجد نعمته»؟

فنعمة الله هي هباته المجانية الروحية التي يهبها مجاناً من صميم
طبيعته، وذلك من أجل تقريب الإنسان إليه أو إلى طبيعته حتى
ينعمَ بسخاء الله وأفضاله التي يُغدق بها على أحبائه، وقوله «مجد

١ الآية ٥.

نِعْمَتُهُ» يرفع من درجة النعمة حتى تصل إلى مستوى مجده، ومجد الله هو تفوقه المطلق في كل عظمة وبهاء ونور.

وهذه النعمة المتعالية جداً في المجد هي فائقة المنال، يستحيل على الإنسان أن يبلغها مباشرة، لذلك سَرَّبَهَا الله لابنه حتى يستطيع ابنه أن يمدِّنا ويغذيَنا بها. وبالفعل، استطاع المسيح بواسطة آلامه وصلبيه أن يُسَرِّبَ لنا نعمة مجد الله في هيئة سخاء فائق الوصف من جهة غفران خطايانا، إذ كان لا يمكن بأية وسيلة أخرى أن يجعل مجد نعمته تطفئ لظلي لهيب خطايانا، لأن نار خطايانا كانت قادرة أن تترجنا في لهيب نار جهنم، لأن نار خطايانا كان يليق بها نار جهنم التي هي من طبيعة خطايانا كما أنها من طبيعة إبليس وأعوانه. وكان صعباً على المسيح أن يُسَرِّبَ لنا مجد نعمة الله لولا محبة الله الفائقة للابن. فابن الله يمكن أن نسميه دون أن نخطئ أنه المحبوب. هذه الطبيعة التي للابن، أي حب الله فيه، ترفعه إلى مستوى الله الآب، فحب الآب للابن يساوي حب الابن للآب. وقد نالنا من الحُبِّين الذي للآب والذي للابن ما يجعلنا واحداً فيهما بالحب. فيا لمجد نعمة الله الفائقة التي سكبها الله علينا في ابنه المحبوب!

لقد صار الابن في الآب بالحب وصار الآب في الابن بالحب،

وفاض علينا حب الآب وحب الابن، وهكذا دخلنا في وحدة محبة الله، كخلقة جديدة أنعم الله عليها بمجد نعمته.

فالله عَيَّنَا للتَّبَيُّ يسوع المسيح حسب مسرة مشيئته، ثم أفاض علينا من مجد نعمته، فدخلنا في شركة حب الله كخلقة جديدة مُنَعَمٌ عليها بالمجد والحب.

كيف صار هذا؟ وكيف كنا ولا زلنا غرباءَ عن هذا التَّبَيُّ المُنَعَم به علينا بمجد؟

أيها القارئ العزيز، أخاف جداً أن يدخلك الشك في هذا الوعد، وعليك أن تعرف وتؤكد أن هذه الحقائق والحقوق لا تُعطى إلاَّ للمستحق، والمستحق هو من آمن بها، فأمن بهذا الحق ليكون لك.

فالوعد بالتَّبَيُّ قد نُفِّذَ وصار، والوعد بغَنَى حب الآب في المجد حلَّ وتمجَّد في مستحقه، ومُستحقوه نحن، وليس أحداً آخر.

صلاة

إليك، يا حُبَّ الله في المجد، أَطأطِئُ رَأْسِي، لِيَحِلَّ عَلَيَّ حُبُّكَ،
وَأَنْتَ، يَا يَسُوعَ، يَا مَنْ صَرَتْ رَأْسَ جَنْسِنَا، نَحْنُ نَحْبُكَ،
وَيَا رُوحَ اللَّهِ الْقُدُّوسَ، الَّذِي يَعْمَلُ فِينَا فِي الْخَفَاءِ، اقْبَلْ حُبَّنَا،
فَمَحَبَّةَ اللَّهِ، هِيَ رَأْسُ مَالِنَا فِي هَذَا الْعَالَمِ الشَّرِيرِ،
وَمَنْ يُحِبُّهُ اللَّهُ، فَقَدْ صَارَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، فَأَحْبِبْنِي يَا اللَّهُ،
الْحَبُّ مَذْهَبِي، وَهُوَ رَأْسُ مَالِي وَغَنَائِي، وَلَا أَمْلِكُ سِوَاهُ،
أُحِبُّكَ، يَا اللَّهُ، حُبَّيْنِ: حَبًّا لَأَنِّي وَلَدُكَ، وَحَبًّا لِأَنَّكَ أَهْلٌ
لِذَاكَ.

١٠ يوليو ٢٠٠٥



(المحبوب) «الذي فيه لنا الفداء بدمه غفران الخطايا حسب
غنى نعمته»

رسالة أفسس ١ : ٧

الفداء الذي تمّ لنا بدم المسيح لم يكن مجرد طاعة للآب، ولكن
المسيح أظهر بسفك دمه من أجل الخطاة غنى نعمته التي ساقته
حتى الصليب، والتي ظلّت تنضح من دمه على خطاة كل
الأجيال، فالدم وحده فداء وغفران. ولكن دم المسيح كانت فيه
نعمة بل غنى نعمة مُهرقة. فكأن الدم ينسكب على رأس الخاطئ
ومعه غنى نعمة المسيح، حيث النعمة مُقتطعة من طبيعة المسيح
وجسده. فالدم الذي يفعل مع النعمة يفدي ويُغني. فنحن، بدم
المسيح، ونعمته نُفتدى من خطايانا ونمتلئ من نعمة المسيح، التي
تجعل الفداء ارتقاءً من مستوى خاطئ مغفور له الخطايا، إلى
مستوى محبوب يرقى في مجد الابن، لأنّ الدم هو الحياة. فنحن
نستقي مع الدم نعمة الحياة في المسيح، وحياة المسيح ارتقاءً من
مجد إلى مجد. وهكذا يتصور المسيح فينا وتتغير صورتنا من مجد

إلى مجد. وهذا هو الإنسان الجديد تتغير صورته لكي يكون على صورة خالقه^١، ليس جزافاً، بل بعمل الكلمة الحيّة الفعّالة القادرة فعلاً أن تتغلغل خليقتنا، تبني وتُشكّل.

فالمتملذ للإنجيل يأخذ صورة المسيح لا محالة، وتقوده النعمة لكي يوصل الكلمة إلى مستحقيها الواعين بقيمتها وفعلها.

لهذا فقول بولس الرسول "الفداء حسب غنى نعمة المسيح"، يعني فداءً ومعه العمل المساعد الذي يجعل الفداء بناءً وتجديداً. فغنى المسيح في الفداء والغفران غنى يشمل الخاطئ ويمسك بيده بعد أن يفديه، ليقوده في درب الخلاص المؤدّي للحياة. لأن سفك دم المسيح يعني أيضاً وبالضرورة فيض الحياة التي للمسيح ليحيي بها موتى الخطية. فالمسيح يفيض بدمه وحياته ليقيم من الموت، ويبني الإنسان الجديد، لأن حياة الإنسان الجديد هي انسكاب حياة المسيح على مَفْدِيّي المِسْحَةِ ليقبلوا الغفران والحياة الجديدة معاً. لذلك دُعي المسيح رأس الخليقة الجديدة.

فالفداء الذي أكمله المسيح على الصليب بدمه يلزمه انسكاب روحه على القائم من الموت ليقتني الحياة الجديدة، أما

^١ أنظر كو ٣: ١٠.

غَنَى نعمة المسيح الذي سَفَكَ دمه لغفران الخطايا فُتِرافَقَ الذي
غُفِرَتْ لَهُ خطاياهُ لِيَقْتَنِي حَيَاةً تَلِيْقُ بِالْفِدَاءِ.

والمفديون الذين قَبِلُوا نعمة المسيح مع حياتهم الجديدة، لهم في
السمااء درجات خاصة بهم، وخَوَارِس لا تكفُّ عَنِ الشكر
للجالس على العرش من أَجْلِ الفداء الذي نالوه مع النعمة. وهم
يُعتَبَرُونَ شُهَدَاءَ الفداء وَغَنَى نعمة المسيح، لا يكفُّون عَنِ التسبيح
والسجود والشكر.

وَتُعتَبَرُ السمااءُ غَنِيَّةً بِالْمُقَدَّسِينَ، وهم يَكُونُونَ أَكْبَرَ خَوَارِس
تسبيح لمجد المسيح على الفداء الذي أكمله، والنعمة التي أَفاضَ
عليهم بها. يلبسون ملابس بيضاء، كنايةً عَنِ حياتهم الجديدة التي
تَطَهَّرَتْ بِالدَّمِ، وهم موضع تَكْرِيمٍ وتقديرٍ ومديحٍ مِنْ كافَّةِ
القدَّيسِينَ، بسبب دَمِ المسيح الممسوحين به، فهم شُهَدَاءُ المسيح
فِي المجد.

صلاة

أيها المصلوبُ عنا، نحن نعطِرتُنا بَعطُر دَمِكَ،
وصار دَمُكَ فينا، علامة طُهورٍ وقَداسةٍ وفداءٍ،
اشترَيْتَنَا بِأَعْلَى ثَمَنٍ، على الأَرْضِ وَفِي السَّماءِ،

وصليُّك صار علامة فخر لنا، فزِم به أعداءنا،
ولأنه قوة الله العظمى للخلاص المجاني، صار فخرنا في
الأرض والسماء،
واسمك صار حلوّاً في فمنا، كعطر كثير الثمن،
ونعمتك انسكبت علينا، ففتحت الطريق أمامنا لتبعلك.

١٠ يوليو ٢٠٠٥



«غنى نعمته التي أجزلها لنا بكل حكمة وفطنة، إذ عرفنا
بسر مشيئته حسب مسرته التي قصدها في نفسه»

رسالة أفسس ١ : ٧-٩

حينما أفاض المسيح علينا من غنى نعمته، كانت النعم متراحمة،
حتى أننا عجزنا عن استيعابها لفيضها المتناهي في الكثرة. ولكن
عندما استوعبناها ظهرت أماننا متناسقة في الحكمة، تُعبّر عن
فطنة فائقة عن حدود الإدراك. لأن من استطاع حتى الآن أن
يستوعب صليب المسيح أو يسسبر غور الفداء الذي أكمله بدمه
والآلام التي عاناها على الصليب وما قبل الصليب؟ ولكن في هذا
كله استعلنّت مشيئتك، يا الله، ومنها أدركنا أنه بسرور وحسب
قصديك وتديريك الذي قصدته في نفسك، ظهرت لنا قوة الفداء
الذي دبّرت، ومغفرة خطايا العالم كله التي أكملها ابنك على
صليب محبته، الذي عرفنا بسرّ مشيئتك التي أخفيها عن الحكماء
والفُهاء، وحتى السمائيين والأنبياء والقديسين، وأظهرها أخيراً
لرُسلك وتلاميذك، واستعلنّت لبولس الرسول فتغنى بها وكرّر

للعالم كله كاشفاً عن مقاصدك من أجل الأمم، إذ أَدْخَلْتَهُمْ فِي تَدْبِيرِكَ لِيَعِيشُوا بِالْإِنْجِيلِ وَيَشْتَرِكُوا فِي الْجَسَدِ وَالْمِيرَاثِ.

وهكذا اسْتَعْلَنْتَ نِعْمَةَ اللَّهِ الَّتِي أَجْزَلَهَا اللَّهُ لِلْعَالَمِ بِوِاسْطَةِ ابْنِهِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ، وَانْكَشَفَ الْقَصْدَ الْحَكِيمَ وَالْمُبَارَكِ، الَّذِي وَضَحَ فِي اخْتِيَارِنَا فِي الْمَسِيحِ لَنَكُونَ قَدِيسِينَ وَبَلَائِ لَوْمٍ عَلَى أَسَاسِ مَحَبَّتِهِ الْفَائِقَةِ، كَمَا اخْتَارَنَا وَعَيَّنَّا لِلتَّبَنِّيِّ لَنَكُونَ بَنِي اللَّهِ بَعْدَ أَنْ كُنَّا بَنِي آدَمَ الْمُسَخَّرِينَ تَحْتَ مَشِيئَةِ الشَّيْطَانِ، وَنَقَلْنَا مِنْ أَجْلِ مَحَبَّتِهِ الْعَظِيمَةِ إِلَى دَرَجَةِ الْبَنِينَ. وَهَكَذَا سَبَقَ اللَّهُ، وَبِحَسَبِ تَدْبِيرِهِ قَبْلَ كُلِّ الدَّهُورِ، اخْتَارَنَا فِي الْمَسِيحِ لَنَكُونَ أَوْلَاداً لَهُ بَعْدَ أَنْ كُنَّا عِبِيداً. مِنْ أَجْلِ هَذَا الْقَصْدِ الْمُبَارَكِ أَرْسَلَ ابْنَهُ لِيَقُودَنَا فِي مَوْكَبِ نَصْرَتِهِ بَعْدَ أَنْ فِدَانَا عَلَى الصَّلِيبِ، وَأَقَامَنَا مَعَهُ بَلٍ وَأَجْلَسَنَا عَنْ يَمِينِ اللَّهِ لَمَّا جَلَسَ هُوَ بِالْجَسَدِ الَّذِي لَنَا.

هَذِهِ هِيَ مَقَاصِدُ الْعَلِيِّ الَّتِي قَصَدَهَا فِي نَفْسِهِ مِنْ أَجْلِنَا. فَنَحْنُ مُخْتَارُونَ فِي الْمَسِيحِ مِنْذُ الْأَزَلِ، بَلْ وَمَعَيَّنُونَ أَبْنَاءَ اللَّهِ فِي بَنُوَّةِ الْمَسِيحِ، فَكَانَ ذَلِكَ مَوْضِعَ مَسَرَّةِ اللَّهِ، وَكُلُّهَا مَذْخَرَةٌ فِي مَشِيئَتِهِ الَّتِي جَعَلَهَا سِرّاً مَكْنُوناً لَمْ يَطَّلِعْ عَلَيْهِ لَا مَلَائِكَةٌ وَلَا قَدِيسُونَ وَلَا أَنْبِيَاءُ، وَلَكِنَّهُ أَظْهَرَهَا فِي أَوَاخِرِ الْأَيَّامِ وَأَعْلَنَهَا لِقَدِيسِيهِ بِالرُّوحِ، وَكَانَ بُولُسُ الرِّسُولُ وَاحِداً مِنَ الَّذِينَ اسْتَعْلَنُوا سِرَّ اللَّهِ هَذَا،

فكرز به للعالم كله.

وإن أعظم ما يثيرنا ويدهشنا في عناية الله الفائقة ورحمته علي بني جنسنا، هو ما عمله المسيح فينا بتقديمه نفسه وجسده فدية لنا، وبذوقه ألم الموت بتفرعاته، وبما سبقه من تركيز الآلام عليه بصورة لا يمكن احتمالها، كان مُرتباً عند الله منذ الأزل.

نعود ونكتشف في دوسيه خلاصنا، أنه سبق وأعدَّ كل شيء من جهة قداستنا وبرنا المكتسب. فترتيب نصيبنا في حياة الابن وميراثه كان قبل الزمن ومنذ الأزل، بحيث لو أردنا أن نسجلها هنا أمام القارئ فستأخذ صفحات وصفحات. فما هو سرُّ هذه الأبوَّة الفائقة، ونحن أصلاً خليفة عاقَّة أتعبت الله منذ أول الآباء، إلى أن أدركنا ابنه وصنع لنا الفداء والغفران الذي أعاد جنس الإنسان إلى التحنُّس بجنس المسيح، لنكون حسب المكتوب «أعضاء جسمه» الحيِّ الصاعد إلى السماء لندخل مجده الأسنى باعتباره ابن الله الوحيد، بل ولْيُشركنا أيضاً في مجده، وبرّه، وقداسته، وبُنوّته. ويزيد بولس الرسول بحسب الاستعلان، أننا أصبحنا «أعضاء جسمه (الجديد) من لحمه ومن عظامه»^١.

صلاة

نحن نرفع أصواتنا، يا رب، لنشهد لدى الخليقة كلها أنك
تبنيّتنا،

كنا تحت عبودية الخطية والموت، ورفعتنا إلى قديسيك،
كنا عبيداً تحت عبودية الموت، ووهبتنا حرية البنين
وقد استهم،

فآية نعمة هذه، التي أرتفعت إلى مستوى الحب الأبوي،
وآية حكمة وآية فطنة، وصلّت إليها خُطّتك بخصوصنا منذ
الأزل،

والآن عرفنا مشيئتك المقدسة، وانكشف لنا برُّ نعمتك،
فنحن مديونون، ليس فقط بأعمال الصليب وما تمّ، بل
وبأزلية محبتك،

فلو كان الصليب يكشف مدى حبّك، فماذا يكون التبنّي،
وإن كان التبنّي قد هيأ لنا الخلود، فإلى أين سيوصلنا حبّك،
لقد انتهينا من قصة فدائنا أننا نحيا لا نحن، بل أبْنُك هو الحيُّ
فيّنا.

١١ يوليو ٢٠٠٥

«لتدبير ملء الأزمنة، ليجمع كل شيء في المسيح،
ما في السموات وما على الأرض في ذاك (أي المسيح)»

رسالة أفسس ١ : ١٠

هنا يفتح لنا الوحي الذي يُملئنا على بولس، أسرار الفداء، بل ويعود ويفتح لنا أبواب السماء، كاشفاً عن استعلان الابن وهو في حضن الآب، وأمامه أُسْرِى حُبُه في السماء وأُسْرِى حُبُه في الأرض. إذ استطاع بقوة محبته الفائقة وتواضعه، الذي لم يسبقه فيه سابقٌ مع هيئته وسلطانه الفائق على الأرض وفي السماء، أن يجعل كل الخليقة، سمائيةً كانت أو أرضيةً، أن تدخل في دائرة محبته التي أُسَرَّتْهم جميعاً، فصارت الخليقة كلها في السماء وعلى الأرض أُسْرِى حُبٍ وأُسْرِى رجاء للمسيح.

أما كيف جمعها كلها تحت لواء حُبِه، فهذا يحتاج إلى استعلان آخر أعلى، حيث يدخل الآب مع الابن في جَمْع الخليقة كلها تحت لواء لاهوته الذي يملأ الكل ويفيض على الكل نعمةً وبراً وفداءً، ليزداد الله بها في سعة سلطانه وملوكية مجده الأسنى. لأن هذا هو سر الله المكنون، أنه كلما أعطى الآب من حُبِه، كلما

يضطرم حُباً؛ وكلما أعطى من لاهوته، لا ينفد ملء لاهوته، وهكذا حصل على ملء الخليقة كلها لما دعاها إلى مُلكه.

والصعوبة كل الصعوبة هي أننا كيف نعطي الله الخضوع الكامل ونردُّ على حُبِّه الكامل وبرِّه الكامل والأبدي؟ كيف نقدم الشكر للآب والحُب للآب والابن والطاعة الكاملة التي تُرضيه أمامه؟ كيف نسلِّك كخليقة جديدة تَحَنَّنَت بِجَنَس الابن القائم من بين الأموات في المجد؟

لو اجتمعت كل الكنائس واتفقت معاً وبصوت واحد، أن تشكر وتُسَبِّح وتسجد وتعترف بمجد الآب والابن، فهذا شيء قليل جداً. ولكن بحسب مستوى طاعتنا لله الحالية وتواضعنا أمامه، فهل لا تجتمع الكنائس أبداً إلا - لا سمح الله - على تشليح عضو فيها أو قطع الأعضاء الذين يتسمون لأعضاء غرباء عنها، وكأن الكنائس لا تتبع إله السماء، وكأن الكنائس - لا سمح الله - في شجار مستمر، كنمط يسلمونه للأعضاء الجدد!

وهذا هو الحال، ولو أنه لا يُسرُّ حبيباً ولا عدواً، ولكن ما الحيلة فنحن جميعاً حسب الكتاب نُحَسِّب أعضاء جسد المسيح الواحد، رضينا أو لم نَرْضَ.

ولكن الحزن الذي يتملك الآن علي قلوبنا، أن المشلوحين من الكنيسة هم الذين يُحَسِّبون أكثر عملاً وأكثر خدمة، ونحن

نسأل مجرد سؤال، لماذا؟ وهنا تستحيل الإجابة! ولكننا نصلي!!
فلا زالت رحمة الله ونعمته تنتظر مَنْ يطلبها، لعل ما تصلي به
الكنيسة يسمعه الله:

”أعطنا القلب الواحد!!“
”رجعةً للخاطئ وصخرةً للنائم“
”وحباً للجميع“

صلاة

إن كانت كنيستك، يا رب، هي جسدك وأنت رأسها،
فأفقد الجسد لأنه اعتلّ، والرأس لأنها في وجع،
أعضاء جسدك ليسوا في وفاق، فهل تفتقدهم،
وتُحنّ قلب الأعضاء، لتتقابل يوماً في الصلاة أمامك،
لأنك إذا افتقدت الأعضاء الموحدة، صَحِيَتْ السليمة،
كل الأعضاء تَهْتَف بالأمانة لك، فهل تصدّق وهل تسمع؟
جسدك مريض، يا يسوع، فأين نبحت عن شفاء،
الكل يُغْنَى وَيُرْتَم وَيُسَبَّح، ولكن صوت الأنين هو الغالب،
لمن نذهب والصُّلح الوحيد هو معك، والرُّضا والتسامح
والغفران.

١١ يوليو ٢٠٠٥

«الذي فيه أيضاً نلنا نصيباً، مُعَيَّن سابقاً،
حسب قصد الذي يعمل كل شيء حسب رأي مشيئته.
لنكون لمدح مجده، نحن الذين سبق رجائنا في المسيح»

رسالة أفسس ١ : ١١، ١٢

هنا يأتي بنا بولس الرسول إلى نصيبنا في الميراث الأبدي الذي
ليسوع المسيح، والذي صار لنا نحن أيضاً الذين نُحسب أننا
شركاء قيامته وميراثه. وهذا، إذ أكمله المسيح على الصليب
وبالقيامة من بين الأموات، صار حالياً راهناً نملكه مجاناً، ولكن
كحالة شراكة مع المسيح.

ولقد رجع بولس الرسول خطوة كبيرة إلى ما قبل الزمن،
ليُعلن أن هذا النصيب الذي هو شركة في ميراث الابن، هو حال
تصور سابقاً ودُبر سابقاً في تدبير الله المطلق، ذلك بحسب القصد
الذي قصده الآب كمشيئة مرسومة منذ الأزل في ذهن الآب،
حسب رأيه الخاص، كقصد لا بد أن يتم في وقته المعين من قبل
الآب.

أما لماذا سبق الله ودبر لنا هذه المشيئة وهذا التدبير في الزمان الأزلي وقبل خلقه العالم، فقد أعلنه بولس الرسول حسب وحي الله له، أن هذا القصد وهذه النية التي كانت من أجلنا في الأزمنة الأزلية، كانت لأن الله رأى حسب قصده المبارك أن يكون للخليقة البشرية بعد أن يجددها بالفداء وبالروح القدس وجوداً عنده، بل وأمامه، ليصير منها مدخٌ مجد الآب بتسبيحٍ مثل تسبيح الشاروبيم لا يكفُّ ليلَ نهار، خاصة بعد أن نكون قد تقبلنا الرجاء الحي في المسيح يسوع.

فرجاؤنا الحي بالمسيح سابقاً ولاحقاً، هو الذي أنشأ فينا روح التمجيد والتسبيح لله.

ونحن حينما نُمجِّد ونُسبِّح الله الآب في المسيح، فتسبيحنا لا يمكن أن يساويه أي تسبيح وتمجيد من خليقة أخرى مهما كانت سماوية.

لأننا إنما نسبِّح ونُمجِّد بالروح القدس المعطى لنا بتوسط الابن، بمعنى أننا نأخذ من طبيعة الله ونقدِّم لله، وهذا لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يشابهنا فيه أيُّ مخلوق آخر في السماء وعلى الأرض.

فنحن الخليقة الوحيدة التي سُمح لها بسبب تجسد الابن

وإعطائنا جسده المملوء بملء اللاهوت، أننا بهذا الجسد نقف أمام
الآب في ملء القداسة، وبلا أي لوم، وفي محبة الله، نُسَبِّحُ ونعطي
المجد لله.

هكذا يشترك سَبَقُ رجائنا في المسيح، وحال شركتنا فيه على
الصليب والموت والقيامة والصعود والجلوس في المسيح عن يمين
الآب، مع واقع الرجاء الحيّ في الصليب والغفران والتقرب إلى
الله! لنبلغ إلى مَدَحِ مجد الآب عن صحة واستحقاق، كخليقة
تَمَجَّدَت بمجد الله.

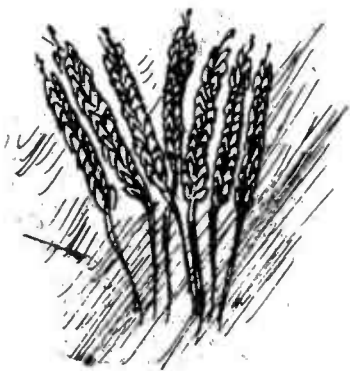
كل هذا يقوم على أساسين: الأساس الأول، سَبَقُ اختيارنا في
المسيح قبل تأسيس العالم؛ والأساس الثاني، وبحسب سَبَقِ اختيارنا
بمسيئة الآب في الأزمنة الأزلية حسب مسرة نفسه، أن نكون
خليقة جديدة مقبولة أمامه.

صلاة

ماذا نقول أيها الآب الحنون، الطويل الروح والكثير الرأفة،
لأننا بحسب مسرة مشيئتك، منذ الدهر والأزل،
اخترتنا في المسيح ابنك الوحيد المحبوب، لنكون أولادك،
بعد أن كنا عبيدا مطرودين من أمامك، صرنا أمامك
ممجدين،

وبعد أن كنا عبيداً للخطية والموت، صرنا أحراراً وقديسين،
فلولا أنك وَعَدْتَ، وأنت الصادق والأمين، أننا سنكون
لمدح مجدك،
ما كان يمكن أن يكون لنا دالَّة أمامك،
ولكن بحسب وعدك الصالح، ونعمة عطيتك الفائقة، نفتخرُ
بك،
أمام كل خليقة أخرى، في السماء وفي الأرض، لأنك
اخترتنا فيك.

١١ يوليو ٢٠٠٥



«الذي فيه أيضاً أنتم، إذ سمعتم كلمة الحق إنجيل خلاصكم، الذي فيه أيضاً، إذ آمنتم ختمتم بروح الموعد القدوس، الذي هو عربون ميراثنا لفداء المقستنى لمدح مجده»

رسالة أفسس ١ : ١٣، ١٤

هنا يدخل الإنجيل كقوة غالبة وقاهرة، فبمجرد أن ينطق كلمة الحق، تنحني أمامه كل قامة بسلطان فائق قادر أن يتغلغل، لا يُخضع كل عقل، بل يُسيطر عليه بسلطان قوة الله التي لا تُغلب.

والإنجيل هو كلام الله، ليس ككل كلام، بل لأن الكلمة فيه هي الحق القادر أن يكشف خفيات الضمائر التي تعيش حسب ظلمة هذا الدهر، ويضعها أمام نور الله الذي يخطف القلوب ويأسرها بسلطان الحق القاهر.

فلما أراد بولس الرسول، كمُختبر، أن يصف سلطان كلمة الله

في الإنجيل قال إلهنا: «أَمْضَى مِنْ كُلِّ سَيْفٍ ذِي حَدَّيْنِ»^١ إِذَا نَفَذَ فِي أَيِّ جَسَمٍ، فَصَلَّ كُلُّ مَا فِيهِ مِنْ لَحْمٍ وَعَظْمٍ وَمَخَاخٍ حَتَّى مَا بَيْنَ النَّفْسِ وَالرُّوحِ، الَّتِي هِيَ أَخْفَى خَفَايَا الْإِنْسَانِ. فَكَلِمَةُ اللَّهِ تَقْدِرُ أَنْ تَمَيِّزَ مَا هُوَ لِلنَّفْسِ وَمَا هُوَ لِلرُّوحِ، شَيْءٌ يَفُوقُ الْعَقْلَ وَكُلَّ قُوَّةٍ مُسَلِّطَةٍ عَلَى الْإِنْسَانِ.

بمعنى أن كلمة الإنجيل، حينما يُصغي إليها الإنسان الطالبُ المعرفة، فهو يميّز في الحال ما هو حاله، ويتقابل، دون أن ينتبه، مع صحوة ضميرٍ يقطع بالحق كالسكين.

فالإنجيل بحدّ ذاته لا يُظهر سلطانه إلّا على الضمير الذي سلّم نفسه له، فهو يسترجع كل ما عمله الإنسان في لحظة ويوقفه، كدَيّان، ليحكم على نفسه بنفسه، دون تدخّلٍ آخر. ولكن أثنى ما يقدم الإنجيل المقروء بنية معرفة الحق والخضوع له، هو الخلاص الذي أكمله المسيح على الصليب، فصوت الله من داخل الإنجيل يوقظ الضمير ويوقفه أمام الحق.

وحيثُ يدرك الإنسان أن قوّة خفيّة بدأت تسيطر على النفس. يقول بولس الرسول إن هذا التحرك الداخلي هو بداية عربون

الروح القدس الذي يهبه الله لإنسان الإنجيل، لأن الإنجيل هو
الدَّرب الذي يوصل إلى الروح القدس. فبمجرد أن يتحرك
الضمير، يكون معنى هذا أن الروح القدس وضع بَصْمَتَهُ على
قلب الإنسان، وفتح أمامه طريق الخلاص، وبأن واحد ضَمَنَ له
نصيبه في ميراث المسيح المُعدَّ للذين أعطوا أنفسهم للإنجيل
ولاقتناء الروح القدس، دون أي جهد أو عمل نقوم به، لأن كل
عطايا الخلاص مجانية صِرْف، لا يمكن اقتناؤها إلا باقتناء الإنجيل
كلمة خلاصنا.

فإن مجرد السماع لكلمة الحق بضمير صاحٍ وقلب مفتوح،
تكون دعوةً للروح القدس لكي يأتي ليملك ويقود الإنسان حتى
يورثه الخلاص، وبالتالي الميراث المُعدَّ، وهو أعظم هدايا الروح
للإنسان الراجع للمسيح.

وللروح القدس خَتَمٌ يوقِّعه فوق روح الإنسان، فيصبح من
أصحاب أملاك الابن في مجده.

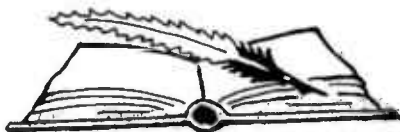
هذه كلها أمور حقيقية لا غشَّ فيها ولا زيادة ولا نقصان، لا
يستحقها إلا الإنسان الذي آمن بها.

صلاة

كلامُك يا ربّي حلّو في حلّقي، أكلّته فصار هذيدي النهار
كله،

تعرّفتُ علي الحقّ لما تلوّتُ أقوالك، فصارت نوراً لسبيلي،
كنتُ مُتغرباً وحدي في دنيا الملاهي، فأعاد كلامُك صوابي،
كلامُك يُعلّم الحكمة، ويورّث الإنسان الفطنة،
صرتُ كبهيم عندك، ولكن إنجيلك ورّثني ميراث ابنك،
كنتُ أفقر فقراء الدنيا، ولما اقتنيتُ إنجيلك دخلّني الحكمة،
لا يُعَدُّ يفتخر الحكماء بحكمتهم، فكلمة الإنجيل أعجزهم.

١١ يوليو ٢٠٠٥



«مُسْتَتِيرَةً عَيُونُ أَذْهَانِكُمْ، لَتَعْلَمُوا مَا هُوَ رَجَاءُ دَعْوَتِهِ، وَمَا هُوَ غَنَىٰ مَجْدِ مِيرَاثِهِ فِي الْقَدِيسِينَ، وَمَا هِيَ عَظَمَةُ قُدْرَتِهِ الْفَائِقَةُ نَحُونًا نَحْنُ الْمُؤْمِنِينَ، حَسَبَ عَمَلِ شِدَّةِ قُوَّتِهِ، الَّذِي عَمَلَهُ فِي الْمَسِيحِ إِذْ أَقَامَهُ مِنَ الْأَمْوَاتِ، وَأَجْلَسَهُ عَنْ يَمِينِهِ فِي السَّمَاوِيَّاتِ؛ فَوْقَ كُلِّ رِيَاسَةٍ وَسُلْطَانٍ وَقُوَّةٍ وَسَيَادَةٍ وَكُلِّ أَسْمٍ يُسَمَّى، لَيْسَ فِي هَذَا الدَّهْرِ فَقَطْ، بَلْ فِي الْمُسْتَقْبَلِ أَيْضًا»

رسالة أفسس ١ : ١٨ - ٢٠

بولس الرسول رجل انفتحت عيناه لما أخذ إلى السماء الثالثة. هناك انفتحت عيناه، ليست الجسدية بل عيون أذهانه، وهذا تعبير سرّي لأنه يفيد حالة استعلان للحق في جوهره حينما يُوهَبَ رجلُ الصلاة أن يدخلَ فوق دائرة المعرفة العقلية وينفتحَ له أصول الحقائق وجوهرها الإلهي.

وعند هذا الحد يواجه دائرة الدعوة العليا للاستعلان، فتتكشّف أمامه قوة الرجاء الموعود به للإنسان، كما ينكشف أمامه سرُّ

غنى الابن الذي ناله القديسون وعاشوا فيه. ثم يطلع الإنسان الموعود والمسعود معاً على عظمة قدرة الله الفائقة في تعامله مع القديسين بلا مانع، حيث يُسرّب الله للمؤمنين به شدة قوّته التي أقام بها المسيح من بين الأموات، بل وأظهر عمق التساوي بين الآب والابن كونه أجلس الابن القائم من بين الأموات والصاعد إليه، أجلسه عن يمينه إصراراً منه أن يعلن لنا قوة التساوي القائمة بين الآب والابن، وهو بذلك أيضاً أعطى صورة حقيقة لما سيكون عليه مَصيرنا، إذ سيجلسنا الله عن يمينه لأننا نحن نحيا في المسيح والمسيح يحيا فينا.

وهنا إشارة واضحة لشدة قوة الله في إقامة يسوع المسيح من بين الأموات وهو حاملٌ في جسده كل الأجساد الجديدة في الخلقة الروحية التي لكل المؤمنين.

وطبعاً، إقامة يسوع المسيح من بين الأموات ومعه البشرية المؤمنة به هي عملٌ فائق الحدّ وفائق الوصف، وهو الأول والأخير من نوعه أن يقوم كل جنس الإنسان الجديد في المسيح، حيث يكون المسيح هو رأسه، ونُحسب نحن كأعضاء جسده، المُقدّسة والمبرّرة والقائمة في المجد.

فإذا قسنا قامة الكيانات السماوية كلها من ملائكة ورؤساء

ملائكة وسلطات وقوات وأجناد سماوية بما فيها الشاروبيم والشاروفيم أيضاً، يقف جنسُ الإنسان الجديد على أنه المخلوق الوحيد حسب صورة خالقه في المجد، وبذلك يكون قد حصل الإنسان على شركة في أجماد الابن العُليا التي هي لله.

بل ويختصرها بولس الرسول، الذي أَسْتَوْمن على استعلان الحق في السماء، ويقول إن قامة الإنسان الجديد ستكون في المسيح، الذي أُعْطِيَ اسماً فوق كل اسم يسمَّى في السماء وعلى الأرض، ليس في الحاضر فقط بل وفي المستقبل^١ المدموغ بالإيمان (بالأبدية). هذا يمكن أن نختصره بحسب الواقع وما سيكون: أن الخليقة البشرية الجديدة، وفي المسيح، ستصبح ضمن الكيانات السماوية المرموقة، بل وأعلاها.

هذا الكلام هو الإنجيل، كلمة الله التي تَهزُّ السماء والأرض، ولا يستحقها أحد إلا الذي يؤمن بها!

صلاة

نحن نطمع فيك، يا رب، يا من حَقَّقَتْ لنا هذا كله أن تعطينا إياه،

^١ أنظر فيلبي ٢ : ٨؛ أف ١ : ٢١.

فوعودك الصادقة والأمانة لا بد أن تقع من نصيبنا، لأننا نرجوك،

رجاؤنا فيك، يا الله، رجاء حي هو، ومُقَوَّى بوعد المسيح،
فنرجو أول ما نرجو، أن تعطينا معرفة الاستعلان،
التي بها نرى الحق ونؤمن به ونتقوى فيه.
فالمعرفة موفورة لكل إنسان، أما الاستعلان فهو الحق
المرتجى،

ونحن سنسعد بالاستعلان، لأنه سيقوِّي إيماننا بك.
والاستعلان في أبسط صورته، هو الشعور بالحق والتمسُّك به
حتى الموت،

والمسيح أمام بيلاطس لم يصرِّح بشيء إلاَّ قوله أنه الحق،
وأنتَ قلتَ إننا سنعرف الحق، والحقُّ نفسه سيُحرِّرنا.

١١ يوليو ٢٠٠٥

«وَأَخْضَعَ كُلَّ شَيْءٍ تَحْتَ قَدَمَيْهِ، وَإِيَّاهُ جَعَلَ رَأْسًا فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ لِلْكَنِيسَةِ، الَّتِي هِيَ جَسَدُهُ، مَلَأَ الَّذِي يَمْلَأُ الْكُلَّ فِي الْكُلِّ»

رسالة أفسس ١ : ٢٢، ٢٣

بحسب الشركة التي نعيشها في المسيح، شركة آلام وصلب وقيامة وصعود وجلوس عن يمين الآب وقبول ميراثنا الإلهي، بحسب هذه الشركة الكاملة والمتكاملة في الحاضر والمستقبل، يقول بولس الرسول بفهم الوحي، إن المسيح الذي صار رأساً للجسد الجديد للإنسان اعتُبر بالضرورة رأساً فوق كل شيء للكنيسة التي هي جسده.

فالكنيسة، بوصف آخر، هي أعضاء جسد المسيح أفراداً. فكل مؤمن بالمسيح محسوب أنه صار عضواً في جسد المسيح بالمعمودية المقدسة، ودهن الزيت وحلول الروح القدس،

والاشتراك في الإفخارستيا المقدسة. ويعطي الكتاب وصفاً بديعاً آخر للذي اعتمد للمسيح وتقدّس أنه: «لَبِسَ الْمَسِيحَ»^٢. وهو اصطلاحٌ حيٌّ يعني أنه لم يُعدّ يوجد جزءٌ من جسد الإنسان عرياناً ومكشوفاً للشيطان، بل صار انتماءً الجسد بكامله هو للمسيح.

وَكُونُ كُلِّ شَيْءٍ فِي الوجودِ أُخضعَ تحتَ رجله، يعني أنه لم يُعدّ شَيْءٌ غيرَ خاضعٍ له، لأن آخرَ عدوٍّ للإنسان في الوجود هو الموت، والمسيح أبطل الموت بموته، وألغى كُلَّ ما يؤدي إلى الموت بعيداً عن المسيح.

أما كون المسيح يصير رأساً للكنيسة فهو تحصيل حاصل، لأنه هو الذي قاد الكنيسة في موكب نصرته وهو صاعد إلى السماء، حاملاً كل المؤمنين الذين جحدوا العالم، وصاروا أبناءَ الله حاملي برِّ الله باستحقاق الابن.

وبولس الرسول يبلغ بالرؤيا العليا ليرى المؤمنين أعضاء جسد المسيح الحيِّ المُقام، وفي موضع آخر يُزيد في الصلة التي تربطنا بالمسيح، ويقول قولاً مدهشاً لعقل الإنسان الذي لم يبلغ بعد إلى

^٢ أنظر غل ٣ : ٢٧.

درجة الاستعلان، فيقول إننا من لحم المسيح وعظامه^٣. هكذا يبلغ التداخل حدًّا يفوق العقل ولا يمكن أن يقرَّبهُ إنسان، إن لم يكن قد بلغ الحق. فالمسيح، نحن أعضاؤه، لأنه أخذنا في جسده وأحيانًا بحياته، فماذا نكون؟ تحيّر بولس الرسول وقال: «أحيا، لا أنا، بل المسيح يحيا فيّ، فما أحياء الآن في الجسد فإنما أحياء في الإيمان»^٤.

فإن كنا قد صرنا أعضاء جسد المسيح، فنحن نكون قد احتللتنا جسد المسيح، ولكن جسد المسيح حيٌّ وهو الحياة، فنصبح نحن أحياء في المسيح، بل والمسيح هو الحيُّ فينا.

ولكن في جسد المسيح الإلهي حلُّ ملء اللاهوت جسديًّا، فأصبحنا نحن بالضرورة مملوئين فيه، وشركاء ملئه اللاهوتي. وقد مثله بولس الرسول كعريس، والكنيسة هي العروس المُقدَّمة للمسيح^٥؛ وتكون العروس هي نحن، عندما نكون في ملء الإيمان والحب والشركة.

ومعروف أن ملء جسد المسيح لاهوتيًّا، نحن أيضًا امتلأنا

٣ أنظر أف ٥ : ٣٠.

٤ غل ٢ : ٢٠.

٥ أنظر ٢ كو ١١ : ٢٠.

بملكه٦، ويكاد يكون ملءُ جسد المسيح لاهوتياً قد صار الواسطة الإلهية الوحيدة التي تُحضرنا نحن أمامه مملوئين من الروح القدس. بل إنه حتى إخضاع كل شيء للمسيح هو تمهيد ليُخضع كل شيء لحسابنا نحن أيضاً. ولما أخضع كل شيء، سلّم كل شيء للكنيسة مُخضعاً لها. فالكنيسة، ولو أنها سادت ببرّها المجاني الذي وَهَبَه المسيح لها، إلا أنها سادت فوق كل شيء لما أخضع المسيح كل شيء تحت جسده وسلّم نُصْرَتَه الفائقة للكنيسة.

ويُقال لاهوتياً إن جسد المسيح امتلاً لاهوتياً لِيَهَبَ الكنيسة هذا الملء، لحساب كلٍّ من آمن وصدّق وطالب بحقه في ملء جسد المسيح لاهوتياً، باستحقاق الشركة المجانية التي وَهَبَتْ للمؤمنين بملء اللاهوت الذي امتلأت به الكنيسة.

وصار جسد المسيح هو الملء الذي يملأ الكل، لكل من يؤمن ويُصدّق ويُطالب بحقه الأبدي.

صلاة

بعد أن أذلنا الشيطان وصيّرنا خليفةً عبيد، والموت سيدياً علينا،

٦ أنظر يو ١٦: ١؛ كو ٢: ١٠.

فَكَكَّنَّا، يا يسوع المسيح، من عار العبودية، إلى الافتخار
ببنوتنا،

والبؤن شاسع جداً يتوه فيه العقل، من عبيد لبنين،
ومن مطرودين من أمام الله، إلى مُقَرَّبِينَ كَقَدِيسِينَ فِي مَلَأِ
المحبة،

ومن فارغين من برِّ الله، إلى مُكْتَسِبِينَ برِّ الله مجاناً،
وهكذا بعد أن كنا في حُبُوس الظلمة، أشرق علينا نور
الخلود،

وبعد أن كنا نرعى الخنازير، استأمنَّا الله للكراسة لأولاده،
وباختصار، خلَعْنَا الإنسان العتيق، وَلَبِسْنَا الجديد السذي
يتجدد كل يوم حسب صورة خالقه.

١٢ يوليو ٢٠٠٥

«وأنتم، إذ كنتم أمواتاً بالذنوب والخطايا التي سَلَكْتُمْ فيها قبلًا حسب دهر هذا العالم، حسب رئيس سلطان الهواء، الروح الذي يعمل الآن في أبناء المعصية، الذين نحن جميعاً تصرفنا قبلًا بينهم في شهوات جسدنا، عاملين مشيئات الجسد والأفكار، وكنا بالطبيعة أبناء الغضب كالباقين أيضاً؛ الله الذي هو غنيٌّ في الرحمة، من أجل محبته الكثيرة التي أحبنا بها، ونحن أمواتٌ بالخطايا أحياناً مع المسيح. بالنعمة أنتم مُخَلَّصُونَ. وأقامنا معه، وأجلَسنا معه في السماويات في المسيح يسوع. ليُظهر في الدهور الآتية غنى نعمته الفائقة، باللفظ علينا في المسيح يسوع»

رسالة أفسس ٢ : ١-٧

بولس الرسول يكشف عملية الفداء التي تمت، ولكن بألفاظ مملوءة بالشَّجَن، لكي يستعيد بها البعيدين والقريبين لمحبة الله. يُقرُّ تعبير بولس الرسول بماضيه الخاطئ والمليء بالذنوب والخطايا، واضعاً ذَنْبَ هذا السلوك المشين لوضع الخطاة العام

السابق، أنه كان بتدبير رئيس سلطان الهواء الذي كان يعمل بلا مانع، فأصبح هذا الروح الشرير يعمل بغير حساب في أبناء المعصية. وهو يعترف أن الجميع كانوا يتبعونه، بل كانوا مدرّبين وخاضعين له بلا مقاومة، عاملين كل ما تشتهيهِ قلوبهم وأفكارهم؛ فصاروا بحسب درجتهم الاجتماعية أبناءَ معصية وأبناءَ غضب الله، الكلُّ بلا استثناء.

ولكن في لحظة مباركة ووقت مقبول، تدخلت رحمة الله بدافع محبة الله العظيمة دون أي استحقاق من طرف الإنسان، ولكن محبة الله كانت سبّاقة، وانسكبت على الذين آمنوا بالمسيح، فبعد أن كانوا محسوبين أنهم أموات بالخطايا حتماً وبالضرورة، دبر الله حسب مسرة مشيئته الأزلية أن يَهَبَ الإنسان حياة جديدة ويخلقه خَلْقَةً جديدة روحية. فبحسب مشورة الله السابقة وبمقتضى مسرته، وهب الإنسان محبته الكثيرة، فأقامه مع المسيح من الموت وأعطاه الحياة بالقيامة مع المسيح من بين الأموات، وسخر الله نعمته المجانية الفائقة لتدخل وتفتح أمام الإنسان أبواب الخلاص، بعد أن كان قد اعتُقل تحت وطأة الخطية ظلماً بواسطة الظالم.

فصار عملُ الله حديثَ كل الكائنات السماوية، واستعلن

لُطْفُ اللَّهِ عَلَى الْإِنْسَانِ الَّذِي شَبِعَ عَنَاءَ وَشَقَاءَ وَدُمُوعاً.

ورفع الله الخليفة الجديدة في المسيح إلى السماء بحسب شِدَّة قُوَّتِهِ لِلْإِقَامَةِ مِنْ بَيْنِ الْأَمْوَاتِ، وَتَصَدَّرَ الْإِنْسَانُ مُوَكَّبَ خِلَاصِ الْمَسِيحِ بِاعْتِبَارِ أَنَّهُ ابْنُ اللَّهِ الْحَامِلُ وَعِداً بِالدُّخُولِ إِلَى مُلْكُوتهِ.

فِيَا لَعَنَى اللَّهِ وَلُطْفَهُ وَنِعْمَتَهُ الْفَائِقَةَ الَّتِي حَوَّلَتْ الْإِنْسَانَ مِنْ خَلِيقَةٍ عَتِيقَةٍ جَازَتْ الْمَوْتَ مَعَ الْمَسِيحِ، إِلَى طَبِيعَةٍ جَدِيدَةٍ لِلْإِنْسَانِ يَمَارِسُ بِهَا صَلَاحِيَّاتِهِ فِي السَّمَاءِ وَسَطَ مَلَائِكَةِ اللَّهِ وَقَدِيسِيهِ، مُحَدِّثاً عَنِ النِّعْمَةِ الْمَجَانِيَةِ الَّتِي هَكَذَا صَنَعَتْ مِنْهُ خَلِيقَةً رُوحَانِيَةً جَدِيدَةً.

صلاة

إِنَّ الَّذِي صَنَعْتَهُ فِينَا وَلَنَا يَا اللَّهُ، يَفُوقُ قُدْرَةَ تَصَوُّرِنَا، فَكُونِ الْإِنْسَانَ يَنْتَقِلُ مِنْ خَلِيقَةٍ عَتِيقَةٍ مَرْفُوضَةٍ، إِلَى حَالَةِ بَنِينَ،

وَيَرْتَفِعُ مِنْ خَلِيقَةِ التُّرَابِ، إِلَى خَلِيقَةِ الرَّحْمَةِ وَالنِّعْمَةِ فِي الْأَعَالِي،

فَهَذِهِ أَشْيَاءٌ لَا يَصَدِّقُهَا الْعَقْلُ، لِأَنَّا تَحْتَ ثِقَلِ الْعَالَمِ عَلَيْنَا. وَلَكِنَّا، بِرُوحِنَا، نَحْنُ نُسَبِّحُكَ وَنُعَلِّيكُ، وَنُحَمِّدُكَ لِأَنَّكَ عَمَلْتَ عَمَلًا عَظِيمًا،

فَبَعْدَ أَنْ كَانَ الْإِنْسَانُ يَبْحَثُ عَلَى خَاطِي يَتَكَلَّمُ مَعَهُ،

أصبحتْ زُمُرْتُنَا كلها أبراراً.
لقد كدُنَا ننسى أننا خطاة، لأن فخرنا المسيح يملأ حياتنا،
لقد أحسن المسيح ابنك المحبوب، إذ جعلنا فيه نحياً،
بل وعرفنا أنه يحيا فينا أيضاً بالآيمان،
من هنا دُسْنَا الخطية، وأعطينا ظهورنا لعدو جنسنا.

١٢ يوليو ٢٠٠٥



«لأنكم بالنعمة مُخَلَّصُونَ بالإيمان، وذلك ليس منكم، هو عطية الله، ليس من أعمال كي لا يفتخر أحد، لأننا نحن عَمَلُهُ، مخلوقين في المسيح يسوع لأعمال صالحة قد سبق الله فأَعَدَّهَا لكي نَسلك فيها»

رسالة أفسس ٢ : ٨-١٠

الإيمان عند بولس الرسول هو قمة أعمال الله المجانية، وهو عطية خالصة، لا يشوبها من جهتنا أيُّ عمل. وقد أكَّد الله مراراً أن الإيمان حرٌّ من الأعمال، والافتخار بالأعمال يُقلِّل من قيمة الإيمان وبلغيه.

والله قصد ذلك قصداً، حتى لا يكون لأي إنسان افتخارٌ من جهة أعماله، فالبارُّ بالإيمان يخلص^١.

ولكي يلغي الله افتخار الإنسان بكل أعماله التي أعاقَتْ خلاصه بالناموس، ألغى الله الناموس هائياً، وبالتالي ألغى كل

١ أنظر غل ٣ : ١١.

أعماله التي أحقق فيها الناس قديماً. ولكي يفتح أمام الخاطي والتائب والمعترف بذنوبه طريق الخلاص، سَبَقَ الله فأعدَّ للإنسان أعمالاً صالحة بحسب مسرة مشيئته ليسلك فيها.

لدرجة أن بولس الرسول لكي يوَعِّي الإنسان المؤمن قال قولاً قاطعاً إنما حاسماً ومختصراً، إننا نحن عمله. فخلَقْتُنَا في المسيح لازِمَها لزوماً إلهياً أعمالٌ صالحةٌ أعدّها الله للمؤمن بالمسيح لكي يلتزم بصلاح الله لا بصلاح نفسه، فلا يمكن أن يتواجد إنسان في حضرة الله على أساس صلاح أو تقوى أو أي عمل من الأعمال. هذا الالتزام من الله تحتم أن يكون بسبب الناموس الذي كان يعتمد على الأعمال فلم يخلص أحد بالناموس. حتى أن بولس الرسول الذي استوعب سرَّ الإيمان جداً وأنكر أية فائدة للناموس وكل أعماله، وصف الناموس أنه هو الذي أوجَدَ الخطيئة^٢، فأصبح التمسُّك بالناموس خطيئة بحد ذاتها.

وأما الأعمال الصالحة فهي موهوبة لنا من الله في المسيح، فكل تشبُّه بالمسيح هو هو الصلاح عينه، حتى أن بولس الرسول يقول إن من لا يعمل ويبرِّره المسيح الذي يبرِّر الخاطي يُحسب ذلك

براً له^٣. بمعنى أن كل تشبُّه بالمسيح والتمسك بتعليمه هو برٌّ يحسبه الله للإنسان بدون أعمال.

فأصبح من حقائق الإيمان المسيحي العظمى أنه لا توجد أعمال تزكّي الخاطئ، وإنما الإيمان وحده يكفي للخاطئ أن يُبرِّره ويُحضره أمام المسيح كقديسٍ وبلا لوم في المحبة.

وقد ضمَّها بولس الرسول في مقولة إلهية مستوحاة من الله أننا مخلوقون في المسيح خلقة جديدة لا تقوم على أعمال ماضية أو مُستقبلية. فبمجرد أن يعرف الإنسان ويتأكد أنه مخلوق في المسيح، لا يعود ينظر إلى أي شيء يبرِّره إلا المسيح الذي خلقنا على شكله في البر وقداسة الحق. فالمؤمن بالمسيح إيماناً قوياً وثابتاً يُحسب أنه إنسان بارٌّ، لا ببرِّ نفسه وإنما ببرِّ المسيح، وهكذا يُحسب الإنسان أنه شريك في برِّ المسيح كما هو شريك في موته وقيامته. وهكذا تماماً أصبح المسيح لنا من قِبَل الله «براً وقداسة وفداء»، أمورٌ نفتخر بها، لأنه لم يُعطَ لأية خليقة أخرى في السماء والأرض أن تُحسب بارة إلا الإنسان الذي يؤمن من

٣ أنظر رو ٤ : ٥.

٤ ١ كو ١ : ٣٠.

كل قلبه بالمسيح أنه ربّ.

صلاة

نعم بالنعمة نحن مُخلّصون مجاناً، وهي النعمة التي فاضت علينا،

والنعمة هي الهبة الإلهية العظمى، التي نلناها ببرّ المسيح،
فإن طُلب منا عملٌ، فالمسيح هو عملنا ونحن عمله،
وإن طولبنا بالنعمة، نرفع أعيننا إلى فوق حيث تأتي النعمة،
والإنسان الذي يسعى أن يكون بارّاً، فبالمسيح وحده
يُحسَب بارّاً،

ليست لدينا أعمال صالحة من عندنا، فأصل الصلاح كله
هو في المسيح،

ونحن في تألمنا وفي حُزننا وضيقتنا، نُحسب في المسيح أعظم
من منتصرين،

فكلُّ اضطهادٍ وكلُّ ظلمٍ وكلُّ تعذيبٍ، نُحسب لنا أعمال
الله الصالحة،

وكلُّ مذلّةٍ وكلُّ احتقارٍ ناله من رؤساء وزملاء، هي أعمال
صالحة أرسلها لنا الله لنسلِّك فيها،

وإن ظلمنا وحكم علينا جوراً، فنحن أعظم من منتصرين،
وإن خلا بنا الأصدقاء، وخاننا الحظ، وابتلينا بكل بَلَوٍ
محرقة،
فهذه هي الأعمال الصالحة التي أَرْسَلَهَا اللهُ لنسلك فيها.

١٢ يوليو ٢٠٠٥



«فلستُم، إذًا، بعدُ غرباءَ ونُزلاً، بل رعية مع القديسين
وأهل بيت الله»

رسالة أفسس ٢ : ١٩

يا لمرارة العُربة حينما يتغرَّب الإنسان عن عائلته ووطنه
وأصدقائه، يمشي يتلفت عن إنسان يُحييه أو يُلقي عليه سلاماً فلا
يجد. فإن كان هذا من جهة الجسد والعالم، فما أروع حزنه
ومرارةً عندما يجد الخاطئ نفسه بلا إله يعطف عليه، وبلا
وسيط يتوسط بينه وبين الله. فَعُربةٌ مثل هذه قادرة أن تدفع
الإنسان إلى الموت. لهذا كانت محبة الله لبني جنسنا مُبكرة جداً
قبل تأسيس العالم، بل وكانت مسرّة مشيئته أن يتخذ من
الإنسان أبناً له وصديقاً، يُسرُّ له بحبه الذي لا يتصوره إنسان،
فالبون شاسع جداً والزمان طويل وقاسٍ. وهكذا وضع الله في
قلبه أن ينقذ الإنسان من سلطان القاسي والظالم الذي انتهك
خلقتنا وجعلنا عبيداً ومغلوبين. كنا محبوسين في ظلمة الجُوس
تنتظرنا ظلمة القبر ويأسنا القاتل، ويُربنا اسم الموت الذي هو

قمة اليأس. كان هذا كله عَبْرَ أجيال من البشر كثيرة ماتوا وطَوَّئَهُمْ سِنُو البؤس والشقاء. ولكن الله في عُمقِ رحمته وعطفه على بني جنسنا، هَيَّا لَنَا الخلاص بابه في موعده المحدد.

وقد صار لنا بالصليب خلاصٌ من أعدائنا ومن رُعبِ الموت، وأقامنا الله مع المسيح الذي تقَبَّلَ عقوبة الموت لفدائنا بأغلى ثمن، بدمه حتى آخر قطرة على الصليب، وأقامنا مع المسيح بشدَّة قُوَّته، ورفَعَنَا إلى السماء لتكون خليقة جديدة محبوبة.

وهذا تمَّ بعملية واحدة أكملها الابن بطاعته لأبيه، طاعة إلهية حتى الموت، ولم يجزع بل قدَّم الكفَّارة بكل أصولها ويُبْعدها البشري والإلهي معاً؛ احتفظ لنا فيه بقامة مُنتصرة، حتى إذا آمنا فيه، لنلنا كل ما عمله من أجلنا وصرنا خليقة أخرى سماوية. وهكذا بعملية واحدة، أكمل لنا الله مسرَّة مشيئته التي دبرها من أجلنا قبل الدهور كلها في الأزمنة الأزلية. وهكذا صيرنا قديسين بقداسته، ومُبرِّرين ببرِّه الإلهي، ومحبوبين من الآب كحُبِّ الآب للابن^٢، وجعلنا أبناءً وورثةً مع المسيح لله، وأدخلنا بيت الآب السماوي لتكون من أهل بيت الله بعد أن كنا غرباءً وبلا إله في

^٢ أنظر يو ١٧ : ٢٣.

العالم.

فالخليقة الجديدة التي خَلَقْنَا بها المسيح على صورته في الجسد،
ألغت أزمنة الحزن والبكاء والتنهّد حينما كنا غرباء في العالم ليس
لنا إله نعبده أو مُصَالِحٌ يُصَالِحُنَا مع الآب، مُحْتَقِرِينَ وَمَذْلُولِينَ،
حزائى ومُكْتَئِبِينَ، وليس مَنْ يُفَرِّجُ عَنَّا أو يرفع عنا عبودية المذلة
التي كنا نعيشها ونحن غير راضين ومُكْتَئِبِينَ في كل شيء ولا
رجاء لنا في العالم.

هكذا كانت مسرّة مشيئة الآب الأزلية، وهكذا كان فداءُ
الابن المحبوب، وهكذا حُسِبْنَا مع القديسين وأهل بيت الله، نعيش
في نور الخلود الذي أضاءه المسيح بنور لاهوته، وأُخْمِيَ من علينا
الحزن والكآبة والتنهّد، ومسح الآب من عيوننا دموع المذلة
وعوّضها لنا ببهجة أولاد الله العائشين في حبه.

صلاة

أَزَلْتَنَا عَنَّا عهد العبودية، والغربة، وبؤس المصير،
فَسَجَلْتَنَا حَسَبَ مسرّة مشيئتكَ، أَنْ نَكُونَ قَدِيسِينَ وَمِنْ
أَهْلِ بَيْتِ اللَّهِ،
وَقَدْ أَمَلْنَا حُلَّ الرِّجَاءِ، وَأَكْمَلْتَنَا الْخِلَاصَ، وَصَرْنَا أَبْنَاءَ،
وَنَحْنُ غُرَبَاءَ الْمَذَلَّةِ، انْتَشَلْتَنَا لِنَعِيشَ مَكْرَمِينَ فِي بَيْتِكَ،

في ذلنا صرنا منظراً للعالم، وفي نعمتك صرنا حديث
الملائكة،

كنا بلا إله في العالم، وصيرتنا شركاء ابن محبتك.

١٢ يوليو ٢٠٠٥



«وهو أعطى البعض أن يكونوا رؤساءً، والبعض أنبياءً،
وبعض مبشرين، والبعض رعاةً ومعلمين، لأجل تكميل
القديسين، لعمل الخدمة، لبنيان جسد المسيح، إلى أن ننتهي
جميعنا إلى وحدانية الإيمان، ومعرفة ابن الله، إلى إنسان
كامل، إلى قياس قامة ملء المسيح»

رسالة أفسس ٤ : ١١-١٣

كانت مَعِيَّةُ المسيح كبيرة تضم في الأول التلاميذ، ثم الرسل.
والتلميذ هو المُتَلَمِّذُ للكلمة، والرسول هو حامل الرسالة إلى
آخرين. وبعد التلاميذ والرُّسل جاء الأنبياء المملوؤون بالروح،
وبعدهم وفي نهاية حياة المسيح ظهر المُبَشِّرُونَ الذين كانوا يذيعون
الكلمة، ثم عَلِمْنَا بقيام الرعاة على الكنائس ليرعوا رعية الله، ثم
جاء المعلمون وهم المتضلِّعون في الكتب لتعليم الكنيسة.

وهذا المسلسل كله محسوب أنه تكميل القديسين الذين يزيّنون
الكنيسة بإيمانهم وأقوالهم. وبكل هذه المجموعة المنتخبة والمتقدّمة،
بإيعاز الروح القدس، لحقل العمل والخدمة، أصبحت بها الكنيسة

في كل الأقطار تمثل فعلاً المسيح وتُسْتَعْلَن تجسّده، فكان المسيح حاضراً معهم مُشجّعاً ومُعَلِّماً وحامياً ومدافعاً.

والقصد الذي كان يدور في أذهان جميع الرسل والخدام والأنبياء والمُعَلِّمين جميعاً، هو أن يتحدوا معاً ليصير الإيمان في كل أرجاء العالم والكنائس واحداً. فوحدانية الإيمان كان يُقام لها صلوات وتضرُّعات من كافة الخدام والرعاة حتى تبدو الكنائس واحدة متحدة، فيُسْتَعْلَن إنسانُ الكنيسة، أي المؤمن المسيحي، أنه ذو إيمان واحد ومعرفة واحدة. هذا في الحقيقة كان إيمان بولس الرسول في خطابه لكنيسة أفسس.

ولكن في أيام بولس وتحت نظره وسمّعه، دخل الكنيسة فيلسوف مسيحي اسمه أبولُّس عكّر صفو خدمة بولس وعانى منه بولس كثيراً. ولكن بولس الرسول احتمل ثقل انقسام الخدمة قبل أن يُنهي خدمته، واستطاع بحكمته أن يُداري على ما خلفه أبولُّس من صراعات في الإيمان. وبعد أبولُّس دخل الخدمة خُدامٌ ومعلمون كثيرون ذوو اتجاهات تعليمية مختلفة، حتى صارت الكنيسة أحزاباً وتحزُّبات أضعفت من قوة الكرازة ومن صفاء الإيمان ومن وحدانية الإيمان والروح. حتى إلى هذا اليوم، الكنيسة تعاني من انقسامات شديدة، لدرجة أن البعض يجحد البعض، ولا

تعرف من هو الصحيح ومن هو المنحرف.

ولكن في هذا الجو المنقسم لا يزال الروح يعمل في الكنيسة، ويقود كثيرين إلى الحكمة والنعمة والمعرفة، ويخلص الآلاف في كل مكان؛ لأن الإنسان المسيحي قد ينقسم بعضه على البعض، ولكن الروح القدس والمسيح مستحيل أن ينقسما بانقسام الإنسان أو يتزعزعا بتزعزُع الكثيرين. فيسوع المسيح واحد، هو يُقسّم النعم والبركات لمستحقيها، ولكنه مستحيل أن ينقسم. كذلك الروح القدس، مهما أعاقه الناس عن أن يعمل في الجميع بلا استثناء، إلا أنه يستحيل أن ينحاز لإنسان دون آخر أو إلى إيمان دون إيمان. فالمنبُع الذي يموّن الروح القدس هو المسيح الواحد غير المنقسم، والمسيح الذي يقود ويُعزّي ويُلهِم ويتكلم في القلب لا يمكن أن يعوقه عائق، فهو واحد للجميع، وهو واحد مع أبيه.

صلاة

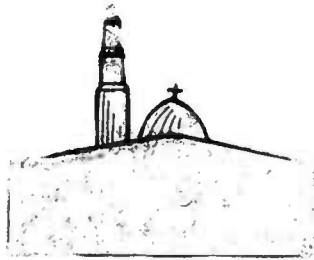
نصلي إلى الله، الذي يسمع صراخ الطفل ويستجيب، أن يسمع لدعائنا هذا، أن تعود للكنيسة وحدثها بالروح. من أجل الضعفاء والمتشكّكين، أسكبُ غناك، يا روح الله، لأن مَنْ يُغني الفقير إلا غناك، وَمَنْ يردُّ على المتشكّكين

إِلَّا كَيْفَ؟

ضُعَفَاءُ كُلَّنَا، يَا أَبْنَاءَ اللَّهِ، وَقَدْ اسْتَغْلَّ الشَّيْطَانُ ضَعْفَنَا
وَقَسَمَنَا،

لَيْسَ فِينَا غَالِبٌ وَمَغْلُوبٌ، فَالْعَالَمُ غَلَبَنَا جَمِيعاً،
وَبُنَيْنَا جَمِيعاً نَنْتُ مِنْ ثِقَلِ الْإِنْقِسَامِ، وَلَيْسَ مِنْ يَوْحَدٍ.

١٣ يُولْيُو ٢٠٠٥





مع المسيح

هذه المقالات هي بشارة بإنجيل النعمة
المجانية، وبوعد المجد السماوي
الموعود به من المسيح للمؤمنين به
الذين يضعون آلامهم على آلامه،
فيعطيهام المسيح المجد الذي أعطاه له
الآب.